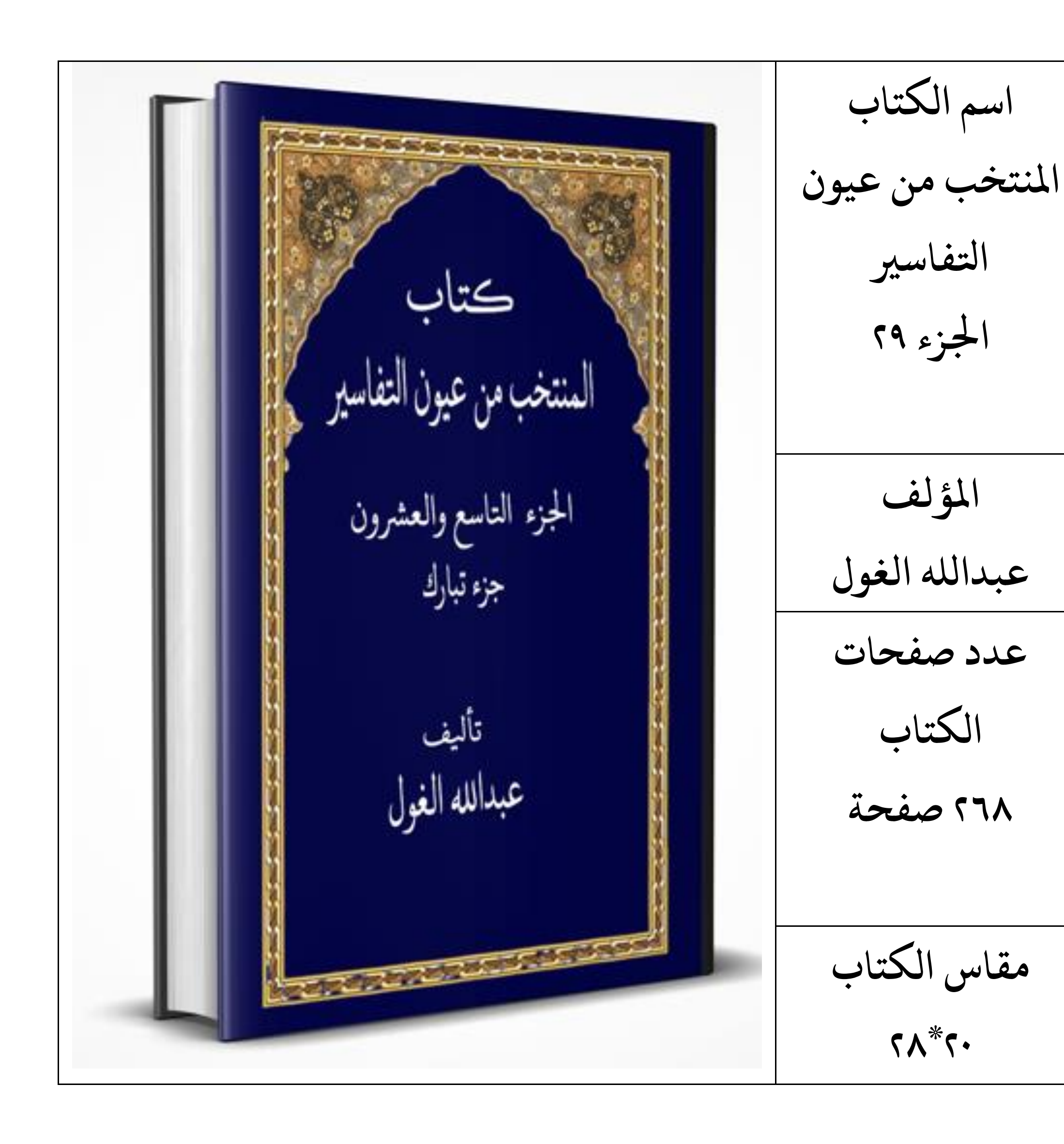


اسم الكتاب المنتخب من عيون التفاسير الجزء ٢٩
المؤلف عبدالله الغول
عدد صفحات الكتاب ٢٦٨ صفحة
مقاس الكتاب ٢٠*٢٨

كتاب

المنتخب من عيون التفاسير

الجزء التاسع والعشرون

تأليف

عبد الله الغول

كتاب

المنتخب من عيون التفاسير

الجزء التاسع والعشرون

تأليف

عبد الله الغول

خطبة الكتاب

الحمد لله القائل في محكم الكتاب ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ والذي حثّ على تدبّر الكتاب المبارك ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ وما أعظم آيات ذلك الكتاب الذي يسّرهُ اللهُ تعالى للذكر ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ ﴾ وصلاةٌ وسلامٌ عليك يا سيدي يا رسول الله عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون الى يوم الدين

وبعد

من عظيم نِعم الله تعالى على هذه الأمة القرآن الكريم الذي حوى العلوم والمعارف , فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تختلف به الآراء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم

فالقرآن الكريم بحرٌ زاخرٌ بكل ثمينٍ ونفيس ولا حدود لشاطئه أو سبر اغواره وأعماقه , وقد أبحر فيه العلماء في كل زمانٍ ومكان واستخرجوا منه الدرر والجواهر النفيسة , حتى أن العلم الحديث يؤيد القرآن الكريم في كل ما ذهب اليه منذ أكثر من خمسة عشر قرناً من الزمان , وكيف لا ؟!

وهو كلام الخالق عزّ وجل , فبرغم الكتب الكثيرة في شتى ميادين العلوم والمعارف المستنبطة من القرآن الكريم فما زال هناك الكثير والكثير من الدرر التي لم يُكشف عنها بعد في القرآن الكريم

ولقد كتب العلماء الكثير من الكتب والمصنفات والمجلدات في تفسير كتاب الله تعالى وهي مؤلفات عظيمة وكبيرة ولكن قد لا يتسع وقت الناس في زماننا هذا لقراءة هذه الكتب والالمام بما فيها , لذا قررتُ أن اضع مصنفاً يجمع ما تفرق في أمهات كتب التفسير بحيث لا يكون بالطويل الذي يستنفذ الوقت ولا بالقصير الذي لا يوضح المعنى توضيحاً تاماً وقد أسميت كتابي هذا بـ (**المنتخب من عيون التفاسير**) وذلك لأنه بالفعل منتخب من أمهات كتب التفاسير القديمة والتفاسير الحديثة وحاولتُ الجمع بين هذه الكتب في اسلوب بليغ واضح المعاني , حيثُ سلكتُ طريقاً أحسبه يؤدي الغرض منه في تفسير القرآن الكريم:

اولا: كتابة الآيات التي سنتناولها بالشرح بالخط العثماني كما في المصحف

ثانيا: بين يدي السورة حيث نوضح السورة مكية ام مدنية وعدد آياتها وعدد كلماتها وعدد حروفها , فهناك الكثيرين الذين يحرصون على ذلك , لأجل دراسة الاعجاز الرقمي في القرآن الكريم

ثالثا: موضوعات السورة حيث نبين المواضيع التي تناولتها السورة الكريمة

رابعا: فضلها حيث نبين فضل السورة وما جاء فيها من أحاديث نبوية شريفة

خامسا: اسباب النزول ,فان كانت هناك اسباب لنزول الآيات تحدثتُ عن تلك الأسباب موضحاً اقوال الصحابة فيها.

سادسا: اللغة ومعاني الكلمات , حيث نتطرق لشرح أغلب الكلمات والمفردات التي وردت في السورة , حيث أن الالمام بها يُسهل على القارئ فهم الآيات مع

ترقيم الآيات في معاني الكلمات حتى لا يبحث القارئ كثيراً عن موقع الآية في السورة

سابعا: التفسير حيث نتطرق لتفسير الآيات الكريمة ونعرض اغلب الأقوال الواردة في التفسير من أمهات كتب التفسير

ثامنا: فوائد الآيات في السورة , حيث نستخلص الدروس والفوائد من هذه الآيات

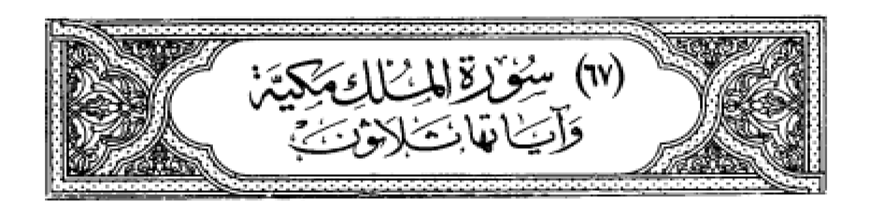
ولا أُخفي عليكم أنه عملٌ وجهدٌ كبير لا ابتغي به إلا وجه الله تعالى سائلاً إياه التوفيق والسداد , ونرجو منكم دعوة لي ولوالدي بظهر الغيب عسى أن تنالوا مثلها من الملائكة حيث قال النبي ﷺ " دعوة المرء مستجابة لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك يؤمن على دعائه، كلما دعا له بخير، قال: آمين، ولك بمثله" [1]

وفي الختام نقول ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلا انت استغفرك وأتوب اليك , وصل اللّٰهُمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ

المؤلف

عبدالله الغول

(١) اخرجه مسلم ٢٧٣٣, وابن ماجه ٢٨٩٥, واحمد ٢٧٥٩٩



سورة الملك

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٣٠) آية وعدد كلماتها (٣٦٢) كلمة وعدد حروفها (١٣١٦) حرفا

موضوعات السورة

سورة الملك من السور المكية، و التي تعالج موضوع العقيدة في أصولها الكبرى، وقد تناولت هذه السور أهدافا رئيسية ثلاثة وهي[1] :

١- إثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة..

٢- إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين

بيان عاقبة المكذبين الجاحدين للبعث والنشور)

*ابتدأت السورة الكريمة بتوضيح الهدف الأول، فذكرت أن الله جل وعلا بيده الملك والسلطان، وهو المهيمن على الأكوان، الذي تخضع لعظمته الرقاب، وتعنو له الجباه، وهو المتصرف في الكائنات بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة

*ثم تحدثت عن خلق السموات السبع، وما زين الله به السماء الدنيا من الكواكب الساطعة، والنجوم اللامعة، وكلها أدلة على قدرة الله و وحدانيته

[1] صفوة التفاسير ٣/٤١٤

* ثم تناولت الحديث عن المجرمين بشيء من الإسهاب، وهم يرون جهنم تتلظى، وتكاد تتقطع من شدة الغضب، والغيظ على أعداء الله، وقارنت بين مآل الكافرين والمؤمنين، على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب

*وبعد أن ساقت بعض الأدلة والشواهد على عظمة الله وقدرته، حذرت من عذابه وسخطه، أن يحل بأولئك الكفرة الجاحدين

*وختمت السورة الكريمة بالإنذار والتحذير للمكذبين بدعوة الرسولﷺ، من حلول العذاب بهم في الوقت الذي كانوا يتمنون فيه موت الرسول ﷺ وهلاك المؤمنين ، و ياله من وعيد شديد،

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾

اللغة ومعاني المفردات

﴿ تَبَٰرَكَ ۞ تعالى، وتعاظم، وتكاثر خيره وبره [١]

بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ۞ بيده الأمر والنهي والسلطان

خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ ۞ أوجده وقدّرَه أزلاً [٢]

لِيَبۡلُوَكُمۡ ۞ ليختبركم

أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ۞ أخلصه، وأصوبه

وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ۞ الغالب الذي لا يعجزه عقاب من اساء

ٱلۡغَفُورُ ۞ كثير المغفرة والستر لذنوب عباده[٣]

طِبَاقٗاۖ ۞ بعضها فوق بعض، من غير مماسة.

تَفَٰوُتٖ ۞ اختلاف، وتباين

فُطُورٖ ۞ شقوق، وصدوع

ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ۞ أعد النظر مرة بعد مرة.

يَنقَلِبۡ ۞ يرجع

خَاسِئٗا ۞ ذليلاً صاغراً

حَسِيرٞ ۞ متعب، كليل

وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ۞ بكواكب عظيمة مُضيئة

رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ ۞ شهباً محرقة لمسترقي السمع من الشياطين

---

(١)السراج في بيان غريب القرآن ٣٥٣

(٢) كلمات القرآن تفسير وبيان ٣٤٥

(٣) في رحاب التفسير ٧٢٩٩/٢٩

وَأَعۡتَدۡنَا ۝٥ أعددنا وهيأنا

ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ المرجع، والمآل

إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا ۝٧ طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار

شَهِيقًا ۝٧ تنفس كتنفس المتغيظ او صوتاً منكراً

وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تغلي غلياناً شديداً

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ ۝٨ تتمزق وينفصل بعضها عن بعض من شدة غضبها على الكفار

فَوۡجٌ ۝٨ جماعة من الكفار

خَزَنَتُهَآ ۝٨ مالك خازن النار واعوانه

نَذِيرٌ ۝٨ رسول يحذركم هذا العذاب

إِنۡ أَنتُمۡ ۝٩ ما أنتم

فضل هذه السورة

وتسمى الواقية والمنجية. وهي ثلاثون آية روى الترمذي عن ابن عباس قال: ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة "الملك" حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة "الملك" حتى ختمها؟ فقال رسول الله ﷺ : (هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر).

قال: حديث حسن غريب. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ : (وددت أن "تبارك الذي بيده الملك" في قلب كل مؤمن) ذكره الثعلبي.

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ : (إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى أخرجته من النار يوم القيامة وأدخلته الجنة وهي سورة "تبارك"). خرجه الترمذي بمعناه، وقال فيه: حديث حسن.

وقال ابن مسعود: إذا وضع الميت في قبره فيؤتى من قبل رجليه، فيقال: ليس لكم عليه سبيل، فإنه كان يقوم بسورة "الملك" على قدميه. ثم يؤتى من قبل رأسه، فيقول لسانه: ليس لكم عليه سبيل، إنه كان يقرأ بي سورة "الملك" ثم قال: هي المانعة من عذاب الله، وهي في التوراة سورة "الملك" من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب. وروي أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان[١]

ومن مقاصد السورة إظهار كمال ملك الله وقدرته، بعثًا على خشيته، وتحذيرًا من عقابه[٢].

التفسير

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ أي: تعاظم وتعالى، وكثر خيره، وعم إحسانه، من عظمته أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي[٣]،وقيل: تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين [٤]، بيده ملك الدنيا والآخرة وسُلطانهما نافذ

(١) تفسير القرطبي ١٨٩

(٢) المختصر في التفسير

(٣) تفسير السعدي ٨/ ١٨٥٦

(٤) فتح القدير للشوكاني

فيهما أمره وقضاؤه وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه عجز[1] ,

وقيل يعني ملك السمٰوات والأرض والدنيا والآخرة،[2]

فهو الذي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء، من الأحكام القدرية، والأحكام الدينية، التابعة لحكمته، ومن عظمته، كمال قدرته التي يقدر بها على كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسموات والأرض.

يمجد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك، أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله. ولهذا قال :﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [3]

ويستفاد من الآية ثبوت صفة اليد لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله[4]

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق. ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملا؟

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله أذل بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء."

رواه معمر، عن قتادة

قالت العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار. والحياة عكس ذلك. وحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل: أن الموت والحياة

---

(1) تفسير الطبري ٢٣/٥٠١

(2) تفسير ابن جزئ

(3) تفسر ابن كثير

(4) التفسير الميسر

جسمان، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء- وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها- خطوتها مد البصر، فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء يجد ريحها إلا حيي، ولا تطأ على شي إلا حيي. وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاه على العجل فحيي[١]

وعن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وإنه مع ذلك لو ثاب

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ ﴾فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أيكم أتم عقلا، قاله قتادة.

الثاني: أيكم أزهد في الدنيا، قاله سفيان.

الثالث: أيكم أورع عن محارم الله وأسرع إلى طاعة الله، وهذا قول مأثور.

الرابع: أيكم للموت أكثر ذكرا وله أحسن استعدادا ومنه أشد خوفا وحذرا، قاله السدي.

الخامس: أيكم أعرف بعيوب نفسه.

ويحتمل سادسا: أيكم أرضى بقضائه وأصبر على بلائه[٢]

وقدم الموت على الحياة لأن أصل الأشياء عدم الحياة، والحياة عارضة لها، وقيل: لأن الموت أقرب إلى القهر[٣]وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الغفور لذنوب من تاب من عباده[٤]وفي الآية ترغيب في فعل الطاعات، وزجر عن اقتراف المعاصي[٥]

---

(١) تفسير القرطبي

(٢) تفسير الماوردي ٦/٤٩

(٣) فتح القدير

(٤) المختصر في التفسير

(٥) التفسير الميسر

وقال فضيل بن عياض "أحسن عملا" أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا الخالص: إذا كان لله والصواب: إذا كان على السنة.

وقال الحسن: أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها(١)

والمعنى: خلق الحياة ليختبركم فيها، وخلق الموت ليبعثكم ويجازيكم

ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ خلقهن مطابقات، أي: بعضها فوق بعض ما ترى" يا ابن آدم "في خلق الرحمن من نقص وخلل او شقوق او وهن او خروق وإنما ترى خلقًا محكمًا متقنًا.

والمعنى أن خلقة السمٰوات في غاية الإتقان , وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات , ولما كان كمالها معلومًا، أمر [الله] تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال:

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أي: أعده إليها، ناظرًا معتبرًا ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: نقص واختلال.

ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ أي انظر إلى السماء مرة بعد أخرى يرجع إليك البصر ذليلاً كليلاً منقطعاً عاجزًا عن أن يرى خللًا أو فطورًا، ولو حرص غاية الحرص.

وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥

ولقد جملنا ﴿السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ التي ترونها وتليكم، ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ وهي: النجوم، وهذه النجوم زينة للسماء، وجمالا، ونورًا وهداية يهتدى بها في ظلمات البر

---

(١) تفسير البغوي

والبحر[١] وهي نجوم عظيمة مضيئة، وجعلناها شهبًا محرقة لمسترقي السمع من الشياطين، وأعتدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة يقاسون حرَّها[٢]

وقال قتادة: خلق الله تعالى النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والأوقات. فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به، وتعدى وظلم.

وقال محمد بن كعب: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يتخذون الكهانة سبيلا[٣]

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾ وللذين كفروا بربهم يوم القيامة سواء من الانس او الجن لعذاب النار المتقدة، الذي يهان أهله غاية الهوان, وساء المرجع الذي يرجعون إليه ,

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧﴾ يعني إذا ألقى الكافرون في جهنم كما يلقى الحطب في النار ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ يعني لجهنم ﴿شَهِيقًا﴾ يعني صوتا كصوت الحمير عند أول نهيقها، وهو أقبح الأصوات[٤] وهو الصوت الذي يخرج من الجوف بشدّة كصوت الحمار وهي تغلي مثل غليان المرجل[٥] كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير[٦]

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ ﴿تَكَادُ﴾ جهنم ﴿تَمَيَّزُ﴾ يقول: تتفرّق وتتقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ على أهل المعاصي غضباً لله، وانتقاماً

---

(١) تفسير السعدي

(٢) التفسير الميسر

(٣) تفسير القرطبي

(٤) فتح القدير

(٥) المختصر في التفسير

(٦) تفسير ابن كثير

له , وكلما رُمِيَت فيها جماعة من الكفار سألتهم خزنتها (الملائكة الموكلون بها) سؤال توبيخ و تقريع: ألم يأتكم في الدنيا رسول يخوّفكم من عذاب اللّه؟!

ويذكر تعالى عدله في خلقه، وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه

﴿ألم يأتكم نذير﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن النذر من الجن، والرسل من الإنس، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم الرسل والأنبياء، واحدهم نذير، قاله السدي[1]

قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾

وقال الكفار: بلى، قد جاءنا رسول يخوّفنا من عذاب الله فكذبناه، وقلنا له: ما نزّل الله من وحي، لستم - أيها الرسل - إلا في ضلال عظيم عن الحقّ [2] فجمع الكفار بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله ولم يكفهم ذلك، حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم، ضلالًا كبيرًا، فأي عناد وتكبر وظلم، يشبه هذا؟

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار، أو من قول الكفار للرسل في الدنيا[3]

وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ وقال الفوج الذي ألقي في النار للخزنة :﴿لَوْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ من النذر ما جاءونا به من النصيحة، أو نعقل عنهم ما كانوا يدعوننا إليه ﴿مَا كُنَّا﴾ اليوم ﴿فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني: أهل النار.

---

(١) تفسير الماوردي

(٢) المختصر في التفسير

(٣) تفسير ابن جزي

حيث اعترفوا بتكذيب الرسل، ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار: (لو كنا نسمع) كلام الرسل و ما جاءوا به (أو نعقل) ونعقل الصواب (مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ) ما كنا من أهل النار.

قال ابن عباس: لو كنا نسمع الهدى أو نعقله، أو لو كنا نسمع سماع من يعي ويفكر، أو نعقل عقل من يميز وينظر.

ودل هذا على أن الكافر لم يعط من العقل شيئاً

(ما كنا في أصحاب السعير) يعني ما كنا من أهل النار[1]

فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾

اللغة ومعاني المفردات

فَسُحۡقٗا ﴿١١﴾ بَعْدًا [1] من الرّحمة و الكرامة [2]

---

(1) تفسير القرطبي

يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴿١٢﴾ يَخْشَوْنَهُ وَهُمْ غَائِبُونَ عَنْ أَعْيُنِ النّاسِ، وَيَخْشَوْنَ العَذَابَ قَبْلَ مُعَايَنَتِهِ.

ذَلُولٗا ﴿١٥﴾ سَهْلَةً، مُمَهّدَةً تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا.

فِي مَنَاكِبِهَا ﴿١٥﴾ نَوَاحِيهَا، وَجَوَانِبِهَا.

وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ إِلَيْهِ تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ لِلْجَزَاءِ وَالحِسَابِ.

مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾ اللهَ الّذِي فِي العُلُوّ وقيل أمْرُه و قَـضاؤُه و سلطانه

أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴿١٦﴾ يُـغَوّر بكم الأرض

تَمُورُ ﴿١٦﴾ تَضْطَرِبُ بِكُمْ حَتّى تَهْلِكُوا.

حَاصِبٗاۖ ﴿١٧﴾ رِيحًا تَرْجُمُكُمْ بِالحِجَارَةِ الصّغِيرَةِ.

كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ تَكيف تَحْذِيرِي لَكُمْ او كيف إنذاري و قدْرتي على العِقاب

فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ بالإهلاك ، وَتَغْيِيرُ مَا بِهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ.

صَٰٓفَّٰتٖ ﴿١٩﴾ بَاسِطَاتٍ أَجْنِحَتَهَا عِنْدَ طَيَرَانِهَا فِي الهَوَاءِ.

وَيَقۡبِضۡنَۚ ﴿١٩﴾ يَضْمُمْنَهَا إِلَى جُنُوبِهَا أَحْيَانًا.

أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ ﴿٢٠﴾ بَلْ مَنْ هذا ؟ ؟

فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ خِدَاعٍ وَضَلَالٍ مِنَ الشّيْطَانِ.

(١) السراج في بيان غريب القرآن ٣٥٤

(٢) كلمات القرآن تفسير وبيان ٣٤٥

أسباب النزول

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ ﴾

قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ :﴿وأسِرُّوا قَوْلَكم أوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: نَزَلَتْ في المُشْرِكِينَ، كانُوا يَنالُونَ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَبَّرَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِما قالُوا فِيهِ ونالُوا مِنهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهم لِبَعْضٍ: أسِرُّوا قَوْلَكم لِئَلّا يَسْمَعَ إلَهُ مُحَمَّدٍ[١]

التفسير

فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١ ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾ الذي استحقوا به عذاب النار، وهو الكفر وتكذيب الأنبياء ﴿فسحقا لأصحاب السعير﴾ أي: فبعداً لهم من الله ومن رحمته .[٢] وبرغم اعترافهم هذا فلا ينفعهم الاعتراف في هذا الوقت , وقيل سُحقاً واد في جهنم [٣]

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ إن الذين يخافون ربهم، فيعبدونه، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويخشون العذاب في الآخرة قبل معاينته، لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة [٤]

قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺفيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد[٥]

---

(١) اسباب النزول للواحدي ٤٤٢

(٢) فتح القدير

(٣) تفسير الطبري

(٤) التفسير الميسر

(٥)زاد المسير ٨/٣٢١

﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: أن الغيب الله تعالى وملائكته، قاله أبو العالية.

الثاني: الجنة والنار، قاله السدي.

الثالث: أنه القرآن، قاله زر بن حبيش.

الرابع :أنه الإسلام لأنه يغيب، قاله إسماعيل بن أبي خالد.

الخامس: أنه القلب، قاله ابن بحر.

السادس: أنه الخلوة إذا خلا بنفسه فذكر ذنبه استغفر ربه، قاله يحي بن سلام.

﴿لهم مغفرة﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالتوبة والاستغفار.

الثاني: بخشية ربهم بالغيب.

الثالث: لأنهم حلوا باجتناب الذنوب محل المغفور له.

﴿وأجر كبير﴾ يعني الجنة.

ويحتمل وجها آخر: أنه العفو عن العقاب ومضاعفة الثواب.

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ سواء جهرتم أو أسررتم، فإن الله يعلم الجهر والسر [١] حيث يتساوى الإسرار والجهر بالنسبة إلى علم الله سبحانه لا يخفى عليه منها خافية، فـ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من النيات، والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال، التي تسمع وترى [٢]؟! إنه سبحانه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء من ذلك حيث بما خطر وما يخطر في القلوب.

(١) تفسير ابن جزي

(٢) تفسير السعدي

﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ ألا يعلم ربُّ العالمين خَلْقه وشؤونهم، وسرهم وهو الذي خَلَقهم وأتقن خَلْقهم وأحسنه؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم لا يخفى عليه منهم شئ , والاستفهام في قوله :﴿ألا يعلم من خلق﴾ للإنكار، والمعنى: ألا يعلم السر؟! وهذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء، لأن الخالق يعلم مخلوقاته

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾
هو الذي جعل لكم الأرض سهلة ليّنة للسكن والاستقرار عليها ولتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطرق ، فسيروا في جوانبها وأطرافها، وكلوا من رزقه الذي أعدّ لكم فيها، وإليه وحده بعثكم للحساب والجزاء. [1]وفي الآية حثٌّ على طلب الرزق والمكاسب[2] وإليه البعث من قبوركم، لا إلى غيره، وفي هذا وعيد شديد
قال مجاهد، والكلبي، ومقاتل: مناكبها طرقها وأطرافها وجوانبها
وقال قتادة، وشهر بن حوشب: مناكبها جبالها [3]
وقال ابن عباس: هي الجبال
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ هل أمنتم يا كفارَ مكة - اللهَ الذي فوق السماء أن يخسف ويشق بكم الأرض كما شقها من تحت قارون ، فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا؟ [4]وفي هذا تهديد ووعيد، لمن استمر في طغيانه وتعديه، وعصيانه الموجب للنكال وحلول العقوبة[1]

---

(١) المختصر في التفسير
(٢) التفسير الميسر
(٣) فتح القدير
(٤) المختصر في التفسير

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أنهم الملائكة، قاله ابن بحر, وقيل المراد جبريل[2]
الثاني: يعني أنه الله تعالى، قاله ابن عباس[3]
أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ثم كرر سبحانه التهديد لهم بوجه آخر فقال :﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ أي: حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل، وقيل: سحاب فيها حجارة، وقيل: ريح فيها حجارة ﴿فستعلمون كيف نذير﴾ أي: إنذاري إذا عاينتم العذاب ولا ينفعكم هذا العلم، وقيل: النذير هنا محمد ﷺ، قاله عطاء، والضحاك.
وفي الآية إثبات العلو لله تعالى، كما يليق بجلاله سبحانه[4]
وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ يعني كفار الأمم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود ﴿فكيف كان نكير﴾ أي إنكاري عليهم بالعذاب [5]ومعاقبتي لهم؟ أي: عظيما شديدا أليما[6]وتغييري ما بهم من نعمة بإنزال العذاب بهم وإهلاكهم؟ حيث عاجلهم بالعقوبة الدنيوية، قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم[7]
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أوَلم يشاهد هؤلاء المكذبون الكافرون، الطير فوقهم، باسطات أجنحتها عند

---

(١) تفسير السعدي
(٢) فتح القدير
(٣) تفسير الماوردي
(٤) التفسير الميسر
(٥) تفسير البغوي
(٦) تفسير ابن كثير
(٧) تفسير السعدي

طيرانها في الهواء، ويضممنها إلى جُنوبها أحيانًا؟ ما يحفظها من الوقوع عند ذلك إلا الرحمن. إنه بكل شيء بصير، وفي هذا عتاب وحث على النظر إلى حالة الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها فمن نظر في حالة الطير واعتبر فيها، دلته على قدرة الباري، وأنه الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىۡءِۭ بَصِيرٌ ﴾ فهو المدبر لعباده بما يليق بهم، وتقتضيه حكمته.

أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾

خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم [١] والاستفهام للتقريع والتوبيخ [٢]، والمعنى لا جند لكم أيها الكفار يمنعكم من عذاب الله إن أراد أن يعذبكم، فالكافرون مخدوعين، خدعهم الشيطان فاغترّوا به

قال ابن عباس: أي منعة لكم ﴿ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾ يمنعكم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم.

﴿ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ أي في غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم [٣]

أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمۡشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ

(١) تفسير ابن جزي
(٢) فتح القدير
(٣) تفسير البغوي

تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾

اللغة ومعاني المفردات

﴿لَّجُّوا ﴿٢١﴾﴾ :اسْتَمَرُّوا، وتَمادَوْا[1] في طُغْيانِهِم وكُفْرِهِم.

﴿عُتُوّٖ ﴿٢١﴾﴾ :مُعانَدَةٍ، واسْتِكْبارٍ.

﴿وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ :فِرارٍ مِنَ الحَقِّ[2].

﴿مُكِبًّا ﴿٢٢﴾﴾ :مُنَكَّسًا.

﴿أَهۡدَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ :أَشَدُّ اسْتِقامَةً عَلى الطَّرِيقَةِ

﴿سَوِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ :مُسْتَوِيًا، مُنْتَصِبَ القامَةِ سالِمًا.

﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾﴾ :طَرِيقٍ واضِحٍ لا اعْوِجاجَ فِيهِ.

﴿أَنشَأَكُمۡ ﴿٢٣﴾﴾ :أَوْجَدَكُمْ مِنَ العَدَمِ.

﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ ﴿٢٣﴾﴾ :القُلُوبَ

﴿ذَرَأَكُمۡ ﴿٢٤﴾﴾ :خَلَقَكُمْ، ونَشَرَكُمْ فِي الأَرْضِ

﴿تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ :تُجْمَعُونَ لِلْحِسابِ والجَزاءِ.

(١) غريب القرآن للخضيري

(٢) الميسر في الغريب

﴿ نَذِيرٌ ﴾ مُخَوِّفٌ.

﴿ مُّبِينٌ ﴾ :أُبَيِّنُ لَكُمُ الشَّرائِعَ.

﴿رَأَوْهُ زُلْفَةً ﴾ :رَأَوْا عَذابَ اللهِ قَرِيبًا.

﴿سِيئَتْ ﴾ :ظَهَرَتْ الذِّلَّةُ والكآبةُ..

﴿تَدَّعُونَ ﴾ :تَطْلُبُونَ أنْ يُعَجَّلَ لَكُمْ مِنَ العَذابِ اسْتِهْزاءً

﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ :أخْبِرُوني.

﴿ أَهْلَكَنِىَ ﴾ :أماتَني.

﴿يُجِيرُ ﴾ :يَحْمِي ويَمْنَعُ.

﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ :صَدَّقْنا بِهِ وعَمِلْنا بِشَرْعِهِ.

﴿ تَوَكَّلْنَا ﴾ :اعْتَمَدْنا في كُلِّ أُمُورِنا.

﴿ضَلَٰلٍ ﴾ بُعْدٍ عَن صِراطِ اللهِ المُسْتَقِيم.

﴿أَرَأَيْتُمْ ﴾ :أخْبِرُوني.

﴿ أَصْبَحَ ﴾ :صارَ.

﴿غَوْرًا ﴾ :ذاهِبًا في الأَرْضِ لا تَصِلُونَ إلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ.

﴿مَّعِينٍ ﴾ :جارٍ عَلَى وجْهِ الأَرْضِ، ظاهِرٍ لِلْعُيُونِ.

التفسير

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَيْ: مَنْ هَذَا الَّذِي إِذَا قَطَعَ اللَّهُ رِزْقَهُ عَنْكُمْ يَرْزُقُكُمْ بَعْدَهُ؟! أَيْ: لَا أَحَدَ يُعْطِي وَيَمْنَعُ وَيَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيَنْصُرُ إِلَّا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَيْ: وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا

يَعْبُدُون غَيْرَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ :﴿بَل لَجُّوا﴾ أَي: اسْتَمَرُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ وإفكهم وضلالهم ﴿فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ أي: فِي مُعَانَدَةٍ وَاسْتِكْبَارًا وَنُفُورًا عَلَى أَدْبَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، أَيْ لَا يَسْمَعُون لَهُ وَلَا يَتَّبِعُونَهُ [1]

أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ هَذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تعالى لِلْهُدى والضَّلالَةِ، ومَعْناهُ لَيْسَ مَن يَمْشِي مُكِبًا عَلى وجْهِهِ ولا يَنْظُرُ أمامَهُ ولا يَمِينَهُ ولا شِمالَهُ.

كَمَن يَمْشِي سَوِيًّا مُعْتَدِلًا ناظِرًا ما بَيْنَ يَدَيْهِ وعَنْ يَمِينِهِ وعَنْ شِمالِهِ، وفِيهِ وجْهانِ:

أحَدُهُما: أنَّهُ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ والكافِرِ، فالمُكِبُّ عَلى وجْهِهِ الكافِرُ يَهْوِي بِكُفْرِهِ، والَّذِي يَمْشِي سَوِيًّا المُؤْمِنُ يَهْتَدِي بِإيمانِهِ، ومَعْناهُ: أمَّنَ يَمْشِي في الضَّلالَةِ أهْدى أمْ مَن يَمْشِي مُهْتَدِيًا، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّانِي: أنَّ المُكِبَّ عَلى وجْهِهِ أبُو جَهْلِ بْنُ هِشامٍ، ومَن يَمْشِي سَوِيًّا عَمّارُ بْنُ ياسِرٍ، قالَهُ عِكْرِمَةُ[2]

فَالْمُؤْمِنُ يُحْشَرُ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صراط مستقيم، مُفض بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يُحْشَرُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ،

قالَ المُفَسِّرُونَ: هَذا مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ، والكافِرِ. و"السَّوِيُّ" المُعْتَدِلُ، أيِ: الَّذِي يُبْصِرُ الطَّرِيقَ. وقالَ قَتادَةُ: هَذا فِي الآخِرَةِ يَحْشُرُ اللَّهُ الكافِرَ مُكِبًّا عَلى وجْهِهِ، والمُؤْمِنُ يَمْشِي سَوِيًّا[3]

يقول ابن عباس من يمشي في الضلالة أهدى، أم من يمشي مهتديا؟[4]

---

(1) تفسير ابن كثير

(2) تفسير الماوردي

(3) تفسير ابن الجوزي

(4) تفسير الطبري

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣﴾ أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مظاهر، ولما أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع والأبصار والأفئدة، التي هي أنفع أعضاء البدن وأكمل القوى الجسمانية، ولكنه مع هذا الإنعام ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر[1]

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾

﴿قُلْ هو الَّذِي ذَرَأَكم في الأرْضِ﴾ فِيهِ وجْهانِ:

أحَدُهُما: خَلَقَكم في الأرْضِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّانِي: نَشَرَكم فِيها وفَرَّقَكم عَلى ظَهْرِها، قالَهُ ابْنُ شَجَرَةَ.

ويَحْتَمِلُ ثالِثًا: أنْشَأكم فِيها إلى تَكامُلِ خَلْقِكم وانْقِضاءِ أجْلِكم.

﴿وَإلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أيْ تُبْعَثُونَ بَعْدَ المَوْتِ

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾ ويقول المكذبون بالبعث استبعادًا للبعث: متى هذا الوعد الذي تعدنا - يا محمد - أنت وأصحابك إن كنتم صادقين في دعواكم أنه آتٍ؟![2]

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦﴾ أي علم مجيء القيامة عند الله، وليس هو من شأني وإنما أنا نذير منه مبين لا غير[3]

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧﴾ أي فلما رأوا عذاب يوم القيامة قريباً منهم أساءها الله فتغيرت بالاسوداد والكآبة والحزن. وقيل لهم أو قالت لهم الملائكة هذا العذاب الذي كنتم به تطالبون متحدّين رسولنا والمؤمنين وتقولون :﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾

---

(١) تفسير السعدي

(٢) المختصر في التفسير

(٣) أيسر التفاسير ابو بكر الجزائري

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٨﴾

كان كفار مكة يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، فأمر: قُلْ يا محمد لمشركي مكّة الذين يتمنّون هلاكك ويتربّصون بك ريب المنون ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ ﴾ فأماتني ﴿وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنا ﴾ أبقانا وأخّر في آجالنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ﴾ فإنّه واقع بهم لا محالة[١]

﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٩﴾

والمَعْنى أنَّهُ الرَّحْمَنُ آمَنّا بِهِ ﴿وعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا﴾ فَيَعْلَمُ أنَّهُ لا يَقْبَلُ دُعاءَكم وأنْتُمْ أهْلُ الكُفْرِ والعِنادِ في حَقِّنا، مَعَ أنّا آمَنّا بِهِ ولَمْ نَكْفُرْ بِهِ كَما كَفَرْتُمْ، ثُمَّ قالَ : ﴿وعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا﴾ لا عَلى غَيْرِهِ كَما فَعَلْتُمْ أنْتُمْ حَيْثُ تَوَكَّلْتُمْ عَلى رِجالِكم وأمْوالِكم[٢] فستعلمون -أيها الكافرون- إذا نزل العذاب: أيُّ الفريقين منا ومنكم في بُعْدٍ واضح عن صراط الله المستقيم؟[٣]

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾ ثم أخبر عن انفراده بالنعم، خصوصًا، بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي فقال :﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: غائرًا ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ تشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنى النفي، أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى.

(١) تفسير الثعلبي
(٢) تفسير الرازي
(٣) التفسير الميسر

فوائد الآيات في السورة

١- الحث على قراءة سورة الملك كل ليلة لما لها من الأهمية بمكان

٢- الهدف من الحياة هو الابتلاء والاختبار

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾

٣- دعوة مبطنة لنا بإتقان كل أعمالنا

٤- دعوة للتأمل في خلق الله تعالى

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ﴾

٥- ينتظر الكافرين عذاب شديد

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ ﴾

٦- السمع والعقل من أعظم النعم إذا ما استخدمتا بالشكل الصحيح

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ ﴾

٧- الكافر يعترف بذنبه , ورغم ذلك هذا لا يُنجيه من العذاب , حيث فات الأوان

﴿ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ ﴾

٨- خشية الله تعالى والخوف منه له ثواب كبير جداً

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ ﴾

٩- لا بد من الاخلاص في السر والعلن في القول والفعل لأن الله تعالى مطلع على كل شيء

﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ ﴾

١٠- السعي في طلب الرزق لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم؛

ولهذا قال تعالى :﴿ وكلوا من رزقه ﴾ ؛ فالسعي لا ينافي التوكل.

١١- الانسان في هذه الحياة مجرد عابر سبيل مهما طال بقاءه فيها

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

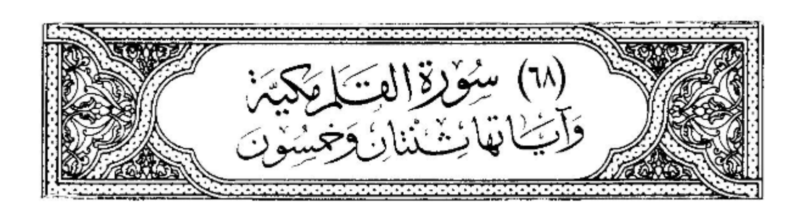
١٢- المؤمن ليس مسؤولاً عن وقت يوم القيامة ، وإنما عن الاستعداد له

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

١٣ - تفويض العلم إلى الله

﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة الملك



سورة القلم

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٥٢) آية وعدد كلماتها (٣٢٤) كلمة وعدد حروفها (١٢٥٨) حرفا

موضوعات السورة

*سورة القلم من السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة والإيمان، وقد تناولت هذه السورة ثلاثة مواضيع أساسية وهي:

أ - موضوع الرسالة، والشبه التي أثارها كفار مكة حول دعوة **محمد** ﷺ

ب - قصة أصحاب الجنة " البستان " لبيان نتيجة الكفر بنعم الله تعالى.

ج - الآخرة وأهوالها وشدائدها، وما أعد الله للفريقين : المسلمين والمجرمين

*ابتدأت السورة الكريمة بالقسم على رفعة قدر الرسول (ﷺ) وشرفه وبراءته مما ألصقه به المشركون من اتهامه – وحاشاه – بالجنون، وبينت أخلاقه العظيمة، ومناقبه السامية

*ثم تناولت موقف المجرمين من دعوة رسول الله (ﷺ) ما أعد الله لهم من العذاب والنكال في دار الجحيم

*ثم ضربت مثلا لكفار مكة في كفرانهم (نعمة الله) العظمى عليهم، ببعثة خاتم الرسل (ﷺ) إليهم، وتكذيبهم به، بقصة أصحاب الجنة " الحديقة " ذات الأشجار والزروع والثمار، حيث جحدوا نعمة الله، ومنعوا حقوق الفقراء والمساكين، فأحرق الله حديقتهم وجعل قصتهم عبرة للمعتبرين

*ثم قارنت السورة بين المؤمنين والمجرمين، على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب

*وتناولت السورة الكريمة، القيامة وأحوالها وأهوالها، وموقف المجرمين في ذلك اليوم العصيب، الذي يكلفون فيه بالسجود لرب العالمين فلا يقدرون

*وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول (ﷺ) بالصبر على أذى المشركين، وعدم التبرم والضجر بما يلقاه في سبيل تبليغ دعوة الله، كما حدث من يونس عليه السلام، حين ترك قومه وسارع إلى ركوب البحر، دون إذن من الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ

بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾

اللغة ومعاني المفردات

﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴿١﴾ قسم بالقلم الذي تكتب به الملائكة، والناس

وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ والذي يكتبونه بالقلم من الخير والنفع والعلوم.

وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ لَثواباً عَظِيماً غير مَنقُوصٍ، ولا مُنْقَطِعٍ.

بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ في أي الفريقين الفتنة، والجنون؟

وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ تمَنّوا وأحَبُّوا. لو تُلاينُ، وتُصانِعُ عَلى بَعْضِ ما هُم عَلَيهِ فَيَلِينُونَ لَكَ

حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ كَثيرِ الحَلِفِ كَذّابٍ، حَقِيرٍ

هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ مُغْتابٍ لِلنّاسِ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وهِيَ: نَقْلُ الحَدِيثِ بَيْنَ النّاسِ عَلى وجْهِ الإفْسادِ

مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ شَدِيدِ المنعِ لِلخَيْرِ مُتَجاوِزٍ حَدَّه في العُدْوانِ عَلى النّاسِ وتَناوُلِ المُحَرَّماتِ كَثِيرِ الآثامِ.

عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ فاحِشٍ، لَئِيمٍ، غَلِيظٍ فِي كُفْرِهِ مَنسُوبٍ لِغَيْرِ أبِيهِ.

أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ طَغى وتَكَبَّرَ لِأَجْلِ أن رَّزَقَهُ اللهُ مالًا وبَنِينَ فَلَمْ يَشْكُرِ النِّعْمَةَ.

إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ أباطِيلُهُمْ، وخُرافاتُهُمْ.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ سَنَجْعَلُ لَهُ عَلامَةً لا تُفارِقُهُ. على أنفه

التفسير

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله :﴿ن﴾ فقال بعضهم: هو الحوت الذي عليه الأَرَضُون

وقال آخرون :﴿ن﴾ حرف من حروف الرحمن , وعن ابن عباس ﴿آلر﴾ و ﴿حم﴾ و ﴿ن﴾ حروف الرحمن مقطعة[١]

وقيل أن النون الدواة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ [٢]

﴿والقلم﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: أنه القلم الذي يكتبون به لأنه نعمة عليهم ومنفعة لهم، فأقسم بما أنعم، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه القلم الذي يكتب به الذكر على اللوح المحفوظ، قال ابن جريج: هو من نور، طوله كما بين السماء والأرض.

وفي قوله ﴿وما يسطرون﴾ ثلاثة أقاويل: أحدها: وما يعلمون، قاله ابن عباس.

الثاني: وما يكتبون، يعني من الذكر، قاله مجاهد والسدي.

الثالث: أنهم الملائكة الكاتبون يكتبون أعمال الناس من خير وشر.

---

(١)تفسير الطبري

(٢)تفسير الماوردي

مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٍ ۝٢ هو جواب لقولهم ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ ﴾ ﴿ما أنت بنعمة ربك﴾ بنبوة ربك ﴿بمجنون﴾ أي: إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة[1]

وكما أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على براءة نبيه محمد ﷺ ، مما نسبه إليه أعداؤه من الجنون , فنفى عنه الجنون بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث أنعم عليه بالعقل الكامل , وهذه هي السعادة في الدنيا، ثم ذكر سعادته في الآخرة، فقال :﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾.

وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ أي وانك لك لأجر غير منقوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ والمعنى إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن , وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن , وعن جابر أن النبي ﷺ قال: "إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق، وتمام محاسن الأفعال" , وأورد الطبري أن معنى الآية : إنك على دين عظيم، وهو الإسلام.

أسباب النزول

أخْبَرَنا أبُو بَكْرٍ الحارِثِيُّ، قالَ: أخْبَرَنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَيّانَ، قالَ: حَدَّثَنا أحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ نَصْرٍ الجَمّالُ، قالَ: حَدَّثَنا جَرِيرُ بْنُ يَحْيى، قالَ: حَدَّثَنا حُسَيْنُ بْنُ عُلْوانَ الكُوفِيُّ، قالَ: حَدَّثَنا هِشامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أبِيهِ، عَنْ عائِشَةَ قالَتْ :ما كانَ أحَدٌ أحْسَنَ

[1]تفسير البغوي

خُلُقًا مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ما دَعاهُ أَحَدٌ مِن أَصْحابِهِ ولا مِن أَهْلِ بَيْتِهِ إلّا قالَ: "لَبَّيْكَ". ولِذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [(١)]

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ فيه وجهان:

أحدهما: فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل .

الثاني: قاله ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة.

بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ:[(٢)]

أَحَدُها: يَعْنِي (المَجْنُونَ) قالَهُ الضَّحّاكُ.

الثّانِي: (الضّالُّ)، قالَهُ الحَسَنُ.

الثّالِثُ: (الشَّيْطانُ)، قالَهُ مُجاهِدٌ.

الرّابِعُ: (المُعَذَّبُ) ، ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالى :﴿يَوْمَ هم عَلى النّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أيْ يُعَذَّبُونَ.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝ وفيه وجهان:

الأول: هو أن يكون المعنى إن ربك هو أعلم بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلوا عن سبيله، وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون.

الثاني: أن يكون المعنى إنهم رموك بالجنون ووصفوا أنفسهم بالعقل وهم كذبوا في ذلك

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ يعني مشركي مكة فإنهم كانوا يدعونه ﷺ إلى دين آبائه فنهاه الله تعالى أن يطيعهم.

وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ يعني رؤساء أهل مكة , أرادوا أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة , فنهاه الله أن يطيعهم

---

(١) أسباب النزول للواحدي ٤٤٣

(٢) تفسير الماوردي

﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠﴾ وهذا يتناول النهي عن طاعة جميع الكفار , كما أنه أعاد النهي عن طاعة من كان من الكفار موصوفاً بصفات مذمومة وراء الكفر، وتلك الصفات هي هذه:

الصفة الأولى: كونه حلافاً، والحلاف من كان كثير الحلف في الحق والباطل، ويقول تعالى ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤﴾ وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف

الصفة الثانية : المهانة وهي القلة والحقارة في الرأي والتمييز , و كان مهينا لأن لأنه كذاب في الحلف , والكذاب حقير عند الناس

﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾ الصفة الثالثة: كونه همازاً وهو العيّاب الطّعان الذي يعيب ويطعن في الناس و يذكرهم بالمكروه والسوء

الصفة الرابعة: كونه مشاء بنميم أي يمشي بالنميمة بين الناس ليُفسد بينهم،

﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾ الصفة الخامسة: كونه مناعاً للخير وفيه قولان:

أحدهما: أن المراد أنه بخيل، والخير يعني المال.

والثاني: كان يمنع أهله من الخير وهو الإسلام , وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان له عشرة من البنين وكان يقول لهم وما قاربهم: لئن تبع دين محمد منكم أحد لا أنفعه بشيء أبداً، فمنعهم الإسلام، فهو الخير الذي منعهم

الصفة السادسة: كونه معتدياً، قال مقاتل: معناه أنه ظلوم يتعدى الحق ويتجاوزه فيأتي بالظلم , وهذا يعني أنه نهاية في جميع القبائح والفضائح.

الصفة السابعة: كونه أثيماً، وهو مبالغة في الإثم

﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣﴾ يعني بعد كونه ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾ هو عتل زنيم، وفيه تسعة أوجه:

أحدها: أن العتل الفاحش، وهو مأثور عن النبي ﷺ:

الثاني: أنه القوي في كفره، قاله عكرمة.

الثالث: أنه الوفير الجسم، قاله الحسن

الرابع: أنه الجافي الشديد الخصومة بالباطل، قاله الكلبي.

الخامس: أنه الشديد الأسر، قاله مجاهد.

السادس: أنه الباغي، قاله ابن عباس.

السابع: أنه الذي يعتل الناس، أي يجرهم إلى الحبس أو العذاب، مأخوذ من العتل وهو الجر ، ومنه قوله تعالى :﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ﴾ [1]

الثامن: هو الفاحش اللئيم

التاسع : ما رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال » :(لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم , فقال رجل: ما الجواظ وما الجعظري وما العتل الزنيم؟ فقال رسول الله ﷺ الجواظ الذي جمع ومنع، والجعظري الغليظ، والعتل الزنيم الشديد الخلق الرحيب الجوف، المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام، الظلوم للناس)

والزنيم : قيل هو الظلوم الفاحش , وقيل أنه ولد الزنى , وقيل هو الذي له زنمة كزنمة الشاة، قال الضحاك: لأن الوليد بن المغيرة كان له أسفل من أذنه زنمة مثل زنمة الشاة،

أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥

أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق[2]،

وحمله الشعور بالغنى على التكذيب بآيات الله فإذا تُليت عليه وسمعها قال أساطير الأولين ردّاً لها ووصفها بأنها أسطورة أي أكذوبة مسطرة ومكتوبة من أساطير الأولين من الأمم الماضية [1]

---

(1)سورة الحاقة ٣٠

(2)تفسير السعدي

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ ثم توعد تعالى من جرى منه ما وصف الله، بأن الله سيسمه على خرطومه في العذاب، أي سنكويه بالكي على أنفه مهانة له وعلامة يعير بها ما عاش[٢], و الخرطوم هو الأنف وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسم عليه أبشع؛ وفي التعبير عن الأنف بالخرطوم استهجان واستهزاء به

إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾

التفسير

بَلَوۡنَٰهُمۡ ﴿١٧﴾ اخْتَبَرْناهُمْ (أهْلَ مَكَّةَ) بالجُوعِ والقَحْطِ

ٱلۡجَنَّةِ ﴿١٧﴾ الحَدِيقَةِ

لَيَصۡرِمُنَّهَا ﴿١٧﴾ لَيَقْطَعُنَّ ثِمارَ حَدِيقَتِها.

(١)أيسر التفاسير

(٢)فتح البيان للقنوجي

مُصۡبِحِينَ ۞ مُبَكِّرِينَ في الصَّباحِ

وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ۞ ولا يَنْوُونَ اسْتِثْناءَ حِصَّةِ المَساكِينِ، ولَمْ يَقُولُوا: إنْ شاءَ اللهُ

فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ ۞ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيها نارًا أَحْرَقَتْها لَيلًا.

كَٱلصَّرِيمِ ۞ مُحْتَرِقَةً سَوْداءَ كاللَّيْلِ المُظْلِمِ.

فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ۞ نادى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وقْتَ الصَّباحِ.

أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ۞ اذْهَبُوا مُبَكِّرِينَ الى مَزْرَعَتِكُمْ إن كنتم مُصِرِّينَ عَلى قَطْعِ الثِّمارِ

فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ۞ يُسِرُّ بَعْضُهُم إلى بَعْضٍ في الكَلامِ.

وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ۞ سارُوا في أَوَّلِ النَّهارِ.

عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ۞ على أمْرٍ مُجْمَعٍ عَلَيهِ وهو (عَلى قَصْدِهِمُ السَّيِّئِ في مَنعِ المَساكِينِ)

فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۞ أي فلما رأوها مُحْتَرِقَةً.

لَضَآلُّونَ ۞ لَمُخْطِئُونَ فِي طَرِيقِها.

بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۞ حُرِمْنا خيرَها بِسَبَبِ مَنعِنا المَساكِينَ

أَوۡسَطُهُمۡ ۞ أَعْدَلُهُمْ، وخَيْرُهُمْ عَقْلًا ودِينًا.

لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ۞ هَلّا تَذْكُرُونَ اللّهَ، وتَسْتَغْفِرُونَهُ، من فِعْلِكُمْ، وخُبْثِ نِيَّتِكُمْ.

سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ ۞ نُنَزِّهُ رَبَّنا عَنِ الظُّلْمِ فِيما أصابَنا

يَتَلَٰوَمُونَ ۞ يَلُومُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلى ما قَصَدُوهُ مِن مَنعٍ لِلْمَساكِينِ

يَٰوَيۡلَنَآ ۞ نادَوا عَلى أنْفُسِهِم بِالشَّرِّ والعَذابِ

طَٰغِينَ ۞ مُتَجاوِزِينَ الحَدَّ في مَنعِنا الفُقَراءَ

رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ طالِبُونَ الخيرَ والعفوَ عَن سيِّئاتِنا.

كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ ﴿٣٣﴾ مِثْلَ ذَلِكَ العِقابِ الَّذِي عاقَبْناهُمْ بِهِ نُعاقِبُ كُلَّ مَن بَخِلَ، وخالَفَ أمْرَ اللهِ , و تَعَدّى حُدُودَنا مِثلَ ما فَعَلْنا بِهَؤُلاءِ

التفسير

إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ يَعْنِي اخْتَبَرْنَا أَهْلَ مَكَّةَ بِالْقَحْطِ وَالْجُوعِ ﴿كَمَا بَلَوْنَا﴾ ابْتَلَيْنَا ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾

وعن ابن عباس قال : كَانَ بُسْتَانٌ بِالْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ الضَّرْوَانُ دُونَ صَنْعَاءَ بِفَرْسَخَيْنِ، يَطَؤُهُ أَهْلُ الطَّرِيقِ، كَانَ غَرَسَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، وَكَانَ لِرَجُلٍ فَمَاتَ فَوَرِثَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ لَهُ، وَكَانَ يَكُونُ لِلْمَسَاكِينِ إِذَا صَرَمُوا نَخْلَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ تَعَدَّاهُ الْمِنْجَلُ فَلَمْ يَجُزَّهُ وَإِذَا طَرَحَ مِنْ فَوْقِ النَّخْلِ إِلَى الْبِسَاطِ فَكُلُّ شَيْءٍ يَسْقُطُ عَلَى الْبِسَاطِ فَهُوَ أَيْضًا لِلْمَسَاكِينِ، وَإِذَا حَصَدُوا زَرْعَهُمْ فَكُلُّ شَيْءٍ تَعَدَّاهُ الْمِنْجَلُ فَهُوَ لِلْمَسَاكِينِ وَإِذَا دَاسُوهُ كَانَ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ يَنْتَثِرُ أَيْضًا فَلَمَّا مَاتَ الْأَبُ وَوَرِثَهُ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةُ [عَنْ أَبِيهِمْ] فَقَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّ الْمَالَ لَقَلِيلٌ، وَإِنَّ الْعِيَالَ لَكَثِيرٌ وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ يُفْعَلُ إِذْ كَانَ الْمَالُ كَثِيرًا وَالْعِيَالُ قَلِيلًا فَأَمَّا إِذَا قَلَّ الْمَالُ وَكَثُرَ الْعِيَالُ فَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هَذَا فَتَحَالَفُوا بَيْنَهُمْ يَوْمًا لَيَغْدُونَّ غَدْوَةً قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ فَلَيَصْرِمُنَّ نَخْلَهُمْ وَلَمْ يَسْتَثْنُوا يَقُولُ: لَمْ يَقُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَغَدَا الْقَوْمُ بِسُدْفَةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى جَنَّتِهِمْ لِيَصْرِمُوهَا قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الْمَسَاكِينُ، فَرَأَوْهَا مُسَوَّدَةً وَقَدْ طَافَ عَلَيْهَا مِنَ اللَّيْلِ طَائِفٌ مِنَ الْعَذَابِ فَأَحْرَقَهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ حَلَفُوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ لَيَجُذُّنَّهَا وَلَيَقْطَعُنَّ ثَمَرَهَا إِذَا أَصْبَحُوا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ

الْمَسَاكِينُ [١]

وقيل أنَّها كانَتْ لِقَوْمٍ مِنَ الحَبَشَةِ

وقال قَتادَةُ أنَّها كانَتْ لِشَيْخٍ مِن بَنِي إسْرائِيلَ لَهُ بَنُونَ، فَكانَ يُمْسِكُ مِنها قَدْرَ كِفايَتِهِ وكِفايَةِ أهْلِهِ، ويَتَصَدَّقُ بِالباقِي، فَجَعَلَ بَنُوهُ يَلُومُونَهُ ويَقُولُونَ: لَئِنْ وُلِّينا لَنَفْعَلَنَّ، وهو لا يُطِيعُهم حَتّى ماتَ فَوَرِثُوها، فَقالُوا: نَحْنُ أحْوَجُ بِكَثْرَةِ عِيالِنا مِنَ الفُقَراءِ والمَساكِينِ (فَأقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ) أيْ حَلَفُوا أنْ يَقْطَعُوا ثَمَرَها حِينَ يُصْبِحُونَ. [٢]

وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ أَيْ: فِيمَا حَلَفُوا بِهِ.

فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ أَيْ: أَصَابَتْهَا آفَةٌ سَمَاوِيَّةٌ

فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ كَاللَّيْلِ الْأَسْوَدِ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، وَالسُّدِّيُّ: مِثْلَ الزَّرْعِ إِذَا حُصِد، أَيْ هَشِيمًا يَبَسًا. [٣]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالْمَعَاصِيَ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحْرَمُ بِهِ رِزْقًا قَدْ كَانَ هُيِّئَ لَهُ"، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَطافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قَدْ حُرِمُوا خير جَنّتهم بِذَنْبِهِمْ

فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَيْ: لَمَّا كَانَ وَقْتُ الصُّبْحِ نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِيَذْهَبُوا إِلَى الجَذَاذ،

أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ قالَ مُجاهِدٌ: كانَ الحَرْثُ عِنَبًا.

إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ أيْ عازِمِينَ عَلى صَرْمِ حَرْثِكم في هَذا اليَوْمِ

فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ فِيهِ أرْبَعَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: يَتَكَلَّمُونَ، قالَهُ عِكْرِمَةُ.

---

(١) تفسير البغوي

(٢) تفسير الماوردي

(٣) تفسير ابن كثير

الثّانِي: يُخْفُونَ كَلامَهم ويُسِرُّونَهُ لِئَلّا يَعْلَمَ بِهِمْ أحَدٌ، قالَهُ عَطاءٌ وقَتادَةُ.
الثّالِثُ: يُخْفُونَ أنْفُسَهم مِنَ النّاسِ حَتّى لا يَرَوْهم.
الرّابِعُ: لا يَتَشاوَرُونَ بَيْنَهم.[١]

أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٌ ﴿٢٤﴾ أيْ: اَلْجَنَّةَ، و: يَتَخافَتُونَ، يَقُولُونَ: لا يَدْخُلَنَّها مسكين ، والنَّهْيُ عَنْ دُخُولِ المَساكِينِ نَهْيٌ عَنِ التَمْكِينِ، أيْ: لا تُمَكِّنُوهُ مِنَ الدُخُولِ[٢]

وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ وساروا في أول النهار إلى حديقتهم على قصدهم السيِّئ في منع المساكين من ثمار الحديقة، وهم في غاية القدرة على تنفيذه في زعمهم[٣]

. فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ أيْ أنَّهم لَمّا رَأوْا أرْضَ الجَنَّةِ لا ثَمَرَةَ فِيها ولا شَجَرَ قالُوا إنّا ضالُّونَ الطَّرِيقَ وأخْطَأْنا مَكانَ جَنَّتِنا، ثُمَّ اسْتَرْجَعُوا فَقالُوا:

بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ أيْ حُرِمْنا خَيْرَ جَنَّتِنا

قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قال أعدلهم، وأحسنهم طريقة ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم، فقلتم :﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئتة الله، لما جرى عليكم ما جرى[٤]

قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعد ما وقع العذاب على جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندموا ندامة عظيمة.

---

(١) تفسير الماوردي
(٢) تفسير النسفي
(٣) التفسير الميسر
(٤) تفسير السعدي

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أيْ: يَلُومُ بَعْضُهم بَعْضًا في مَنعِهِمْ لِلْمَساكِينِ وعَزْمِهِمْ على ذَلِكَ ، ثُمَّ نادَوْا على أنْفُسِهِمْ بِالوَيْلِ حَيْثُ قالُوا

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾﴾ أيْ: عاصِينَ مُتَجاوِزِينَ حُدُودَ اللَّهِ بِمَنعِ الفُقَراءِ وتَرْكِ الِاسْتِثْناءِ.[1]

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لَمّا اعْتَرَفُوا بِالخَطِيئَةِ رَجَوْا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ أنْ يُبْدِلَهم جَنَّةً خَيْرًا مِن جَنَّتِهِمْ، قِيلَ: إنَّهم تَعاقَدُوا فِيما بَيْنَهم، وقالُوا إنْ أبْدَلَنا اللَّهُ خَيْرًا مِنها لَنَصْنَعَنَّ كَما صَنَعَ أبُونا، فَدَعَوُا اللَّهَ وتَضَرَّعُوا فَأبْدَلَهم مِن لَيْلَتِهِمْ ما هو خَيْرٌ مِنها.

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أيْ: مِثْلُ ذَلِكَ العَذابُ الَّذِي بَلَوْناهم بِهِ وبَلَوْنا أهْلَ مَكَّةَ عَذابَ الدُّنْيا،

﴿ولَعَذابُ الآخِرَةِ أكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أيْ: أشَدُّ وأعْظَمُ لَوْ كانَ المُشْرِكُونَ يَعْلَمُونَ أنَّهُ كَذَلِكَ ولَكِنَّهم لا يَعْلَمُونَ.[2]

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ

[1] فتح القدير للشوكاني

[2] تفسير فتح القدير للشوكاني

أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

اللغة ومعاني المفردات

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ كيفَ تَقْضونَ بِهذا الحُكْمِ الظّالِمِ؟

أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ ام لكم كتاب أُنْزِلَ مِن عِنْدِ اللهِ فيه تَقْرَؤونَ فِيهِ هَذا الحُكْمَ الجائِرَ

تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ ما تَشْتَهُونَ وتَخْتارُونَ , ولكن ليسَ لَكُم ذَلِكَ.

أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ عُهودٌ ومَواثِيقُ عَلَينا مُؤَكَّدةٌ إنَّهُ سَيَحْصُلُ لَكُمْ ما تُريدُونَ، وتَشْتَهُونَ

زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ كَفيلٌ وضامِنٌ بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ ذَلِكَ.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ ألَهُم أرْبابٌ يَفْعَلُونَ بِهِم ما زَعَمُوا مِنَ الكَرامَةِ؟

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ يَكْشِفُ رَبُّنا عَن ساقِهِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ، ولا يَتَمكَّنُ المنافِقُونَ مِنَ السُّجُودِ

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴿٤٣﴾ مُنْكَسِرَةً ذَليلَةً لا يَرْفَعُونَها , تَغْشاهُم الذلة

سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ أصِحّاءُ، قادِرُونَ

فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ خَلِّ بيني وبَينَ مَنۡ يُكذِّبُ بالقرآن سَنمُدُّهم بالأموالِ والأَولادِ والنِّعَمِ اسْتِدْراجًا لَهُم.

وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ وأُمْهِلُهُم وأُطِيلُ أعْمارَهُم لِيَزْدادُوا إثْما إن مَكْرِي بِالكُفّارِ قَوِيٌّ شديدٌ.

مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ غَرامَةِ ذَلِكَ الأَجْرِ يَثْقُلُ عَلَيهِم حِمْلُهُ

أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ بَلْ أعِنْدَهُم عِلْمُ الغَيبِ؟ (١)

وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴿٤٨﴾ لا تَكُنْ مِثْلَ يُونُسَ عليه السلام حِينَ اسْتَعْجَلَ العَذابَ، وغَضِبَ

مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ مَمْلُوءٌ غَمًّا وكَرْبًا.

نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ ﴿٤٩﴾ بِتَوْفِيقِهِ لِلتَّوْبَةِ وقَبُولِها مِنهُ لَطُرِحَ بالأَرْضِ الفَضاءِ المهْلِكَةِ

وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ آتٍ بِما يُلامُ عَلَيهِ.

فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴿٥٠﴾ فاخْتارَهُ و اصْطَفاهُ ربه لِرِسالَتِهِ (٢)

لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴿٥١﴾ لَيُصِيبُونَكَ بالعَينِ لِبُغْضِهِم إيّاكَ.

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ❁ القُرآنَ

---

(١) الميسر في الغريب

(٢) غريب القرآن للخضيري

التفسير

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤﴾ لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعالَى حَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَمَا أَصابَهُمْ فِيهَا مِنَ النِّقْمَةِ حِينَ عَصَوُا اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، بَيَّنَ أَنَّ لِمَن اتَّقَاهُ وَأَطَاعَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ الَّتِي لَا تَبِيدُ وَلَا تَفْرَغُ وَلَا يَنْقَضِي نَعِيمُهَا [١]

وَكَانَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ يَرَوْنَ وُفُورَ حَظِّهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَقِلَّةَ حُظُوظِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا، فَإِذَا سَمِعُوا بِحَدِيثِ الْآخِرَةِ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: إِنْ صَحَّ أَنَّا نُبْعَثُ كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ وَمَنْ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ حَالُنَا وَحَالُهُمْ إِلَّا مِثْلَ مَا هِيَ فِي الدُّنْيَا، وَإِلَّا لَمْ يَزِيدُوا عَلَيْنَا وَلَمْ يَفْضُلُونَا، وَأَقْصَى أَمْرِهِمْ أَنْ يُسَاوُونَا[٢]

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥﴾ أَفَنُسَاوِي بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي الْجَزَاءِ

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ توبيخ آخر[٣] , كَيْفَ تَظُنُّونَ ذَلِكَ؟

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝٣٧﴾ هل لكم كتاب، من عند الله تدرسون فيه

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨﴾ أن لكم ما تختارونه لأنفسكم.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝٣٩﴾ هل حلفنا لكم أيماناً أن لكم ما تحكمون؟ ومعنى بالغة ثابتة واصلة إلى يوم القيامة،

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠﴾ سلهم أيهم كَفِيلٌ لَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَا لِلْمُسْلِمِينَ؟

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٤١﴾ وفِي تَفْسِيرِهِ وجهانِ:

الأَوَّلُ: المَعْنَى أَمْ لَهُم أَشْياءُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّها شُرَكاءُ اللَّهِ، فَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أُولَئِكَ الشُّرَكاءَ

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/١٩٨

(٢) تفسير القرطبي ١٨/٢٢٨

(٣) تفسير ابن جزي

يَجْعَلُونَهم في الآخِرَةِ مِثْلَ المُؤْمِنِينَ في الثَّوابِ والخَلاصِ مِنَ العِقابِ».
الوَجْهُ الثّانِي: في المَعْنى أمْ لَهم ناسٌ يُشارِكُونَهم في هَذا المَذْهَبِ وهو التَّسْوِيَةُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ والمُجْرِمِينَ، فَلْيَأْتُوا بِهِمْ إنْ كانُوا صادِقِينَ في دَعْواهم، والمُرادُ بَيانُ أنَّهُ كَما لَيْسَ لَهم دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ في إثْباتِ هَذا المَذْهَبِ، ولا دَلِيلٌ نَقْلِيٌّ وهو كِتابٌ يَدْرُسُونَهُ، فَلَيْسَ لَهم مَن يُوافِقُهم مِنَ العُقَلاءِ عَلى هَذا القَوْلِ، وذَلِكَ يَدُلُّ عَلى أنَّهُ باطِلٌ مِن كُلِّ الوُجُوهِ[1]

يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ فهذا صريح في أن الله يدعو الخلائق إلى السجود يوم القيامة، وأن الكفار يحال بينهم وبين السجود إذ ذاك، ويكون هذا التكليف، بما لا يطاق حينئذ حسًا عقوبة لهم، لأنهم كلفوا به في الدنيا وهم يطيقونه فلما امتنعوا منه وهو مقدور لهم كلفوا به وهم لا يقدرون عليه حسرة عليهم وعقوبة لهم، ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[2]

وعن أبي بردة بن أبي موسى قال: حدثنا أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول» :إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مُثِّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ ما كانوا يعبدون في الدُّنْيا، فَذَهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا، وَيَبْقَى أَهْلُ التَّوْحِيدِ فيُقَالُ لَهُمْ: كَيْفَ بَقِيتُمْ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: إنَّ لَنَا رَبّاً كُنّا نَعْبُدُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ نَرَهُ قَالَ أَوَ تَعْرِفُونَهُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُمْ: وَكَيْفَ تَعْرِفُونَه وَلَمْ تَرَوْهُ؟
قَالُوا: لا شَبَهَ لَهُ. فَيُكْشفُ لَهُمُ الحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إلَى اللهِ تَعَالَى، فَيَخرُّونَ لَهُ سُجّداً، وَيَبْقَى أَقْوَامٌ ظُهُورُهُمْ مِثْلَ صِيَاصِي البَقَرِ، فَيُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلاَ

[1] تفسير الرازي
[2] تفسير ابن القيم

يَسْتَطِيعُونَ. فَيَقُولُ الله تَعَالَى عِبَادِي ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، قَدْ جَعَلْتُ بَدَلَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ والنَّصَارَى فِي النَّارِ[١]

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ تغشاهم وتعلوهم كآبة وكشوف وسواد وذلك أن المسلمين، إذا رفعوا رؤوسهم من السجود، صارت وجوههم بيضاء كالثلج. فلما نظر اليهود والنصارى والمنافقون، وهم عجزوا عن السجود، حزنوا واغتموا فسودت وجوههم. ثم بَيَّنَ المعنى الذي عجزهم عن السجود، فقال:

﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يعني: يدعون إلى السجود في الدنيا وهم أصحاء معافون، فلم يسجدوا.

فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ يعني: دع هؤلاء الذين لا يؤمنون بالقرآن. وفوض أمرهم إلَيَّ، فإني قادر على أخذهم متى شئت ,

﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ يعني: سنأخذهم وسنأتيهم بالعذاب

﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾يعني: نذيقهم من العذاب درجة، من حيث لا يعلمون أن العذاب نازل بهم.

وقال السدي:

كلما جددوا معصية، جدد لهم نعمة وأنساهم شكرها، فذلك الاستدراج.

وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ يعني: أمهل لهم وأؤجل لهم إلى وقت **إن** عقوبتي شديدة إذا نزلت بهم لا يقدرون على دفعها

أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أى لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا، فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم، فيثبطهم ذلك عن الإيمان

---

[١] تفسير السمرقندي

أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ أى اللوح فَهُمْ يَكْتُبُونَ منه ما يحكمون به [١]

فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ فاصبر لِحُكْمِ رَبِّكَ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم

قالَ قَتادَةُ: إنَّ اللَّهَ تَعالى يُعَزِّي نَبِيَّهُ ويَأْمُرُهُ بِالصَّبْرِ، وأنْ لا يَعْجَلَ كَما عَجِلَ صاحِبُ الحُوتِ وهو يُونُسُ بْنُ مَتّى [٢]

وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ يعنى: يونس عليه السلام إِذْ نادى في بطن الحوت وَهُوَ مَكْظُومٌ مملوء غيظا، عَلى قَوْمِهِ، إذْ لَمْ يُؤْمِنُوا لَمّا دَعاهم إلى الإيمانِ، وأحْوَجُوهُ إلى اسْتِعْجالِ مُفارَقَتِهِ إيّاهم [٣]

والمعنى: لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة، فتبتلى ببلائه.

قال مقاتل: اصبر على الأذى لقضاء ربك الذي هو آت, ﴿وَلَا تَكُنْ﴾ في الضجر والعجلة ﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يعني يونس بن متى.

قال الكلبي ومقاتل: يقول: لا تضجر كما ضجر، ولا تعجل كما عجل، ولا تغضب كما غضب , ثم أخبر عن عقوبة يونس حين لم يصبر وعجل [٤]

وقيل أن نِداؤُهُ فَقَوْلُهُ :﴿لا إلَهَ إلا أنْتَ سُبْحانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ﴾

لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ يَعْني لولا التَّوْفِيقَ لِلتَّوْبَةِ وقَبُولَها ﴿لَنُبِذَ بِالعَراءِ﴾ بِالأرْضِ الخالِيَةِ عَنِ الأشْجارِ .﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مُلِيمٌ مَطْرُودٌ عَنِ الرَّحْمَةِ والكَرامَةِ [٥]

---

[١] الكشاف للزمخشري

[٢] تفسير الماوردي

[٣] البحر المحيط لأبي حيان

[٤] تفسير البسيط للواحدي

[٥] تفسير البيضاوي

﴿لَوْلا أنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِن رَبِّهِ﴾ فِيهِ أرْبَعَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: النُّبُوَّةُ، قالَهُ الضَّحّاكُ.

الثّانِي: عِبادَتُهُ الَّتِي سَلَفَتْ، قالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ.

الثّالِثُ: نِداؤُهُ لا إلَهَ إلّا أنْتَ سُبْحانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

الرّابِعُ: أنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إخْراجُهُ مِن بَطْنِ الحُوتِ، قالَهُ ابْنُ بَحْرٍ.

فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ بِأنْ رَدَّ الوَحْيَ إلَيْهِ،

﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصّالِحِينَ﴾ أي: الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، وأحوالهم فامتثل نبينا محمد ﷺ أمر ربه، فصبر لحكم ربه صبرًا لا يدركه فيه أحد من العالمين [١]

أسباب النزول

وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾

لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ: أَيْ يَعْتَانُونَكَ.

أَخْبَرَ بِشِدَّةِ عَدَاوَتِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَرَادُوا أَنْ يُصِيبُوهُ بِالْعَيْنِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ حُجَجِهِ [٢]. وَقِيلَ: كَانَتِ الْعَيْنُ فِي بَنِي أَسَدٍ، حَتَّى إِنَّ الْبَقَرَةَ السَّمِينَةَ أَوِ النَّاقَةَ السَّمِينَةَ تَمُرُّ بِأَحَدِهِمْ فَيُعَايِنُهَا ثُمَّ يَقُولُ: يَا جَارِيَةُ، خُذِي الْمِكْتَلَ وَالدِّرْهَمَ فَأْتِينَا بِلَحْمِ هَذِهِ النَاقة، فما تبرح حتى تقع للموت فَتُنْحَرَ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ يَمْكُثُ لَا يَأْكُلُ شَيْئًا يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ يَرْفَعُ جَانِبَ الْخِبَاءِ فَتَمُرُّ بِهِ الْإِبِلُ أَوِ الْغَنَمُ فَيَقُولُ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ إِبِلًا وَلَا غَنَمًا أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ! فَمَا تَذْهَبُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَسْقُطَ مِنْهَا طَائِفَةٌ هَالِكَةٌ. فَسَأَلَ الْكُفَّارُ هَذَا الرَّجُلَ أَنْ

---

(١) تفسير السعدي

(٢) أسباب النزول للواحدي ٤٤٣

يُصيبَ لَهُمُ النَّبِيَّ ﷺ بِالْعَيْنِ فَأَجَابَهُمْ، فَلَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْشَدَ:

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسِبُونَكَ سَيِّدًا .... وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

فَعَصَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَنَزَلَتْ: وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ ﴿٥١﴾ [١]

وقالت طائفة أخرى منهم ابن قتيبة: ليس المراد أنهم يصيبونك بالعين كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن الكريم نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك[٢]

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي والحال أن هذا القرآن أو الرسول ﷺ ﴿ما هو إلا ذكر﴾ أي: موعظة وشرف [٣]

﴿ما هو إلا ذكر﴾ فِيهِ وجْهانِ:

أَحَدُهُما: شَرَفٌ لِلْعالَمِينَ، كَما قالَ تَعالى ﴿وَإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ ولِقَوْمِكَ﴾ الثّانِي: يُذَكِّرُهم وعْدَ الجَنَّةِ و وَعِيدَ النّارِ.

وَفي العالَمِينَ وجْهانِ:

أَحَدُهُما: الجِنُّ والإنْسُ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّانِي: كُلُّ أُمَّةٍ مِن أُمَمِ الخَلْقِ مِمَّنْ يُعْرَفُ ولا يُعْرَفُ.

فوائد الآيات في السورة

١- حث القرآن الكريم على العلم وتدوينه وتسطيره

﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾

٢- الحث على مكارم الأخلاق ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

٣- الوعيد لكل مكذب معرض مستهزئ، ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ ﴾

---

(١) تفسير القرطبي

(٢) تفسير ابن القيم

(٣) القرآن تدبر وعمل

٤- التحذير من المداهنة في دين الله تعالى، ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ ﴾

٥- المال والبنون عادة ما يُطغي الانسان

﴿ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ ﴾

٦- الانسان في الدنيا معرض للاختبار والبلاء

﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ١٧ ﴾

٧- تصدق على أحد المساكين،

﴿ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ٢٤ ﴾

٨- قدرة الله تعالى فوق قدرات البشر

﴿ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦ ﴾

٩- قل :لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٩ ﴾

١٠-لا يمكن أن يتساوى المحسن و المسيء

﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ ﴾

١١- صل ركعتين وأطل فيها السجود، وادع الله أن يحسن وقوفك بين يديه

﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢ ﴾

١٢-التذكير باليوم الآخر،

﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣ ﴾

الصبر في تبليغ الرسالة وعدم الاستعجال في انتظار نتائج الدعوة إلى الله تعالى، ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾

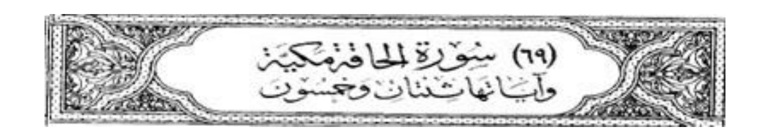
١٣-التسبيح يُنجي من المهلكات ويرفع الدرجات

﴿ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠ ﴾

١٤-اثبات أن العين والحسد حق

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة القلم



سورة الحاقة

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٥٢) آية وعدد كلماتها (٢٨٤) كلمة وعدد حروفها (١١٠٧) حرفا

موضوعات السورة

سورة الحاقة من السور المكية، شأنها شأن سائر السور المكية في تثبيت العقيدة والإيمان، وقد تناولت أمورا عديدة كالحديث عن القيامة وأهوالها، والساعة وشدائدها، والحديث عن المكذبين وما جرى لهم، مثل (قوم عاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون، وقوم نوح) وغيرهم من الطغاة المفسدين في الأرض،
كما تناولت ذكر السعداء والأشقياء، ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو (إثبات صدق) القرآن، وأنه كلام الحكيم العليم، وبراءة الرسول صلى الله عليه وسلم، مما اتهمه به أهل الضلال من الافتراء على الله.
*ابتدأت السورة الكريمة ببيان أهوال القيامة والمكذبين بها، وما عاقب تعالى به أهل الكفر والعناد} الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية
*ثم تناولت الوقائع والفجائع التي تكون عند النفخ في الصور، من خراب العالم، واندكاك الجبال، وانشقاق السموات إلخ

فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة... الآيات.

*ثم ذكرت حال السعداء والأشقياء في ذلك اليوم المفزع، حيث يعطى المؤمن كتابه بيمينه، ويلقى الإكرام والإنعام، ويعطى الكافر كتابه بشماله، ويلقى الذل والهوان} فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه وأما من أوتي كتابه بشماله {..الآيات.

*وبعد هذا العرض لأحوال الأبرار والفجار، جاء القسم البليغ بصدق الرسول، وصدق ما جاء به من الله، ورد افتراءات المشركين الذين زعموا أن القرآن سحرا وكهانة} فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم {الآيات.

*ثم ذكرت البرهان القاطع على صدق القرآن، وأمانة رسول الله في تبليغه الوحي كما نزل عليه، بذلك التصوير الذي يهز القلب هزا ويثير في النفس الخوف والفزع، من هول الموضوع} ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين {..الآيات.

*وختمت السورة بتمجيد القرآن وبيان أنه رحمة للمؤمنين وحسرة على الكافرين} وإنه لتذكرة للمتقين وإنه لحسرة على الكافرين وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم[١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ

(١) تفسير الصابوني

وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ۝١٢ ﴾

فضلها

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ قَرَأَ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْحَاقَّةِ أُجِيرَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ. وَمَنْ قَرَأَهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ من فوق رأسه إلى قدمه[١])

اللغة ومعاني المفردات

﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ القِيَامَةُ الوَاقِعَةُ حقًّا الَّتِي يَتحقّقُ فِيهَا الوَعْدُ وَالوَعِيدُ

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ وأيُّ شَيءٍ عَرَّفَكَ حَقيقَةَ القيامَةِ؟ [٢]

كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ بالقِيَامَةِ الَّتِي تَقْرَعُ القُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ بالصَّيحَةِ الَّتِي جَاوَزَتِ الحَدَّ فِي شِدَّتِهَا [٣]

وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الهُبُوبِ

سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ ۝٧ سَلَّطَهَا عَلَيْهِمْ

﴿حُسُومًا ۝٧ ﴾ مُتَتَابِعَةً؛ لاَ تَفْتُرُ، وَلاَ تَنْقَطِعُ[٤]

﴿صَرْعَى ۝٧ ﴾ مَوْتَى

(١) تفسير القرطبي

(٢) الميسر في الغريب

(٣) غريب القرآن للخضيري

(٤) القرآن تدبر وعمل

﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ ۝٧﴾ أُصولُ نَخْلٍ.

﴿خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ خَرِبَةٍ مُتَآكِلَةِ الأَجْوافِ

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ نَفْسٍ باقِيةٍ دُونَ هَلاكٍ.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ۝٩﴾ أَهْلُ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ الَّذِينَ انْقَلَبَتْ بِهِمْ دِيَارُهُمْ.

﴿بِالْخَاطِئَةِ ۝٩﴾ بِالفَعَلاتِ ذَاتِ الخطأ الجَسِيمِ و بِسَبَبِ الفَعْلَةِ المنكرَةِ مِنَ الكُفْرِ والفواحِشِ.

﴿رَابِيَةً ۝١٠﴾ بَالِغَةً فِي الشِّدَّةِ.

﴿طَغَى الْمَاءُ ۝١١﴾ جَاوَزَ المَاءُ حَدَّهُ، وارْتَفعَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

﴿ حَمَلْنَٰكُمْ ۝١١ ﴾ :حَمَلْناكُم وأنتم في أصْلابِ آبائِكُم وأُمَّهاتِكُم

﴿الْجَارِيَةِ ۝١١﴾ السَّفِينَةِ الَّتِي صَنَعَهَا نُوحٌ عليه السلام، تَجْرِي فِي الماءِ.

﴿ لِنَجْعَلَهَا ۝١٢ ﴾ :لِنَجْعَلَ الواقِعةَ الَّتِي نَجا فِيها المُؤمِنُونَ، وأُغْرِقَ فِيها الكافِرُونَ.

﴿وتَعِيهَا﴾ تَحْفَظُها.

التفسير

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ الحاقةُ مِنْ أَسْماءِ يَوْمِ الْقِيامَةِ؛ لِأَنَّ فِيهَا يَتَحقَّقُ الوَعدُ والوَعيد؛ وَلِهَذَا عَظَّم تَعالَى أمرَها فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ ؟[1]

وَقِيلَ: سُمِّيَتْ حاقَّةً لِأَنَّها تَكُونُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ.

وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّها أَحقَّتْ لِأَقْوَامِ الْجَنَّةِ، وَأَحقَّتْ لِأَقْوَامِ النَّارِ. وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ فِيها يَصِيرُ كُلُّ إِنْسَانٍ حَقِيقًا بِجَزَاءِ عَمَلِهِ.

---

(١) تفسير ابن كثير

مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ مَعْنَاهُ التَّعْظِيمُ وَالتَّفْخِيمُ لِشَأْنِهَا،[١]

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ استفهام أيضا، بمعنى أي شيء أَعْلَمَكَ مَا ذَلِكَ الْيَوْمُ. لِأَنَّكَ لَمْ تُعاينْها، ولَمْ تَدْرِ ما فِيها مِنَ الأَهْوالِ [٢] , وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ عَالِمًا بِالْقِيَامَةِ وَلَكِنْ بِالصِّفَةِ فَقِيلَ تَفْخِيمًا لِشَأْنِهَا: وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ، كَأَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُهَا إِذْ لَمْ تُعَايِنْهَا.
ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل[٣]

وَقَالَ يحي بن سلام: بلغني أن كل شي فِي الْقُرْآنِ وَما أَدْراكَ فَقَدْ أَدْرَاهُ إِيَّاهُ وعلمه , وكل شيء قَالَ: "وَمَا يُدْرِيكَ" فَهُوَ مِمَّا لَمْ يَعْلَمْهُ.

وقال سفيان بن عيينه: كل شيء قال فيه: وَما أَدْراكَ فإنه أخبر به، وكل شيء قال فيه: "وما يدريك" فإنه لم يخبر به.

كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ أمّا ثَمُودُ فَقَوْمُ صالِحٍ كانَتْ مَنازِلُهم في الحِجْرِ فِيما بَيْنَ الشّامِ والحِجازِ، وَأمّا عادٌ فَقَوْمُ هُودٍ، وكانَتْ مَنازِلُهم بِالأحْقافِ، والأحْقافُ الرَّمْلُ بَيْنَ عُمانَ إلى حَضْرَمَوْتَ واليَمَنِ كُلِّهِ، وكانُوا عَرَبًا ذَوِي خَلْقٍ وبَسْطَةٍ [٤] ,

و القارِعَةُ: اسْمٌ مِن أسْماءِ يَوْمِ القِيامَةِ.

قالَ مُقاتِلٌ: وإنَّما سُمِّيَتْ بِالقارِعَةِ، لِأنَّ اللَّهَ تَعالى يَقْرَعُ أعْداءَهُ بِالعَذابِ.

وقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: القارِعَةُ: القِيامَةُ لِأنَّها تَقْرَعُ، يُقالُ: أصابَتْهم قَوارِعُ الدَّهْرِ.

وقالَ الزَّجّاجُ: لِأنَّها تَقْرَعُ بِالأهْوالِ.

وقالَ غَيْرُهُمْ: لِأنَّها تَقْرَعُ القُلُوبَ بِالفَزَعِ.

ثم ذكر نموذجاً من أحوالها الموجودة في الدنيا المشاهدة فيها، وهو ما أحله من العقوبات البليغة بالأمم العاتية فقال :﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ ﴾

---

(١) تفسير القرطبي

(٢) تفسير ابن الجوزي

(٣) تفسير السعدي

(٤) تفسير الماوردي

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ بالواقِعَةِ المُجاوِزَةِ لِلْحَدِّ في الشِّدَّةِ وهي الصَّيْحَةُ، أوِ الرَّجْفَةُ لِتَكْذِيبِهِمْ بالقارِعَةِ، أوْ بِسَبَبِ طُغْيانِهِمْ بالتَّكْذِيبِ وغَيْرِهِ[1]

و فِيها خَمْسَةُ أقاوِيلَ:

أحَدُها: بالصَّيْحَةِ، قالَهُ قَتادَةُ.

الثّانِي: بِالصّاعِقَةِ، قالَهُ الكَلْبِيُّ.

الثّالِثُ: بِالذُّنُوبِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

الرّابِعُ: بِطُغْيانِهِمْ، قالَهُ الحَسَنُ.

الخامِسُ: أنَّ الطّاغِيَةَ عاقِرُ النّاقَةِ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦﴾ أيْ شَدِيدَةِ الصَّوْتِ أوِ البَرْدِ مِنَ الصِّرِّ

وأمّا صَرْصَرٌ فَفِيها قَوْلانِ:

أحَدُهُما: أنَّها الرِّيحُ البارِدَةُ، قالَهُ الضَّحّاكُ والحَسَنُ، مَأْخُوذٌ مِنَ الصِّرِّ وهو البَرْدُ.

الثّانِي: أنَّها الشَّدِيدَةُ الصَّوْتِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

.﴿عاتِيَةٍ﴾ شَدِيدَةِ العَصْفِ كَأنَّها عَتَتْ عَلى خُزّانِها فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ضَبْطَها، أوْ عَلى عادٍ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلى رَدِّها.

وَأمّا العاتِيَةُ فَفِيها ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: القاهِرَةُ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

الثّانِي: المُجاوِزَةُ لِحَدِّها.

الثّالِثُ: الَّتِي لا تَبْقى ولا تُرْقَبُ.

وَفي تَسْمِيَتِها عاتِيَةً وجْهانِ:

أحَدُهُما: لِأنَّها عَتَتْ عَلى القَوْمِ بِلا رَحْمَةٍ ولا رَأْفَةٍ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّانِي: لِأنَّها عَتَتْ عَلى خُزّانِها بِإذْنِ اللَّهِ[2]

---

[1] تفسير البيضاوي

[2] تفسير الماوردي

سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ أَرْسَلَهَا عَلَيْهِمْ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: سَلَّطَهَا عَلَيْهِمْ , رُوي أنها بدت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر [١] ,

وقيل هِيَ الْأَيَّامُ الَّتِي تُسَمِّيهَا الْعَرَبُ أَيَّامَ الْعَجُوزِ، ذَاتُ بَرْدٍ وَرِيَاحٍ شَدِيدَةٍ

و قِيلَ: سُمِّيَتْ عَجُوزًا لِأَنَّهَا فِي عَجُزِ الشِّتَاءِ

وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ عَجُوزًا مِنْ قَوْمِ عَادٍ دَخَلَتْ سِرْبًا فَتَبِعَتْهَا الرِّيحُ، فَقَتَلَتْهَا الْيَوْمَ الثَّامِنَ مِنْ نزولِ الْعَذَابِ وَانْقَطَعَ الْعَذَابُ

﴿حُسُومًا﴾ أي مُتَتَابِعَةً أو دائمة

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾ أَيْ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ﴿صَرْعَى﴾ هَلْكَى جَمْعُ صَرِيعٍ

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ سَاقِطَةٍ، وَقِيلَ: خَالِيَةِ الْأَجْوَافِ [٢]

فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾ قال ابْنُ جُرَيْجٍ: أقاموا سَبْعَ لَيالٍ وثَمانِيَةَ أيّامٍ أحْياءً في عَذابِ الرِّيحِ فَلَمّا أمْسَوْا في اليَوْمِ الثّامِنِ ماتُوا فاحْتَمَلَتْهُمُ الرِّيحُ فَألْقَتْهم في البَحْرِ [٣] والمعنى هل ترى لهم من فِرْقَةٍ باقِيَةٍ، أوْ من نَفْسٍ باقِيَةٍ

وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ أيْ: وجاء فرعون وما تقدمه مِنَ الأُمَمِ الكافِرَةِ

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ أَيْ: قُرَى قَوْمِ لُوطٍ، يُرِيدُ: أَهْلَ الْمُؤْتَفِكَاتِ.

وَقِيلَ يُرِيدُ الْأُمَمَ الَّذِينَ ائْتَفَكُوا بِخَطِيئَتِهِمْ، أَيْ أُهْلِكُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أَيْ بِالْخَطِيئَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَهِيَ الشِّرْكُ.

فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ يَعْنِي عصوا لُوطًا وَمُوسَى ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ شَدِيدَةً مُهْلِكَةً . وَقِيلَ: زَائِدَةً عَلَى عَذَابِ الْأُمَمِ.

---

(١) تفسير ابن جزي

(٢) تفسير البغوي

(٣) فتح القدير للشوكاني

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ أَنَّهُ قالَ: ما أَرْسَلَ مِن رِيحٍ قَطُّ إلّا بِمِكْيالٍ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِن قَطْرَةٍ قَطُّ إلّا بِمِثْقالٍ، إلّا يَوْمَ نُوحٍ وعادٍ، فَإنَّ الماءَ يَوْمَ نُوحٍ طَغى عَلى خُزّانِهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهم عَلَيْهِ سَبِيلٌ، ثُمَّ قَرَأ :﴿إنّا لَمّا طَغى الماءُ﴾ الآيَةَ.

وَإنَّ الرِّيحَ طَغَتْ عَلى خُزّانِها يَوْمَ عادٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهم عَلَيْها سَبِيلٌ ثُمَّ قَرَأ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾

﴿حَمَلْناكم في الجارِيَةِ﴾ يَعْنِي سَفِينَةَ نُوحٍ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأنَّها جارِيَةٌ عَلى الماءِ.

وَفي قَوْلِهِ حَمَلْناكم وجْهانِ:

أحَدُهُما: حَمَلْنا آباءَكُمُ الَّذِينَ أنْتُمْ مِن ذُرِّيَّتِهِمْ.

الثّانِي: أنَّهم في ظُهُورِ آبائِهِمُ المَحْمُولِينَ، فَصارُوا مَعَهم [١]

أسباب النزول

قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: "إنَّ اللَّهَ أمَرَنِي أنْ أُدْنِيَكَ ولا أُقْصِيَكَ، وأنْ أُعَلِّمَكَ وتَعِيَ، وحَقٌّ عَلى اللَّهِ أنْ تَعِيَ" . فَنَزَلَتْ :﴿وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ [٢]

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ أي: نجعل تلك الفعلة، وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين، لكم عبرة وعظة، تحفظها،

﴿أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ أي: من شأنها أن تحفظ ما سمعت به، ولا تضيعه بترك التفكر والعمل به، فالواعية هي التي عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب الله تعالى

(١) تفسير الماوردي

(٢) أسباب النزول للواحدي ٤٤٤

وَرَوى مَكْحُولٌ أن النبي ﷺ قال لعلي كرم الله تعالى وجهه: «إني دعوت الله تعالى أن يجعلها أذنك يا علي " , قالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ تَعالى وجْهَهُ : فَما سَمِعْتُ شَيْئًا فَنَسِيتُهُ وما كانَ لِي أنْ أنْسى [١]

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ۝١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ۝١٨ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧ ﴾

اللغة ومعاني الكلمات

﴿الصُّورِ ۝١٣﴾ :القَرْنِ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إسْرافِيلُ عليه السلام عِنْدَ قِيامِ السّاعةِ.

﴿نَفْخَةٌ واحِدَةٌ ۝١٣﴾ :هِيَ: النَّفْخَةُ الأُولى الَّتِي يَكُونُ بِها هَلاكُ العالَمِ [٢]

---

[١] جامع البيان للايجي

[٢] غريب القرآن للخضيري

﴿وَحُمِلَتِ ﴿١٤﴾ ﴾ :رُفِعَتْ مِن أماكِنِها.

﴿فَدُكَّتَا ﴿١٤﴾ ﴾ :دُقَّتا، وكُسِّرَتا.

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ قامَتِ القِيامَةُ.

﴿ وَٱنشَقَّتِ ﴿١٦﴾ ﴾ :انْصَدَعَتْ مُتَشَقِّقَةً.

﴿وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ :ضَعِيفَةٌ، مُسْتَرْخِيَةٌ , ضَعِيفَةٌ لا تَماسُكَ فِيها[١]

﴿وَالْمَلَكُ ﴿١٧﴾ ﴾ :المَلائِكَةُ.

﴿أَرْجَائِهَا ﴿١٧﴾ ﴾ :جَوانِبِها، وأَطْرافِها.

﴿عَرْشَ رَبِّكَ ﴿١٧﴾ ﴾ :وهو سَرِيرُ المُلْكِ الَّذِي تَحْمِلُه الملائِكَةُ، واسْتَوى عَلَيهِ الرحمنُ، وهو أعْظَمُ المَخْلُوقاتِ، وهو سَقْفُ جَنَّةِ الفِرْدَوسِ.

﴿ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ :أي من الملائِكَةِ العِظامِ.

﴿تُعْرَضُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ :عَلَى اللهِ لِلْجَزاءِ والحِساب.

﴿ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ :لا تَخْفى عَلى اللهِ نَفْسٌ خافِيَةٌ مِنكُم

﴿هَاؤُمُ ﴿١٩﴾ ﴾ :خُذُوا أو تعالَوا

﴿ظَنَنتُ ﴿٢٠﴾ ﴾ :أيْقَنْتُ.

﴿حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ :جَزائِي يومَ القِيامَةِ.

﴿رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾ :هَنِيئَةٍ مَرْضِيَّةٍ.

﴿عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ :مُرْتَفِعَةِ المكانِ والدَّرجاتِ.

﴿قُطُوفُهَا ﴿٢٣﴾ ﴾ :ثِمارُها.

﴿دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ :قَرِيبَةٌ يَتَناوَلُها القاعِدُ والمُضْطَجِعُ.

---

(١) الميسر في الغريب

﴿هَنِيئًا ﴿٢٤﴾﴾ :أكْلًا وشُرْبًا يَهْنأُ بِهما صاحِبُهُما. غَيْرَ مُنْغَّصٍ، ولا مُكَدَّرٍ.

﴿أَسْلَفْتُمْ ﴿٢٤﴾﴾ :قَدَّمْتُم.

﴿ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ :أيّامِ الدُّنيا الماضِيةِ.

﴿مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ :ما جَزائِي؟

﴿يَٰلَيْتَهَا ﴿٢٧﴾﴾ :يا ليتَ الموتَةَ الّتي مِتُّها في الدُّنيا.

﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ :المَوْتَةَ القاطِعَةَ لِأَمْري، ولَمْ أُبْعَثْ.

﴿مَا أَغْنَىٰ ﴿٢٨﴾﴾ :ما نَفَعَني.

﴿هَلَكَ عَنِّي ﴿٢٩﴾﴾ :ذَهَبَ وغاب عَنِّي

﴿سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ :حُجَّتِي، وقُوَّتي و مُلْكِي

﴿فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ :اجْمَعُوا يَدَيْهِ إلى عُنُقِهِ بالأَغْلالِ.

﴿صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ :أدْخِلُوهُ، وأَحْرِقُوهُ بها.

﴿ سِلْسِلَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ :مَجْمُوعِ حَلَقٍ مِن حَدِيدٍ داخِلٍ بَعْضُها في بَعْضٍ

﴿ذَرْعُهَا ﴿٣٢﴾﴾ مِقْدارُ طُولِها بِذِراعِ المَلَكِ.

﴿فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ :فَأَدْخِلُوهُ فِيها.

﴿وَلَا يَحُضُّ ﴿٣٤﴾﴾ :ولا يَحُثُّ.

﴿هَٰهُنَا ﴿٣٥﴾﴾ :يومَ القِيامةِ.

﴿حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ :قَرِيبٌ يَحْمِيهِ مِنَ العَذابِ.

﴿غِسْلِينٍ﴾ :صَدِيدِ أهْلِ النّارِ وما يَسِيلُ مِن أجْسادِهِم.

﴿الْخَاطِئُونَ ﴿٣٦﴾﴾ :المُذْنِبُونَ، أشَدَّ الذَّنبِ والمُصِرُّونَ عَلى الكُفْرِ والشرك

التفسير

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ شُروعُ بَيانِ نَفْسِ الحاقَّةِ وكَيْفِيَّةِ وُقُوعِها إثْرَ بَيانِ عِظَمِ شَأْنِها بِإهْلاكِ مُكَذِّبِيها. والمُرادُ بِالنَّفْخَةِ الواحِدَةِ النَّفْخَةُ الأُولى الَّتِي عِنْدَها خَرابُ العالَمِ كَما قالَ ابْنُ عَبّاسٍ [1]

المُرادُ مِن هَذِهِ النَّفْخَةِ الواحِدَةِ، هي النَّفْخَةُ الأُولى؛ لِأنَّ عِنْدَها يَحْصُلُ خَرابُ العالَمِ، فَإنْ قِيلَ: لِمَ قالَ بَعْدَ ذَلِكَ: يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ، والعَرْضُ إنَّما يَكُونُ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثّانِيَةِ ؟ قُلْنا: جَعَلَ اليَوْمَ اسْمًا لِلْحِينِ الواسِعِ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ النَّفْخَتانِ، والصَّعْقَةُ والنُّشُورُ، والوُقُوفُ والحِسابُ، فَلِذَلِكَ قالَ :﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [2]

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ هي النَفْخَةُ الأُولى، ويَمُوتُ عِنْدَها الناسُ، والثانِيَةُ يُبْعَثُونَ عِنْدَها[3]

﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤﴾ أي رُفعت من أماكنها.

﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤﴾: أي ضرب بعضها ببعض فاندكت وصارت كثيباً مهيلاً

وقال الزمخشري: الدك أبلغ من الدق

وقيل؛ معناه بسطت حتى تستوي الأرض والجبال[4]

﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥﴾ أي قامت القيامة[5]

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦﴾ وانشقاق السماء يعني أنّها فَتَحتْ أبْوابَها

---

(1) تفسير الآلوسي

(2) تفسير الرازي

(3) تفسير النسفي

(4) تفسير ابن جزي

(5) أيسر التفاسير

﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦﴾ أي مسترخية ضعيفة القوة.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ١٧﴾ والمعنى إن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء، خاضعين لربهم، مستكينين لعظمته[١]

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال ابن عباس: هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدّتهم.

وقيل: ثمانية أملاك رؤوسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة، ويؤيد هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة قوّاهم الله بأربعة سواهم[٢]

وقال عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو: حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثَمَانِيَةٌ، مَا بَيْنَ مُوق أَحَدِهِمْ إِلَى مُؤَخَّرِ عَيْنِهِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ[٣]

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أذنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: بُعْدُ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعُنُقِهِ بِخَفْقِ الطَّيْرِ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ."

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْكَرُوبِيّون ثَمَانِيَةُ أَجْزَاءٍ، كُلُّ جِنْسٍ مِنْهُمْ بِقَدْرِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَالْمَلَائِكَةِ.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ١٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله عالم السر والنجوى الذي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِكُمْ، بَلْ هُوَ عَالِمٌ بِالظَّوَاهِرِ وَالسَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ؛ وَلِهَذَا قَالَ :﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ لا من أجسامكم وأجسادكم ولا من أعمالكم وصفاتكم ، فإن الله تعالى عالم الغيب والشهادة. ويحشر العباد حفاة عراة غرلا، في أرض مستوية، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا،

(١) تفسير السعدي

(٢) تفسير ابن جزي

(٣) تفسير ابن كثير

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فجدالٌ ومعاذيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ" [1]

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ سَعَادَةِ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَمِينِهِ، وَفَرَحِهِ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ يَقُولُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ أَيْ: خُذُوا اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي فِيهِ خَيْرٌ وَحَسَنَاتٌ مَحْضَةٌ؛ لِأَنَّهُ مِمَّنْ بَدل اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ.

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: الْمُؤْمِنُ يُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فِي سِتْرٍ مِنَ اللَّهِ، فَيَقْرَأُ سَيِّئَاتِهِ، فَكُلَّمَا قَرَأَ سَيِّئَةً تَغَيَّرَ لَوْنُهُ حَتَّى يَمُرَّ بِحَسَنَاتِهِ فَيَقْرَؤُهَا، فَيَرْجِعُ إِلَيْهِ لَوْنُهُ. ثُمَّ يَنْظُرُ فَإِذَا سَيِّئَاتُهُ قَدْ بُدِّلَتْ حَسَنَاتٍ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾

وفِي الصَّحِيحِ حديثُ ابْنِ عُمَرَ حِينَ سُئِلَ عَنِ النجوى، فقال: سمعت النبي الله ﷺ يَقُولُ: "يُدْنِي اللهُ العبدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيُقَرِّره بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ اللَّهُ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ يُعطَى كتابَ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [2]

إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ أَيْ: قَدْ كُنْتُ مُوقِنًا فِي الدُّنْيَا أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ , والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما مَنَّ الله به عليَّ من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: أيقنت فالظن هنا بمعنى اليقين [3]

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ أَيْ: مُرْضِيَّةٍ،

---

[1] تفسير ابن كثير

[2] تفسير ابن كثير

[3] تفسير السعدي

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ أَيْ: رَفِيعَةٌ قُصُورُهَا، حِسَانٌ حُورُهَا، نَعِيمَةٌ دُورُهَا، دَائِمٌ حُبُورُهَا.

وعَنْ أَبِي سَلَّامٍ الْأَسْوَدِ قَالَ: سمعتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: سَأَلَ رجلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: هَلْ يَتَزَاوَرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنَّهُ لَيَهْبِطُ أَهْلُ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا إِلَى أَهْلِ الدَّرَجَةِ السُّفْلَى، فَيُحَيُّونَهُمْ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَهْلُ الدَّرَجَةِ السُّفْلَى يَصْعَدُونَ إِلَى الْأَعْلَيْنَ، تَقْصُرُ بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ"

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: "إِنَّ الْجَنَّةَ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ أَيْ ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قَرِيبَةٌ، يَتَنَاوَلُهَا أَحَدُهُمْ، وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى سَرِيرِهِ او قياما وقعودا ومتكئ

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا بِجَوَازٍ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، أَدْخِلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ"

ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها قياما وقعودا ومتكئين.

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ؛ تَفَضُّلًا عَلَيْهِمْ، وَامْتِنَانًا وَإِنْعَامًا وَإِحْسَانًا. وَإِلَّا فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "اعْمَلُوا وَسَدِّدوا وقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يدخلَه عملُه الجنةَ".

قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: "وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ"

﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ من ترك الأعمال السيئة و عمل الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلى الخلق، وذكر لله وإنابة إليه. فالأعمال جعلها الله سبباً لدخول الجنة ومادة لنعيمها وأصلاً لسعادتها.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ هؤلاء أهل الشقاء من الكفار بدليل قوله :﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ ﴾ فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم [١]، حيث يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم تمييزاً لهم وخزياً وعاراً وفضيحةً، فيقول أحدهم من الهم والغم والخزي وشدة الندم ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾

يا ليتني لم أعط كتاب أعمالي لما فيه من الأعمال السيئة المستوجبة لعذابي وأيضاً لِما يَرى فِيهِ مِنَ القَبائِحِ لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبدية

وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها؟

وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ و يا ليتني لم أعرف أي شيء يكون حسابي [٢]

يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ أي ليت الموتة الأولى كانت القاضية القاطِعَةَ لِلْحَياةِ بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء

مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ أيْ: لَمْ يَدْفَعْ عَنِّي مِن عَذابِ اللَّهِ شَيْئًا والمَعْنى: أيَّ شَيْءٍ أغْنى عَنِّي مالِي.

يَحْتَمِلُ وجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: أنَّ كَثْرَةَ مالِهِ في الدُّنْيا لَمْ يَمْنَعْ عَنْهُ في الآخِرَةِ.

الثّانِي: لِأنَّ رَغْبَتَهُ في زِينَةِ الدُّنيا وكَثْرَةِ المالِ هو الَّذِي ألْهاهُ عَنِ الآخِرَةِ [٣]

هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ أيْ: هَلَكَتْ عَنِّي حُجَّتِي وضَلَّتْ عَنِّي

وقيل يَعْنِي زال سُلْطانِيَ الَّذِي في الدُّنْيا، وهو المُلْكُ،

---

(١) تفسير ابن جزي

(٢) المختصر في التفسير

(٣) تفسير الماوردي

وقِيلَ: زال تَسَلُّطِي عَلى جَوارِحِي حيث تشهده عليه جلده ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ أيْ: يَقُولُ اللَّهُ تَعالى :﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ اجْمَعُوا يَدَهُ إلى عُنُقِهِ بِالأَغْلالِ(١)

ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ أيْ: أدْخِلُوهُ الجَحِيمَ، والمَعْنى: لا تُصَلُّوهُ إلّا الجَحِيمَ، وهي النّارُ العَظِيمَةُ

ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ وهي حِلَقٌ مُنْتَظِمَةٌ

﴿ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعًا﴾ قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: بِذِراعِ المَلِكِ.

وقالَ نَوْفٌ الشّامِيُّ: كُلُّ ذِراعٍ سَبْعُونَ باعًا، الباعُ أبْعَدُ مِمّا بَيْنَكَ وبَيْنَ مَكَّةَ، وكانَ في رَحْبَةِ الكُوفَةِ.

وقالَ سُفْيانُ: كُلُّ ذِراعٍ سَبْعُونَ ذِراعًا.

وقالَ مُقاتِلٌ: ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعًا بِالذِّراعِ الأوَّلِ.

ويُقالُ: إنَّ جَمِيعَ أهْلِ النّارِ في تِلْكَ السِّلْسِلَةِ.

﴿فاسْلُكُوهُ﴾ أيْ: أدْخِلُوهُ , وذُكِرَ أنَّها تَدْخُلُ في دُبُرِ الكافِرِ فَتَخْرُجُ مِن رَأْسِهِ، فَذَلِكَ سَلْكُهُ فِيها

إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ أيْ: لا يُصَدِّقُ بِوَحْدانِيَّتِهِ وعَظَمَتِهِ

وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ أيْ: لا يُطْعِمُ المسكين، ولا يَأْمُرُ بِإطْعامِهِ

فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ أيْ: فليس له قَرِيبٌ يَنْفَعُهُ، ويَدْفَعُ عَنْهُ العذاب او يخففه كَما كانَ يَفْعَلُ مَعَهُ في الدُّنْيا.

---

(١) فتح القدير للشوكاني

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ أي وليس له طعام يأكله إلا من طعام الغسلين الذي هو صديد أهل النار فإنهم عندما يأكلون شجر الغسلين يكون كالمسهل في بطونهم (كالذي يعاني من الاسهال) فيخرج كل ما في بطونهم وذلك هو الغسلين الذي يأكلونه , فذلك الغسلين الذي لا يأكله إلا الخاطئون أي الذين ارتكبوا خطيئة الكفر والعياذ بالله تعالى[1].

فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقاوِيلَ:

أحَدُها: أنَّهُ غَسّالَةُ أطْرافِهِمْ، قالَهُ يَحْيى بْنُ سَلامٍ، قالَ الأخْفَشُ: هو فِعْلِينُ مِنَ الغَسْلِ.

الثّانِي: أنَّهُ صَدِيدُ أهْلِ النّارِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّالِثُ: أنَّهُ شَجَرَةٌ في النّارِ هي أخْبَثُ طَعامِهِمْ، قالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أنَسٍ.

الرّابِعُ: أنَّهُ الحارُّ الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ نُضْجُهُ، بِلُغَةِ أزْدِ شَنُوءَةَ[2]

لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ الآثِمُونَ أصْحابُ الخَطايا، وخَطِئَ الرَّجُلُ إذا تَعَمَّدَ الذَّنْبَ وهُمُ المُشْرِكُونَ[3]

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾

---

(1) ايسر التفاسير

(2) تفسير الماوردي

(3) تفسير الرازي

اللغة ومعاني المفردات

﴿فَلَا أُقْسِمُ ۝٣٨﴾ : أي أُقْسِمُ، و(لا): لِتأكِيدِ القَسَمِ.

﴿ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ ﴾ :مِنَ الأرضِ والجِبالِ والبِحارِ والبَشَرِ والسَّمواتِ ونحوِها

وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ مِنَ الأرواحِ والملائِكةِ وأُمُورِ الآخِرَةِ.

إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ يَنْطِقُ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، والكَلامُ كَلامُ المُرسِلِ سُبْحانَهُ وتَعالى

﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ ﴾ :تُؤْمِنُونَ إيمانا قَلِيلا لا يُنْجِيكُم مِن الخُلُود في النّارِ.

﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۝٤٢ ﴾ ولا بِسَجْعٍ كَسَجَعِ الكُهّانِ الّذِينَ يَدَّعُونَ عِلْمَ المُغَيَّباتِ.

﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ :تَتَذَكَّرُونَ تَذَكُّرًا قَلِيلًا.

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ ولَو كَذَبَ عَلَينا بأنّا قُلْنا قَوْلًا لم نَقُلْه.

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ﴾ :لَأَخَذْناهُ بِقُوَّةٍ وقُدْرَةٍ.

﴿الْوَتِينَ ۝٤٦ ﴾ :نِياطَ القَلْبِ، هو عِرْقٌ عُلِّقَ به القلبُ ويَسْقِي الجسدَ بالدَّمِ، فإذا قُطِعَ ماتَ صاحِبُه..

﴿حَاجِزِينَ ۝٤٧ ﴾ :مانِعِينَ الهَلاكَ والعِقابَ عَنْهُ.

﴿ لَتَذْكِرَةٌ ۝٤٨ ﴾ :لَعِظَةٌ.

﴿لَحَسْرَةٌ ۝٥٠ ﴾ :لَنَدامَةٌ عَظِيمَةٌ.

﴿وَإِنَّهُۥ ۝٥١ ﴾ :أي التَّكْذِيبَ.

﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ :الخبرُ الصِّدقُ[١]

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ۝٥٢ ﴾ :فَنَزِّهْ رَبَّكَ عَمّا لا يَلِيقُ بِهِ ذاكِرًا اسْمَهُ.

---

(١) الميسر في غريب القرآن

التفسير

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨﴾ يقولُ تعالَى مُقسمًا لِخَلْقِهِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ آيَاتِهِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا غَابَ عَنْهُمْ مِمَّا لَا يُشَاهِدُونَهُ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ عَنْهُمْ: إِنَّ الْقُرْآنَ كلامُه وَوَحْيُهُ وتنزيلُه عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، الَّذِي اصْطَفَاهُ لِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، فَقَالَ :﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يَعْنِي: مُحَمَّدًا، أَضَافَهُ إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُبَلِّغَ عَنِ الْمُرْسِلِ؛ وَلِهَذَا أَضَافَهُ فِي سُورَةِ التَّكْوِيرِ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ وَهَذَا جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا سَاحِرٌ.

وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: شَاعِرٌ.

وَقَالَ عُقْبَةُ: كَاهِنٌ،

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَلا أُقْسِمُ أي أقسم.

وقيل: فَلا هَا هُنَا نَفْيٌ لِلْقَسَمِ، أَيْ لَا يَحْتَاجُ فِي هَذَا إِلَى قَسَمٍ لِوُضُوحِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ، وَعَلَى هَذَا فَجَوَابُهُ كَجَوَابِ الْقَسَمِ.

(إِنَّهُ) يَعْنِي الْقُرْآنَ (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يُرِيدُ جِبْرِيلَ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَالْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ. دَلِيلُهُ: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ[2]

﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ فيه وجهان:

أحدُهما: بِما تُبْصِرُونَ مِنَ الخَلْقِ وما لا تُبْصِرُونَ مِنَ الخَلْقِ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

---

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير القرطبي

الثّانِي: أنَّهُ رَدٌّ لِكَلامٍ سَبَقَ (أن محمداً شاعراً أو كاهناً)أيْ لَيْسَ الأمْرُ كَما يَقُولُهُ المُشْرِكُونَ.

وَيَحْتَمِلُ ثالِثًا: بِما تَعْلَمُونَ وما لا تَعْلَمُونَ، مُبالَغَةً في عُمُومِ القَسَمِ. (١)

إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ ﴿إنَّهُ﴾ يَعْنِي القُرْآنَ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أيْ تِلاوَةُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ. (٢)

﴿إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: هذا جواب القسم، والضمير للقرآن، والرسول الكريم جبريل، وقيل: لمحمد عليه الصلاة والسلام(٣)

و فِيهِ قَوْلانِ:

أحَدُهُما: جِبْرِيلُ، قالَهُ الكَلْبِيُّ ومُقاتِلٌ.

الثّانِي: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ولَيْسَ القُرْآنُ مِن قَوْلِ الرَّسُولِ، إنَّما هو مِن قَوْلِ اللَّهِ وإبْلاغِ الرَّسُولِ، فاكْتَفى بِفَحْوى الكَلامِ عَنْ ذِكْرِهِ.

وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ كَما تَزْعُمُونَ لِأنَّهُ لَيْسَ مِن أصْنافِ الشِّعْرِ ولا مُشابِهَ لَهُ ولا على نظم الشعر ﴿قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ﴾ أيْ إيمانًا قَلِيلًا تُؤْمِنُونَ، وتَصْدِيقًا يَسِيرًا تُصَدِّقُونَ،

وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ كَما تَزْعُمُونَ، فَإنَّ الكِهانَةَ أمْرٌ آخَرُ, لا جامِعَ بَيْنَها وبَيْنَ هَذا ﴿قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ﴾ أيْ: تَذَكُّرًا قَلِيلًا، أوْ زَمانًا قَلِيلًا تَتَذَكَّرُونَ (٤)

(١) تفسير الماوردي

(٢) تفسير البغوي

(٣) تفسير ابن جزي

(٤) فتح القدير للشوكاني

تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ هو تنْزِيلٌ ﴿مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾ نَزَّلَهُ سُبْحانَهُ عَلى لِسانِ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلامُ[1] أي منزّل من رب الخلائق كلهم[2]

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ أَيْ: مُحَمَّدٌ ﷺ لَوْ كَانَ كَمَا يَزْعُمُونَ مُفْتَرِيًا عَلَيْنَا، فَزَادَ فِي الرِّسَالَةِ أَوْ نَقَصَ مِنْهَا، أَوْ قَالَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ فَنَسَبَهُ إِلَيْنَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، لَعَاجَلْنَاهُ بِالْعُقُوبَةِ. وَلِهَذَا قَالَ:

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ لَانْتَقَمْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ؛ لِأَنَّهَا أَشَدُّ فِي الْبَطْشِ[3]

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ وَهُوَ نِيَاطُ الْقَلْبِ، وَهُوَ العِرْقُ الَّذِي الْقَلْبُ مُعَلَّقٌ فِيهِ

فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ أَيْ: فَمَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ يَحْجِزَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إِذَا أَرَدْنَا بِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَالْمَعْنَى فِي هَذَا بَلْ هُوَ صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، مُقَرِّرٌ لَهُ مَا يُبَلِّغُهُ عَنْهُ، وَمُؤَيِّدٌ لَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الدَّلَالَاتِ الْقَاطِعَاتِ.

وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ وقيل: لمحمد ﷺ ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أَيْ لَعِظَةٌ لِمَنِ اتَّقَى عِقَابَ اللَّهِ[4]

وفي التَّذْكِرَةِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: رَحْمَةٌ.

الثَّانِي: ثَبَاتٌ.

الثَّالِثُ: مَوْعِظَةٌ.

الرَّابِعُ: نَجَاةٌ.

---

(1) تفسير الآلوسي

(2) المختصر في التفسير

(3) تفسير ابن كثير

(4) تفسير البغوي

﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ وإنا لَنعلم أنَّ مِنكم مَن يكذِّب بهذا القرآن مع وضوح آياته , فنحن نجازيهم على ذلك بما يليق به إظهاراً للعدل وفي هذا وعيد شديد[1]

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَنْدَمُونَ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ بِهِ , لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين

وَيَحْتَمِلُ وجْهًا ثانِيًا: أنْ يَزِيدَ حَسْرَتَهم في الدُّنْيا حِينَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلى مُعارَضَتِهِ عِنْدَ تَحَدِّيهِمْ أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ[2]

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١﴾ فِيهِ وجْهانِ:

أحَدُهُما: أيْ حَقًّا ويَقِينًا لَيَكُونَنَّ الكُفْرُ حَسْرَةً عَلى الكافِرِينَ يَوْمَ القِيامَةِ، قالَهُ الكَلْبِيُّ.

الثّانِي: يَعْنِي القُرْآنَ عِنْدَ جَمِيعِ الخَلْقِ (المؤمن والكافر)أنَّهُ حَقٌّ،

قالَ قَتادَةُ: إلّا أنَّ المُؤْمِنَ أيْقَنَ بِهِ في الدُّنْيا فَنَفَعَهُ، والكافِرَ أيْقَنَ بِهِ في الآخِرَةِ فَلَمْ يَنْفَعْهُ.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٥٢﴾ فِيهِ وجْهانِ:

أحَدُهُما: فَصَلِّ لِرَبِّكَ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّانِي: فَنَزِّهْهُ بِلِسانِكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ.

---

(١) فتح البيان للقنوجي

(٢) تفسير الماوردي

فوائد الآيات في السورة

١- ثبوت وقوع يوم القيامة وأهوالها العظيمة ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ ﴾

٢- عاقبة التكذيب بيوم القيامة هلاك الأمم السابقة بأشد ما يكون العذاب وبأنواع مختلفة من العذاب ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ ﴾

٣- نتيجة المعاصي وخيمة جداً ﴿ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠ ﴾

٤- الاستعداد ليوم العرض فلا يخفى أحد في ذلك الزحام الشديد ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ۝١٨ ﴾

٥- النجاح الحقيقي والفوز العظيم يكون يوم القيامة حيث يأخذ المؤمن شهادة نجاته من النار فيقول للخلائق ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠ ﴾

١- ترك معاصي الخلوات فالله لا تخفى عليه خافية ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠ ﴾

٢- يجازي الله تعالى المؤمنين في الجنة بكل أنواع النعيم حيث صبروا في الدنيا على مشقة الطاعات وعلى حب الشهوات ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝٢٤ ﴾

٣- برغم أن الانسان يكره الموت ويفر منه , لكن الكافر يتمنى الموت والفناء في ذلك اليوم العظيم ﴿ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ ﴾

٤- لكل شيء وقت فإذا راح وقته راحته أهميته , فالكافر يتجبر بالمال والسلطة في الدنيا , لكنه في يوم القيامة لا مال ينفع ولا سلطة تشفع ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩ ﴾

٥- من أعظم اسباب دخول النار , عدم الايمان بالله تعالى , وعدم الحث على إطعام المساكين ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣٤ ﴾

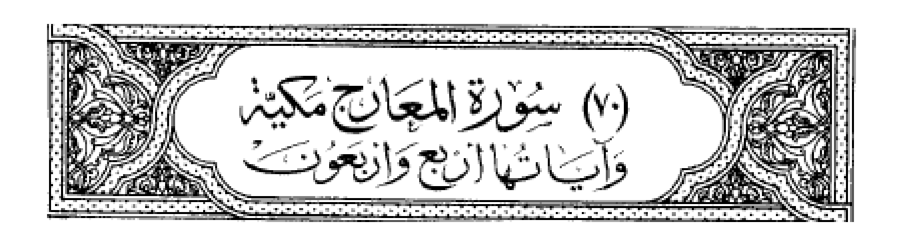
٦- الصحبة الصالحة تنفع , والصحبة السيئة لا تنفع ﴿ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ۝٣٥ ﴾

٧- لا مجاملة عند الله تعالى في الحق , حتى مع الرسل عليهم السلام ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ ﴾

٨- أعظم تذكرة هو القرآن الكريم , ولكنه للمتقين فقط ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ ﴾

٩- تسبيح الله تعالى أمر عظيم جداً ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٥٢ ﴾

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة الحاقة



سورة المعارج

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٤٤) آية وعدد كلماتها (٢٤١) كلمة وعدد حروفها (٩٤٧) حرفا

موضوعات السورة

سورة المعارج من السور المكية، التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية، وقد تناولت الحديث عن القيامة وأهوالها، والآخرة وما فيها من سعادة وشقاوة، وراحة ونصب، وعن أحوال المؤمنين والمجرمين، في دار الجزاء والخلود، والمحور الذي تدور عليه السورة الكريمة هو الحديث عن كفار مكة وإنكارهم للبعث والنشور، واستهزاؤهم بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

*ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن طغيان أهل مكة، وعن تمردهم على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، واستهزائهم بالإنذار والعذاب الذي خوفوا به، وذكرت مثلا لطغيانهم بما طلبه بعض صناديدهم وهو (النضر بن الحارث) حين دعا أن ينزل الله عليه وعلى قومه العذاب العاجل، ليستمتعوا به في الدنيا قبل الآخرة، وذلك مكابرة في الجحود والعناد} سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج {..الآيات.

*ثم تناولت الحديث عن المجرمين في ذلك اليوم الفظيع الذي تتفطر فيه السموات، وتتطاير فيه الجبال، فتصير كالصوف الملون ألوانا غريبة} يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تئويه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه)

*ثم استطردت السورة إلى ذكر طبيعة الإنسان، فإنه يجزع عند الشدة، ويبطر عند النعمة فيمنع حق الفقير والمسكين} إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا.)

*ثم تحدثت عن المؤمنين، وما اتصفوا به من جلائل الصفات، وفضائل الأخلاق، وبينت ما أعد الله لهم من عظيم الأجر، في جنات الخلد والنعيم} إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم {الآيات.

*ثم تناولت الكفرة المستهزئين بالرسول، الطامعين في دخول جنات النعيم} فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا إنا خلقناهم مما يعلمون)

*وختمت السورة الكريمة بالقسم الجليل برب العالمين، على أن البعث والجزاء حق لا ريب فيه، وعلى أن الله تعالى قادر على أن يخلق خيرا منهم} فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين {..إلى قوله تعالى} :خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون{ نهاية السورة الكريمة، وهو ختم يناسب موضوع السورة، في عقاب الكفرة المجرمين، المكذبين بالبعث والنشور[١]

---

(١) تفسير الصابوني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۞ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ
٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ
صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨
وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ
عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ
يُنجِيهِ ١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨ ۞ إِنَّ
ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢
ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥
وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ
مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ
غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ
٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ
٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ
مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ
إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ

حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

اللغة ومعاني الكلمات

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ ﴿١﴾ دعَا دَاعٍ[1]

﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾﴾ بِوُقُوعِ العَذَابِ عَلَيْهِمْ , مُتَحَقِّقِ الوُقُوعِ [2]

﴿دَافِعٞ ﴿٢﴾﴾ :مانِعٌ يَمْنَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ

﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ صَاحِبِ العُلُوِّ وَالجَلاَلِ , وقيل مَعارِجُ المَلائِكَةِ[3]

﴿تَعۡرُجُ ﴿٤﴾﴾ تَصْعَدُ.

﴿وَٱلرُّوحُ ﴿٤﴾﴾ جِبْرِيلُ عليه السلام

﴿ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾﴾ :أي مِن سَنَواتِ الدُّنيا عَلى الكافِرِ

فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ لاَ جَزَعَ فِيهِ، وَلاَ شَكْوَى مِنْهُ لِغَيْرِ اللهِ , وكان هذا قبل أن يُمر النبي ﷺ بالقتال

إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ يَرونَ وقُوعَ العذابِ مُسْتَحِيلًا

﴿كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾﴾ مِثْلَ حُثَالَةِ الزَّيْتِ أو ما أُذِيب مِنَ النُّحاسِ وغَيرِهِ

﴿كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾﴾ كالصُّوفِ المَصْبُوغِ المَنْفُوشِ الَّذِي ذَرَتْهُ الرِّيحُ

وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ ولا يَتَفرَّغُ قَرِيبٌ للسُّؤالِ عَنْ حالِ قَرِيبِهِ مِنَ الهَولِ والشُّغْلِ بِحالِ نَفْسِهِ

---

(١) القرآن تدبر وعمل

(٢) الميسر في الغريب

(٣) معاني الزجاج

﴿حَمِيمٌ ۝١٠﴾ قَرِيبٌ.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۝١١﴾ يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَعْرِفُهُ وَلَا يُكَلِّمُهُ

﴿يَوَدُّ ۝١١﴾ :يَتَمَنَّى.

﴿ لَوْ يَفْتَدِي ۝١١ ﴾ :لو يُخَلِّصُ نَفْسَهُ بِفِدْيَةٍ

وَصَٰحِبَتِهِۦ ۝١٢ زوجته

وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ۝١٣ ﴾ عَشِيرَتِهِ التي تَضُمُّهُ، وَيَنْتَمِي إِلَيْها في القَرابَةِ

وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤

﴿يُنجِيهِ﴾ :يُنجِيهِ الافْتِداءُ مِنَ العَذابِ.

﴿كَلَّآ ۝١٥﴾ لا افْتِداءَ ولا إنْجاءَ فلَيْسَ الأَمْرُ كَمَا تَتَمَنَّاهُ أَيُّهَا الكَافِرُ مِنْ حُصُولِ الافْتِدَاءِ.

﴿لَظَىٰ ۝١٥ ﴾ جَهَنَّمُ تَتَلَهَّبُ نَارُهَا، وَتَتَلَظَّى

نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَنْزِعُ بِشِدَّةِ حَرِّهَا جِلْدَةَ الرَّأْسِ، وَسَائِرَ أَطْرَافِ البَدَنِ

تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ تنادي النار على الكافرين والمنافقين بأسمائهم الذين ادبروا عن الايمان وتولوا عن الحق

وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ جمع المال و أَمْسَكَ مَالَهُ فِي وِعَاءٍ، وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللهِ فِيهِ

أسباب النزول

قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ :﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾ نَزَلَتْ في النَّضْرِ بْنِ الحارِثِ حِينَ قالَ: اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذا هو الحَقَّ مِن عِنْدِكَ. فَدَعا عَلى نَفْسِهِ وسَأَلَ العَذابَ، فَنَزَلَ بِهِ ما سَأَلَ يَوْمَ بَدْرٍ فَقُتِلَ صَبْرًا، ونَزَلَ فِيهِ :﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾

التفسير

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ ﴾ سأل سائل من الكفار عن عذاب الله، بمن هو واقع[١]

وعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: تَعَالَى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دَعَا دَاعٍ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ يَقَعُ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ: وَهُوَ قَوْلُهُمْ :﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢]

سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ عَذَابٍ ﴿وَاقِعٍ﴾ نَازِلٍ كَائِنٍ عَلَى مَنْ يُنَزَّلُ وَلِمَنْ ذَلِكَ الْعَذَابُ فَقَالَ اللَّهُ مُبِينًا مُجِيبًا لِذَلِكَ السَّائِلِ :﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَمَّا خَوَّفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَذَابِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ أَهْلُ هَذَا الْعَذَابِ؟ وَلِمَنْ هُوَ؟ سَلُوا عَنْهُ مُحَمَّدًا فَسَأَلُوهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ" أَيْ: هُوَ لِلْكَافِرِينَ [٣]

قَوْلُهُ تَعالى :﴿سَأَلَ سائِلٌ﴾ وفِيهِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: مَعْناهُ اسْتَخْبَرَ مُسْتَخْبِرٌ عَنِ العَذابِ مَتى يَقَعُ، عَلى وجة التَّكْذِيبِ.

الثّانِي: دَعا داعٍ أنْ يَقَعَ البَلاءُ بِهِمْ عَلى وجْهِ الِاسْتِهْزاءِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

الثّالِثُ: طَلَبَ طالِبٌ.

﴿بِعَذابٍ واقِعٍ﴾ وفي هَذا الطّالِبِ ثَلاثَةُ أقاوِيلَ:

أحَدُها: أنَّهُ النَّضْرُ بْنُ الحارِثِ، وكانَ صاحِبَ لِواءِ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، وقَدْ سَألَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذا هو الحَقَّ مِن عِنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذابٍ ألِيمٍ﴾ (الْأَنْفالِ: ٣٢) قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ ومُجاهِدٌ.

الثّانِي: أنَّهُ أبُو جَهْلٍ: وهو القائِلُ لِذَلِكَ، قالَهُ رَبِيعُ بْنُ أبِي حَمْزَةَ.

---

[١] تفسير الطبري

[٢] تفسير ابن كثير

[٣] تفسير البغوي

الثّالِثُ: أنَّهُ قَوْلُ جماعَةٍ مِن قُرَيْشٍ.

وَفِي هَذا العَذابِ قَوْلانِ:

أحَدُهُما: أنَّهُ العَذابُ في الآخِرَةِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

الثّانِي: أنَّها نَزَلَتْ بِمَكَّةَ وعَذابُهُ يَوْمَ بَدْرٍ بِالقَتْلِ والأسْرِ، قالَهُ السُّدِّيُّ[١]

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾ للكافرين بالله (لاستحقاقهم له بكفرهم وعنادهم)، ليس لهذا العذاب من يرده [٢]

و ليس لهذا العذاب الذي استعجل به من استعجل، من متمردي المشركين، أحد يدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله[٣]

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ أي ذي العلو والدرجات ومصاعد الملائكة وهي السماوات [٤] , قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: أيْ ذِي السَّماواتِ، سَمّاها مَعارِجَ لِأنَّ المَلائِكَةَ تَعْرُجُ فِيها [٥]

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ أيْ تَصْعَدُ،

وفي الرُّوحِ ثَلاثَةُ أقاوِيلَ:

أحَدُها: أنَّهُ رُوحُ المَيِّتِ حِينَ يُقْبَضُ، قالَهُ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ، يَرْفَعُهُ.

الثّانِي: أنَّهُ جِبْرِيلُ، كَما قالَ تَعالى :﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ﴾ .

الثّالِثُ: أنَّهُ خَلْقٌ مِن خَلْقِ اللَّهِ كَهَيْئَةِ النّاسِ ولَيْسَ بِالنّاسِ، قالَهُ أبُو صالِحٍ.

﴿فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ﴾ فِيهِ ثَلاثَةُ أقاوِيلَ:

أحَدُها: أنَّهُ يَوْمُ القِيامَةِ، قالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ والحَسَنُ.

الثّانِي: أنَّها مُدَّةُ الدُّنْيا، مِقْدارُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، لا يَدْرِي أحَدٌ كَمْ مَضى وكَمْ بَقِيَ

---

[١] تفسير الماوردي

[٢] المختصر في التفسير

[٣] تفسير السعدي

[٤] ايسر التفاسير

[٥] تفسير البغوي

إلّا اللّهُ، قالَهُ عِكْرِمَةُ.

الثّالِثُ: أنَّهُ مِقْدارُ مُدَّةِ الحِسابِ في عُرْفِ الخَلْقِ أنَّهُ لَوْ تَوَلّى بَعْضُهم مُحاسَبَةَ بَعْضٍ لَكانَ مُدَّةُ حِسابِهِمْ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، إلّا أنَّ اللَّهَ تَعالى يَتَوَلّاهُ في أسْرَعِ مُدَّةٍ.

وَرَوى مُعاذٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ :يُحاسِبُهُمُ اللَّهُ بِمِقْدارِ ما بَيْنَ الصَّلاتَيْنِ ولِذَلِكَ سَمّى نَفْسَهُ سَرِيعَ الحِسابِ، وأسْرَعَ الحاسِبِينَ [١]

وُفي الحَدِيثِ" » :إنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلى المُؤْمِنِ حَتّى يَكُونَ أخَفَّ عَلَيْهِ مِن صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ"[٢]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ مِن قَوْلِهِ :يُوضَعُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ كَراسِيُّ مِن ذَهَبٍ ويُظَلَّلُ عَلَيْهِمُ الغَمامُ ويُقَصَّرُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ اليَوْمُ ويُهَوَّنُ حَتّى يَكُونَ كَيَوْمٍ مِن أيّامِكم هَذِهِ [٣]

وقِيلَ: بَلْ لَوْ ولِيَ حِسابَ الخَلْقِ سِوى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ لَمْ يَفْرُغْ مِنهُ في خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، والحَقُّ يَفْرَغُ مِنهُ في ساعَةٍ مِن نَهارٍ.

وقالَ عَطاءٌ: يَفْرَغُ اللَّهُ مِن حِسابِ الخَلْقِ في مِقْدارِ نِصْفِ يَوْمٍ مِن أيّامِ الدُّنْيا.

فَعَلى هَذا يَكُونُ المَعْنى: لَيْسَ دافِعٌ مِنَ اللَّهِ في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، وقِيلَ المَعْنى سَألَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، فَعَلى هَذا يَكُونُ في الكَلامِ تَقْدِيمٌ وتَأْخِيرٌ.

وقيل أنَّ مِقْدارَ صُعُودِ المَلائِكَةِ مِن أسْفَلِ الأرْضِ إلى العَرْشِ لَوْ صَعِدَهُ غَيْرُهم قَطَعَهُ في خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، وهَذا مَعْنى قَوْلِ مُجاهِدٍ.

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ أنَّهُ الصَّبْرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ جَزَعٌ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

الثّانِي: أنَّهُ الصَّبْرُ الَّذِي لا بَثَّ فِيهِ ولا شَكْوى.

---

[١] تفسير الماوردي

[٢] فسير ابن الجوزي

[٣] تفسير الآلوسي

الثّالِثُ: أنَّهُ الِانْتِظارُ مِن غَيْرِ اسْتِعْجالٍ، قالَهُ ابْنُ بَحْرٍ.
الرّابِعُ: أنَّهُ المُجامَلَةُ في الظّاهِرِ، قالَهُ الحَسَنُ.
وفِيما أُمِرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ قَوْلانِ:
أحَدُهُما: أُمِرَ بِالصَّبْرِ عَلى ما قَذَفَهُ المُشْرِكُونَ مِن أنَّهُ مَجْنُونٌ وأنَّهُ ساحِرٌ وأنَّهُ شاعِرٌ، قالَهُ الحَسَنُ.
الثّانِي: أنَّهُ أُمِرَ بِالصَّبْرِ عَلى كُفْرِهِمْ، وذَلِكَ قَبْلَ أنْ يَفْرِضَ جِهادَهم، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ يَعْنِي: أنهم يعتقدون أن العَذابَ الواقع بهم أو يوم القيامة "بَعِيدًا" غَيْرَ كائِنٍ ولا يقع

وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ كائِنًا، لِأنَّ كُلَّ ما هو آتٍ قَرِيبٌ.
ثُمَّ أخْبَرَ مَتى يَكُونُ فَقالَ تَعالى

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ أي :﴿يَوْمَ﴾ القيامة، تكون السماء كالرصاص المذاب من تشققها

وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وتكون الجبال كالصوف المصبوغ بالأحمر , وهو أضعف الصوف ، ثم تكون بعد ذاك هباءً منثوراً , فتضمحل، فإذا كان هذا يحدث للسموات العظيمة والجبال الراسيات ، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار

وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ أَيْ: لَا يَسْأَلُ الْقَرِيبُ عَنْ حَالِهِ، وَهُوَ يَرَاهُ فِي أَسْوَأِ الْأَحْوَالِ، فَتَشْغَلُهُ نَفْسُهُ عَنْ غَيْرِهِ.
قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَفِرُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بَعْدَ ذَلِكَ، يَقُولُ :﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [١]

يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾

---

(١) تفسير ابن كثير

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أَيْ يَرَوْنَهُمْ. وَلَيْسَ فِي الْقِيَامَةِ مَخْلُوقٌ إِلَّا وَهُوَ نَصْبُ عَيْنِ صَاحِبِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. فَيُبْصِرُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ وَقَرَابَتَهُ وَعَشِيرَتَهُ وَلَا يَسْأَلُهُ وَلَا يُكَلِّمُهُ، لِاشْتِغَالِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَتَعَارَفُونَ سَاعَةً ثُمَّ لَا يَتَعَارَفُونَ بَعْدَ تِلْكَ السَّاعَةِ.

وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ: أَنَّ أَهْلَ الْقِيَامَةِ يَفِرُّونَ مِنَ الْمَعَارِفِ مَخَافَةَ الْمَظَالِمِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: يُبَصَّرُونَهُمْ يُبْصِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيَتَعَارَفُونَ ثُمَّ يَفِرُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يُبْصِرُ بَعْضُهم بَعْضًا فَيَتَعَارَفُونَ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُبْصِرُونَ الكَافِرِينَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الكَافِرِينَ يُبْصِرُونَ الَّذِينَ أَضَلُّوهم فِي النَّارِ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ يُبْصِرُ الْمَظْلُومُ ظَالِمَهُ، وَالْمَقْتُولُ قَاتِلَهُ.

وَقِيلَ: يُبَصَّرُونَهُمْ يَرْجِعُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، أَيْ يَعْرِفُونَ أَحْوَالَ النَّاسِ فَيَسُوقُونَ كُلَّ فَرِيقٍ إِلَى مَا يَلِيقُ بِهِمْ. وَتَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: يُبَصَّرُونَهُمْ[١]

وفي ذلك اليوم الرهيب يودّ الكافر يومئذ ويتمنى أنه يفتدي من عذاب الله ببنيه وهم أعز الناس اليه في الدنيا

وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ بل ان امر الافتداء يتعدى ابناءه الى صاحبته (زوجته) وأخيه , فإن هؤلاء أعز الناس عليه وأكرمهم لديه، فلو قبل منه الفداء لفدى بهم نفسه، وخلص مما نزل به من العذاب[٢] وفي هذا بيان أن كل مجرم مشغول بنفسه ليفتديها لو قُبِلَ منه الفداء

(١) تفسير الماوردي

(٢) فتح البيان للقنوجي

وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ أي عشيرته الأقربين الذين يضمونه في النسب أو عند الشدائد ويأوي إليهم

وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ أي ويود المجرم لو افتدى بمن (في الأرض جميعاً) من الثقلين وغيرهما من الخلائق ولن ينفعه ذلك

العطف بكلمة (ثم) ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ إشعاراً ببعد النجاة وامتناعها[1]

كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ رَدْعٌ لِلْمُجْرِمِ عَنِ الوِدادَةِ ودَلالَةٌ عَلى أنَّ الِافْتِداءَ لا يُنْجِيهِ[2]

كلا أي ليس ذلك ، ليس ينجيه من عذاب الله شيء.

فقال :﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ ولظى: أنَّها اسْمٌ مِن أسْماءِ جَهَنَّمَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأنَّها الَّتِي تَتَلَظّى، وهو اشْتِدادُ حَرِّها.

وقيل أن(لظى) الدَّرْكِ الثّامِنِ في جَهَنَّمَ

نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ثم يخبر عن لظَى: إنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن،

وسُئل ابن عباس عن :﴿نزاعَةً لِلشَّوَى﴾ قال: تنزع الرأس وقيل تنزع جلود الرأس

وقيل هي جَهَنَّمُ تَفْري وتشوي اللَّحْمَ والجِلْدَ عَنِ العَظْمِ

تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ أَيِ: أن النَّارُ تدعو إِلَى نَفْسِهَا ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عَلَى الْإِيمَانِ ﴿وَتَوَلَّى﴾ عَنِ الْحَقِّ فَتَقُولُ إِلَيَّ يَا مُشْرِكُ, إِلَيَّ يَا مُنَافِقُ, إِلَيَّ إِلَيَّ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَدْعُو الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ ثُمَّ تَلْتَقِطُهُمْ كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ[3]

﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ أَيْ: كَذَّبَ بِقَلْبِهِ، وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِجَوَارِحِهِ[4]

---

(1) تفسير ابن جزي

(2) تفسير البيضاوي

(3) تفسير البغوي

(4) تفسير ابن كثير

وفي دُعائِها ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحدُها: أنَّها تَدْعُوهم بِأسْمائِهِمْ فَتَقُولُ لِلْكافِرِ: يا كافِرُ إلَيَّ، ولِلْمُنافِقِ: يا مُنافِقُ إلَيَّ، قالَهُ الفَرّاءُ.

الثّانِي: الدّاعِي خَزَنَةُ جَهَنَّمَ أُضِيفَ دُعاؤُهم إلَيْها، لِأنَّهم يَدْعُونَ إلَيْها

الثّالِثُ: تَدْعُو أيْ تُعَذِّبُ.

وَقالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِآخَرَ: دَعَاكَ اللَّهُ أَيْ عَذَّبَكَ اللَّهُ

﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨﴾ أَيْ: جَمَعَ الْمَالَ ﴿فَأَوْعَى﴾ أي أَمْسَكَهُ فِي الْوِعَاءِ وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ[١] مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَاتِ وَمِنْ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: "وَلَا تُوعِي فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكِ"[٢]

﴿۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾

(١) تفسير البغوي

(٢) تفسير ابن كثير

حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

اللغة ومعاني الكلمات

هَلُوعًا ﴿١٩﴾ يجزَعُ عِنْدَ المُصِيبَةِ، وَيمْنَعُ إِذَا أَصَابَهُ الخَيْرُ[1]

جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ كَثِيرَ الأَسَى وَالحُزْنِ

ٱلْخَيْرُ ﴿٢١﴾ المَالُ، وَاليُسْرُ

حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ نَصِيبٌ مُعَيَّنٌ فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ؛ وَهُوَ الزَّكَاةُ

لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ مَنْ يسأل الناس وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ومن يَتعَفَّفُ عَنِ السُّؤَالِ

بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ يَوْمِ الجَزَاءِ وَالحِسَابِ

مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ خائِفُونَ

إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَأْمَنَهُ أَحَدٌ.

وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ يَحفظُونَ أنْفُسَهُم مِنَ الحَرَامِ كالزنا واللواط

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴿٣٠﴾ إمَائِهِم المَمْلُوكَاتِ لَهُمْ

﴿غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾ غَيْرُ مُؤَاخَذِينَ

﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴿٣١﴾﴾ :غَيرَ الزَّوجاتِ والمملُوكاتِ

﴿الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾ المُتَجَاوِزُونَ الحَلاَلَ إِلَى الحَرَامِ , المُفْسِدُونَ[2]

﴿لِأَمَـٰنَـٰتِهِم ﴿٣٢﴾﴾ :لأماناتِ اللهِ وأماناتِ النّاسِ الَّتِي اؤْتُمِنُوا عَلَيها.

﴿وَعَهْدِهِمْ ﴿٣٢﴾﴾ :عُهُودِهِم مَعَ اللهِ ومَعَ العِبادِ

---

(1) القرآن تدبر وعمل

(2) الميسر في الغريب

﴿رَاعُونَ ۝٣٢﴾ حَافِظُونَ

بِشَهَٰدَٰتِهِمْ ۝٣٣ بِما عِنْدَهُم مِنَ الدَّلالةِ عَلى حَقٍّ لِغَيرِهِم

﴿ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ مُؤَدُّونَ لِلشَّهادَةِ، دُونَ تَغْيِيرٍ، أَوْ كِتْمَانٍ

يُحَافِظُونَ ۝٣٤ يعتَنُونَ باسْتِكْمالِ أرْكانِها وشُرُوطِها وأَوْقاتِها.

مُّكْرَمُونَ ۝٣٥ يُكْرَمُونَ بِحُسْنِ اللقاءِ والثَّناءِ وأَنْواعِ اللذّاتِ والمَسارِّ

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۝٣٦ فأيُّ شَيءٍ ثَبَتَ لَهُم؟

﴿قِبَلَكَ ۝٣٦﴾ :في حالِ كَونِهِم عندَك

﴿ مُهْطِعِينَ ۝٣٦﴾ مُسْرِعِينَ نَحْوَكَ قَدْ مَدُّوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَيْكَ، مُقْبِلِينَ عَلَيْكَ..

عِزِينَ ۝٣٧ جَماعَاتٍ مُتَعَدِّدَةً وَمُتَفَرِّقَةً

مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ مِن مّاءٍ مَهِينٍ كَغَيرِهِم

﴿فَلاَ أُقْسِمُ ۝٤٠﴾ أُقْسِمُ، وَ ﴿لاَ﴾ :لِتَأْكِيدِ القَسَمِ

بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ مَشارِقِ ومغارب الشَّمْسِ والكَواكِبِ.

﴿بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١﴾ لاَ أَحَدَ يَفُوتُنَا وَيُعْجِزُنَا إِذَا أَرَدْنَاهُ

﴿فَذَرهُم ۝٤٢﴾ :فاتْرُكْهُم.

﴿يَخُوضُواْ ۝٤٢﴾ :يَتَكَلَّمُوا فِي باطِلِهِم عَلى غَيرِ هُدىً.

﴿ وَيَلْعَبُواْ ۝٤٢﴾ :في دُنْياهُم

﴿الأَجْدَاثِ ۝٤٣﴾ القُبُورِ.

﴿ سِرَاعًا ۝٤٣﴾ :مُسْرِعِينَ

﴿نُصُبٍ ۝٤٣﴾ أَحْجَارٍ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ وهِي الأَصْنامِ

﴿يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾ يُهَرْوِلُونَ، وَيُسْرِعُونَ أيُّهُم يَسْتَلِمُه أوَّلُ؟

﴿خَاشِعَةً ﴿٤٤﴾ ﴾ ذَلِيلَةً، مُنْكَسِرَةً.

﴿تَرْهَقُهُمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ تَغْشَاهُمْ.

﴿ذِلَّةٌ﴿٤٤﴾ ﴾ :حَقارَةٌ ومَهانَةٌ.

التفسير

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إنَّ الكافر ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ والهلع: شدّة الجَزَع مع شدّة الحرص والضجر[١] ، فيجزع إن أصابه فقرٌ أو مرضٌ، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله[٢]

يقول الضحاك : هو بخيل منوع للخير، جَزُوع إذا نزل به البلاء، فهذا الهلوع

وَفي الهَلُوعِ سِتَّةُ أوْجُهٍ[٣]:

أحَدُها: أنَّهُ البَخِيلُ، قالَهُ الحَسَنُ.

الثّانِي: الحَرِيصُ، قالَهُ عِكْرِمَةُ.

الثّالِثُ: الضَّجُورُ، قالَهُ قَتادَةُ.

الرّابِعُ: الضَّعِيفُ، رَواهُ أبُو الغِياثِ.

الخامِسُ: أنَّهُ الشَّدِيدُ الجَزَعِ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

السّادِسُ: أنَّهُ الَّذِي قالَهُ اللَّهُ تَعالى فِيهِ :﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الآيَةَ،

إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

وَفِيهِ وجْهانِ:

---

(١) تفسير الطبري

(٢) تفسير السعدي

(٣) تفسير الماوردي

أحدُهُما: إذا مَسَّهُ الخَيْرُ لَمْ يَشْكُرْ، وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ لَمْ يَصْبِرْ، وهو مَعْنى قَوْلِ عَطِيَّةَ.
الثّانِي: إذا اسْتَغْنى مَنعَ حَقَّ اللَّهِ وشَحَّ، وإذا افْتَقَرَ سَألَ وألَحَّ، وهو مَعْنى قَوْلِ يَحْيى بْنِ سَلامٍ.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ إذَا حَصَلَتْ لَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بَخِلَ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا [١] , وإذا كثر ماله، ونال الغنى فهو منوع لما في يده، بخيل به، لا ينفقه في طاعة الله، ولا يؤدّي حق الله منه.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ أَيِ: الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الذَّمِّ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُ، وَهَدَاهُ إِلَى الْخَيْرِ وَيَسَّرَ لَهُ أَسْبَابَهُ، وَهُمُ الْمُصَلُّونَ
وقِيلَ: المُرادُ بِهِمْ أهْلُ التَّوْحِيدِ: يَعْنِي أنَّهم لَيْسُوا عَلى تِلْكَ الصِّفاتِ مِنَ الهَلَعِ، والجَزَعِ، والمَنعِ، وأنَّهم عَلى صِفاتٍ مَحْمُودَةٍ وخِلالٍ مَرْضِيَّةٍ؛ لِأنَّ إيمانَهم وما تَمَسَّكُوا بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ ودِينِ الحَقِّ يَزْجُرُهم عَنِ الِاتِّصافِ بِتِلْكَ الصِّفاتِ، ويَحْمِلُهم عَلى الِاتِّصافِ بِصِفاتِ الخَيْرِ [٢]

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ يُحَافِظُونَ عَلَى أَوْقَاتِهِمْ وَوَاجِبَاتِهِمْ. قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ،

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ أيْ: لا يَشْغَلُهم عَنْها شاغِلٌ، ولا يَصْرِفُهم عَنْها صارِفٌ، ولَيْسَ المُرادُ بِالدَّوامِ أنَّهم يُصَلُّونَ أبَدًا.

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤﴾ من زكاة وصدقة [٣]

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ الَّذِي يَسْألُ ﴿والمَحْرُومِ﴾ الَّذِي لا يَسْألُ و يَتَعَفَّفُ عَنِ السُّؤالِ فَيُظَنُّ أنَّهُ غَنِيٌّ فَيُحْرَمُ [٤]واسْتِعْمالُهُ في ذَلِكَ عَلى سَبِيلِ الكِنايَةِ [١]

---

(١) تفسير ابن كثير
(٢) فتح القدير للشوكاني
(٣) تفسير السعدي
(٤) تفسير الرازي

وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ أيْ يُؤْمِنُونَ بِالبَعْثِ والحَشْرِ و يُوقِنُونَ بِالْمَعَادِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَلَ مَنْ يَرْجُو الثَّوَابَ وَيَخَافُ الْعِقَابَ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ أَيْ: خَائِفُونَ وَجِلُونَ، والإشْفاقُ يَكُونُ مِن أمْرَيْنِ، إمّا الخَوْفُ مِن تَرْكِ الواجِباتِ أوِ الخَوْفُ مِنَ الإقْدامِ عَلى المَحْظُوراتِ

و عَن معَاذ بن جبل قَالَ: إِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة يُنَادي مُنَاد أَيْن الخائفون؟

فيحشرون فِي كنف الرَّحْمَن لَا يحتجب الله مِنْهُم[٢]

وَفِي الْخَبَر الْمَعْرُوف أَن النَّبِي قَالَ حاكياً عَن الله تَعَالَى: " لَا أجمع على عَبدِي خوفين وَلَا أمنين، فَإِذا خافني فِي الدُّنْيَا أمنته فِي الْآخِرَة، وَإِذا أمنني فِي الدُّنْيَا خوفته فِي الْآخِرَة."

إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ لا يَنْبَغِي لِأحَدٍ أنْ يَأْمَنَ عَذابَهُ تَعالى وإنْ بالَغَ في الطّاعَةِ[٣]

وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ فلا يطأون بها وطأً محرماً، من زنى أو لواط، أو وطء في دبر، أو حيض، ونحو ذلك، ويحفظونها أيضا من النظر إليها ومسها، ممن لا يجوز له ذلك، ويتركون أيضا وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة[٤]

إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ إلا على زوجاتهم أو مِنَ الْإِمَاءِ، ملك اليمين فانهم غير ملومين وغير مؤاخذين في نكاحهن

فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ أي طلب منكحاً أي غير الزوجات والمملوكات[٥]

---

(١) تفسير الآلوسي

(٢) تفسير السمعاني

(٣) تفسير ابي السعود

(٤) تفسير السعدي

(٥) فتح البيان للقنوجي

(فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾) أي المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام والمتعدون ما حد لهم، وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والزنا والاستمناء بالكف

وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ أي لا يخلون بشيء من الأمانات التي يؤتمنون عليها، ولا ينقضون شيئاً من العهود التي يعقدونها على أنفسهم،

وهي تتناول أمانات الشرع، وأمانات العباد، ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان،

وقيل الأمانات ما تدل عليه العقول.

والعهود ما أتى بها الرسول.

كُلُّ أحَدٍ مُؤْتَمَنٌ عَلى ما افْتُرِضَ عَلَيْهِ مِنَ العَقائِدِ والأقْوالِ والأحْوالِ والأفْعالِ ومِنَ الحُقُوقِ في الأمْوالِ وحُقُوقِ الأهْلِ والعِيالِ وسائِرِ الأقارِبِ والمَمْلُوكِينَ والجارِ وسائِرِ المُسْلِمِينَ.

وقالَ السُّدِّيُّ إنَّ حُقُوقَ الشَّرْعِ كُلَّها أماناتٌ قَدْ قَبِلَها المُؤْمِنُ وضَمِنَ أداءَها بِقَبُولِ الإيمانِ

وقِيلَ كُلُّ ما أعْطاهُ اللَّهُ تَعالى لِلْعَبْدِ مِنَ الأعْضاءِ وغَيْرِها أمانَةٌ عِنْدَهُ فَمَنِ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ في غَيْرِ ما أعْطاهُ لِأجْلِهِ وأذِنَ سُبْحانَهُ لَهُ بِهِ فَقَدْ خانَ الأمانَةَ والخِيانَةُ فِيها وكَذا الغَدْرُ بِالعَهْدِ مِنَ الكَبائِرِ [١]

وقَدْ رَوى البُخارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا:

أرْبَعٌ مَن كُنَّ فِيهِ كانَ مُنافِقًا خالِصًا ومَن كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنهُنَّ كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حَتّى يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ"

وأخْرَجَ البَيْهَقِيُّ في شُعَبِ الإيمانِ عَنْ أنَسٍ قالَ» :ما خَطَبَنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلّا قالَ:

---

(١) تفسير الآلوسي

لا إيمانَ لِمَن لا أمانَةَ لَهُ، ولا دِينَ لِمَن لا عَهْدَ لَه [١]

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ أي: لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريباً ولا صديقاً ونحوه، ويكون القصد بها وجه الله.

والذين لا يكتمون ما استشهدوا عليه، ولكنهم يقومون بأدائها، حيث يلزمهم أداؤها غير مغيرة ولا مبدّلة[٢]

قال تعالى :﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[٣]

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ أَيْ: عَلَى مَوَاقِيتِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَمُسْتَحِبَّاتِهَا، فَافْتَتَحَ الْكَلَامَ بِذِكْرِ الصَّلَاةِ وَاخْتَتَمَهُ بِذِكْرِهَا، فَدَلَّ عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِهَا وَالتَّنْوِيهِ بِشَرَفِهَا،[٤]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾ أَيْ: مُكْرَمُونَ بِأَنْوَاعِ الْمَلَاذِّ وَالْمَسَارِّ حيث أَكْرَمَهُمُ الله فيها بأنواع الكرامات[٥]

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝٣٦﴾ وَالْمَعْنَى مَا بَالُهُمْ يُسْرِعُونَ إِلَيْكَ وَيَجْلِسُونَ حَوَالَيْكَ وَلَا يَعْمَلُونَ بِمَا تَأْمُرُهُمْ.

وَقِيلَ: أَيْ مَا بَالُهُمْ مُسْرِعِينَ مُقْبِلِينَ إِلَيْكَ مَادِّي أَعْنَاقِهِمْ وَمُدِيمِي النَّظَرِ إِلَيْكَ مُتَطَلِّعِينَ نَحْوَكَ وَيُسْرِعُونَ إِلَى السَّمَاعِ منك ليعيبوك و يستهزؤوا بكَ ويُكذبوك . ونَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْكُفَّارِ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَمِعُونَ كَلَامَهُ

---

(١) تفسير الآلوسي

(٢) تفسير الطبري

(٣) تفسير السعدي

(٤) تفسير ابن كثير

(٥) تفسير القرطبي

وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَيُكَذِّبُونَهُ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَيَجْلِسُونَ عِنْدَكَ وَهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَسْتَمِعُونَ

عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ حِلَقًا وفِرَقًا، وَجَمَاعَاتٌ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَرْغَبُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا فِي نَبِيِّهِ ﷺ[١]

أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَعْنَاهُ أَيَطْمَعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّتِي كَمَا يُدْخُلُهَا الْمُسْلِمُونَ وَيَتَنَعَّمَ فِيهَا وَقَدْ كَذَّبَ نَبِيِّي؟[٢]

كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴿كَلَّا﴾ لَا يَدْخُلُونَهَا , بَلْ مَأْوَاهُمُ الْجَحِيمُ[٣]

ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ :

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: مِنَ الْمَنِيِّ الضَّعِيف , مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ، نَبَّهَ النَّاسَ عَلَى أَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ وَيَسْتَوْجِبُونَ الْجَنَّةَ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.

فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ أي: الذي خلق السموات وَالْأَرْض، وَجَعَلَ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، وَسَخَّرَ الْكَوَاكِبَ تَبْدُو مِنْ مَشَارِقِهَا وَتَغِيبُ فِي مَغَارِبِهَا. وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنْ لَا مَعَادَ وَلَا حِسَابَ، وَلَا بَعْثَ وَلَا نُشُورَ، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ وَاقِعٌ وَكَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

وَلِهَذَا أَتَى بِ "لَا" فِي ابْتِدَاءِ الْقَسَمِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ نَفْيٌ، وَهُوَ مَضْمُونُ الْكَلَامِ، وَهُوَ الرَّدُّ عَلَى زَعْمِهِمُ الْفَاسِدِ فِي نَفْيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ شَاهَدُوا مِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ إقامة القيامة، وهو خلق السموات وَالْأَرْضِ، وَتَسْخِيرُ مَا فِيهِمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، وَسَائِرِ صُنُوفِ الْمَوْجُودَاتِ؛

---

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير البغوي

(٣) تفسير ابن كثير

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ إنا لقادرون على أن نهلكهم، ونأتي بخير منهم من الخلق يطيعونني ولا يعصونني

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي بمغلوبين إن أردنا ذلك ,بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر، ولكن مشيئتنا وسابق علمنا اقتضيا تأخير عقوبة هؤلاء وعدم تبديلهم بخلق آخر[1]

فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ أي دعهم واتركهم (يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم واشتغل بما أمرت به، ولا يعظمن عليك ما هم فيه فليس عليك إلا البلاغ، وهذا تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم.

(حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾) هو يوم كشف الغطاء الذي أوله عند الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين في داره ومحل استقراره، وقيل هو يوم القيامة، فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم[2]

وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قال البقاعي وابن عادل

يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ أَيْ: يَقُومُونَ مِنَ الْقُبُورِ إِذَا دَعَاهُمُ الرَّبُّ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ، يَنْهَضُونَ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى عَلَمٍ يَسْعَوْنَ أو إِلَى غَايَةٍ يَسْعَوْنَ إِلَيْهَا

وهذا حال الخلق حين يلاقون يومهم الذي يوعدون، فقال

:﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، ﴿سِرَاعًا﴾ مجيبين لدعوة الداعي، مهطعين إليها ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ أي: إِلَى عَلَمٍ يَسْعَوْنَ أو إِلَى غَايَةٍ

---

(١) فتح البيان للقنوجي

(٢) تفسير السعدي

يَسْعَوْنَ إِلَيْهَا , فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، والالتواء لنداء المنادي، بل يأتون أذلاء مقهورين للقيام بين يدي رب العالمين[١]

﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ أَيْ ذَلِيلَةٌ خَاضِعَةٌ، لَا يَرْفَعُونَهَا لِمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

(تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أَيْ يَغْشَاهُمُ الْهَوَانُ و سَوَادُ الْوُجُوهِ فِي مُقَابَلَةِ مَا اسْتَكْبَرُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ الطَّاعَةِ، وذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم، واستولى على أفئدتهم، فخشعت منهم الأبصار، وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات

أي هذا هو اليوم الذي كانوا يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة الذي أنكروه وكذبوا به ها هو ذا قد حصل فليتجرعوا غصص الندم وألوان العذاب[٢]

فوائد الآيات في السورة

١- من عادة الكفار والمنافقين الاستهزاء بالدين وبالآخرة وبعذاب الله تعالى ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ ﴾

٢- عذاب الله تعالى إذا وقع بقوم فلا دافع له والأمثلة كثيرة في الأقوام السابقين كقوم نوح وهود وصالح ولوط

﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴾

٣- يحثنا القرآن الكريم على الصبر بلا جزع والشكوى لا تكون إلا لله وحده ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾

---

(١) تفسير السعدي

(٢) أيسر التفاسير

٤- الكافر يستبعد وقوع يوم القيامة ويراه بعيداً , ولكنه في حقيقة الأمر أقرب ما يتخيل , وذلك أن كل آتٍ قريب , واذا مات الانسان قامت قيامته ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ ﴾

٥- السموات بعظمتها تكون مِثْلَ حُثَالَةِ الزَّيْتِ وتكون الجبال الراسيات كأنها الصوف المَنْفُوشِ الَّذِي ذَرَتْهُ الرِّيحُ فما بالك بالإنسان الضعيف كيف يكون حاله في ذلك اليوم

﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ ﴾

٦- في يوم القيامة تفر الاقارب من بعضها البعض ويتنكر القريب للقريب وتنقطع حبال المودة والكل يطلب النجاة لنفسه

﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ ﴾

٧- الكافر يتمنى لو يفتدي نفسه اقرب الناس له في الدنيا سواء كانوا أبناءً أو زوجات أو اخوة أو عشيرة

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ ﴾

٨- في يوم القيامة تنادي النار على الكفار والمنافقين بأسمائهم وتنادى على كل من أعرض عن الايمان بالله وترك الأعمال الصالحة وجمع المال وكنزه ولم يؤدي حق الله فيه

﴿ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ ﴾

٩- من صفات الكافر أنه بخيل منوع للخير، جَزُوع إذا نزل به البلاء , لكنه

استثنى المصلين من هذه الصفات الذميمة

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

١٠- من أهم صفات المؤمنين المحافظة على الصلاة والزكاة , والتصديق بيوم القيامة والخوف من الله , وحفظ فروجهم , و أداء الامانة ورعاية العهد , والقيام بالشهادة على وجهها

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .....الخ

١١- الكافر شخص قليل الحياء فبرغم كفره يريد الجنة ونعيمها

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

١٢- عندما يتولى قوم فإن الله تعالى يستبدلهم بقوم خير منهم

﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

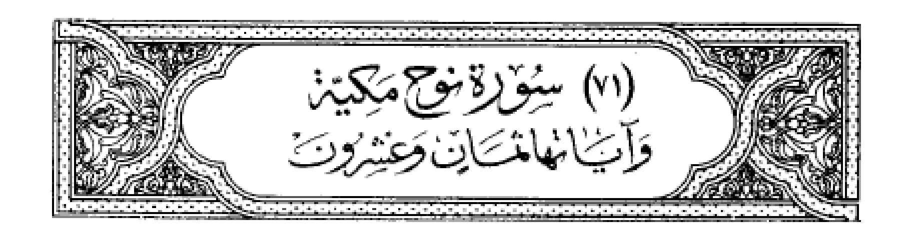
١٣- يمهل الله تعالى المجرمين والكافرين في الدنيا

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

١٤- الذل والخشوع والمهانة للكافرين والمجرمين في يوم القيامة

﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة المعارج



سورة نوح

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٢٨) آية وعدد كلماتها (٢٦٣) كلمة وعدد حروفها (٩٤٧) حرفا

موضوعات السورة

سورة نوح مكية، شأنها شأن سائر السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة، وتثبيت قواعد الإيمان،

وقد تناولت السورة تفصيلا قصة شيخ الأنبياء (نوح عليه السلام) من بدء دعوته حتى نهاية (حادثة الطوفان) التي أغرق الله بها المكذبين من قومه، ولهذا سميت (سورة نوح)، وفي السورة بيان لسنة الله تعالى في الأمم التي انحرفت عن دعوة الله، وبيان لعاقبة المرسلين، وعاقبة المجرمين، في شتى العصور والأزمان.

*ابتدأت السورة الكريمة بإرسال الله تعالى لنوح عليه السلام، وتكليفه بتبليغ الدعوة، وإنذار قومه من عذاب الله ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١

*ثم ذكرت السورة جهاد نوح عليه السلام، وصبره، وتضحيته في سبيل تبليغ الدعوة، فقد دعا قومه ليلا ونهارا، وسرا وجهارا، فلم يزدهم ذلك إلا إمعانا في

الضلال والعصيان} قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦

* ثم تتابعت السورة تذكرهم بإنعام الله وأفضاله على لسان نوح عليه السلام، ليجدوا في طاعة الله، ويروا آثار قدرته ورحمته في هذا الكون الفسيح} ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا .!!{ومع كل هذا التذكير والنصح والإرشاد، فقد تمادى قومه في الكفر والضلال والعناد، واستخفوا بدعوة نبيهم (نوح) عليه السلام، حتى أهلكهم الله بالطوفان} قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣

*وختمت السورة الكريمة بدعاء نوح عليه السلام على قومه بالهلاك والدمار، بعد أن مكث فيهم تسعمائة وخمسين سنة، يدعوهم إلى الله، فما لانت قلوبهم، ولا انتفعت بالتذكير والإنذار وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ۝٢٨ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ

لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾

فضل السورة

قال أُبي بن كعب : قال رسول الله ﷺ :(من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام)

اللغة ومعاني الكلمات

﴿ نُوحًا ﴿١﴾ وَهُوَ نُوحُ بْنُ لامك ابن مَتُّوشَلَخَ بْنِ أَخْنُوخَ وَهُوَ إِدْرِيسُ بْنُ يَرْدِ بْنِ مَهْلَايِلَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ وَهْبٌ: كُلُّهُمْ مُؤْمِنُونَ. أُرْسِلَ إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِينَ سَنَةً. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ: بُعِثَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً

﴿أَنذِرۡ ﴿١﴾﴾ :حَذِّرْ[١]

﴿أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴿٤﴾﴾ وَقْتٍ مُقَدَّرٍ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى[٢]

﴿أَجَلَ ٱللَّهِ ﴿٤﴾﴾ وَقْتَ مَجِيءِ عَذَابِهِ.

﴿ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ ﴿٧﴾﴾ :أي لِئَلّا يَسْمَعُوا دَعْوَةَ الحقِّ.

(١) الميسر في الغريب

(٢) غريب القرآن للخضيري

﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ۞﴾ تغطّوا بها؛ مُبالَغةً في كَرَاهِيَتي كَي لا يَروني

﴿وَأَصَرُّوا ۞﴾ أقاموا عَلَى كُفرِهِم وعلى المعصية

﴿جِهَارًا ۞﴾ :ظاهِرًا عَلَنًا.

﴿أَعْلَنْتُ ۞﴾ رَفَعْتُ صَوْتِي دَاعِيًا.

﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ ۞﴾ يُنْزِلِ اللهُ المَطَرَ.

﴿مِدْرَارًا ۞﴾ مُتَتَابِعًا، غَزِيرًا , كَثِيرَ الدَّرِّ والصَّبِّ[1] وقيل عند الحاجة إلى المطر، لا أن تدرّ ليلا ونهارا، ومدرارا للمبالغة[2]

﴿ وَيُمْدِدْكُم ﴾ :ويُعْطِكُم.

﴿جَنَّاتٍ ۞﴾ بَسَاتِينَ.

﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞﴾ لَا تَخَافُونَ عَظَمَةَ اللهِ وسلطانه .

﴿أَطْوَارًا ۞﴾ عَلَى مَرَاحِلَ مُخْتَلِفَةٍ: نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً ثم مُضْغَةً ثم عِظامًا ولحمًا ، وَهَكَذَا , بل أراد اختلافَ الأخلاق والمناظر[3] واللغات

التفسير

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ يَقُولُ تَعالَى مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ بن لمَكَ[4] عَلَيْهِ السَّلامُ، أَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَى قَوْمِهِ آمِرًا لَهُ أَنْ يُنْذِرَهُمْ بَأْسَ اللَّهِ قَبْلَ حُلُولِهِ بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وَأَنَابُوا رَفَعَ عَنْهُمْ[1]

---

(1) الميسر في الغريب

(2) غريب القرآن لابن الهائم

(3) غريب القرآن لابن قتيبة

(4) تفسير الطبري

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذي أصابهم[٢]

فَكَانَ يدعو قومه وينذرهم فلا يرى مِنْهُمْ مُجِيبًا، وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ فَيَقُولُ (رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.)

رَوى قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَوَّلُ نَبِيٍّ أُرْسِلَ نُوحٌ «(قَالَ قَتَادَةُ: بُعِثَ مِنَ الْجَزِيرَةِ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَوَّلُ رَسُولٍ أُرْسِلَ نُوحٌ وَأُرْسِلَ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ)[٣]

واخْتُلِفَ فِي سِنِّهِ حِينَ بُعِثَ: قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ: بُعِثَ وهو ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدّادٍ: بُعِثَ وهو ابْنُ ثَلاثِمائَةٍ وخَمْسِينَ سَنَةً.

وَقَالَ إِبْراهِيمُ بْنُ زَيْدٍ: إنَّما سُمِّيَ نُوحًا لِأنَّهُ كانَ يَنُوحُ عَلى نَفْسِهِ فِي الدُّنْيا[٤]

قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ قال نوح لقومه: يا قوم، إني لكم مُنْذِرٌ بَيِّنُ الإنذار من عذاب ينتظركم إن لم تتوبوا إلى الله[٥]

أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ أَيِ: اتْرُكُوا مَحَارِمَهُ وَاجْتَنِبُوا مَآثِمَهُ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ.

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ أَيْ: إِذَا فَعَلْتُمْ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَصَدَّقْتُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أَيْ :و يَمُدُّ فِي أَعْمَارِكُمْ وَيَدْرَأُ عَنْكُمُ الْعَذَابَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَنْزَجِرُوا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، أَوْقَعَهُ بِكُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير ابن جزي

(٣) تفسير القرطبي

(٤) تفسير الماوردي

(٥) المختصر في التفسير

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: بَادِرُوا بِالطَّاعَةِ قَبْلَ حُلُولِ النِّقْمَةِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَوْنِ ذَلِكَ لَا يُرَدُّ وَلَا يُمَانَعُ
وقِيلَ: المَعْنى: إنَّ أجَلَ اللَّهِ وهو المَوْتُ إذا جاءَ لا يُمْكِنُكُمُ الإيمانُ، وقِيلَ: المَعْنى: إذا جاءَ المَوْتُ لا يُؤَخَّرُ سَواءً كانَ بِعَذابٍ أوْ بِغَيْرِ عَذابٍ ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أيْ شَيْئًا مِنَ العِلْمِ لَسارَعْتُمْ إلى ما أمَرْتُكم بِهِ، أوْ لَعَلِمْتُمْ أنَّ أجَلَ اللَّهِ إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ[1]

ويُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ اشْتَكَى إِلَى رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَا صَبَرَ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَلْفُ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَمَا بَيَّنَ لِقَوْمِهِ وَوَضَّحَ لَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الرُّشْدِ وَالسَّبِيلِ الْأَقْوَمِ، فَقَالَ[2] :

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ أي قال نوح مناجياً لربه وحاكياً له ما جرى بينه وبين قومه وهو أعلم به منه (إني دعوت قومي) إلى ما أمرتني بأن أدعوهم إليه من الإيمان (ليلاً ونهاراً) أي دعاء دائماً دائباً بلا فتور في الليل والنهار من غير تقصير[3]

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ فلم تزدهم دعوتي لهم إلا نفورًا وبُعْدًا مما أدعوهم إليه[4] , وقال مقاتل: يعني تباعداً من الإيمان[5] ونفورا عن الحق وإعراضاً عنه

---

(١) فتح القدير للشوكاني
(٢) تفسير ابن كثير
(٣) فتح البيان للقنوجي
(٤) المختصر في التفسير
(٥) البسيط للواحدي

﴿فَلَمْ يَزِدْهم دُعائِي إلا فِرارًا﴾ يَحْتَمِلُ وجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: إلّا فِرارًا مِن طاعَتِكَ.

الثّانِي: فِرارًا مِن إجابَتِي إلى عِبادَتِكَ.

وقال قتادة: هو أنه كان الرجل يذهب بابنه إلى نوح فيقول: احذر لا يغرك، فإن أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك، فحذرني كما حذرتك

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ وإني كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك، والعمل بطاعتك، والبراءة من عبادة كلّ ما سواك، لتغفر لهم إذا هم فعلوا ذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا دعائي إياهم إلى ذلك ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ يقول: وتغشوا في ثيابهم، وتغطوا بها لئلا يسمعوا دعائي [(١)]

﴿واسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ قال ابن جريح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَنَكَّرُوا لَهُ لِئَلَّا يَعْرِفَهُمْ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ لِئَلَّا يَسْمَعُوا مَا يَقُولُ.

﴿وَأَصَرُّوا﴾ أَيْ: اسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ الْعَظِيمِ الْفَظِيعِ،

﴿وَأصَرُّوا﴾ فِيهِ ثَلاثَةُ تَأْوِيلاتٍ:

أحَدُها: أنَّهُ إقامَتُهم عَلى الكُفْرِ

الثّانِي: الإصْرارُ: أنْ يَأْتِيَ الذَّنْبَ عَمْدًا، قالَهُ الحَسَنُ.

الثّالِثُ: مَعْناهُ أنَّهم سَكَتُوا عَلى ذُنُوبِهِمْ فَلَمْ يَسْتَغْفِرُوا قالَهُ السُّدِّيُّ.

﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ أَيْ: وَاسْتَنْكَفُوا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالِانْقِيَادِ لَهُ[(٢)]

﴿واسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبارًا﴾ فِيهِ وجْهانِ:

أحَدُهُما: أنَّ ذَلِكَ كُفْرُهم بِاَللَّهِ وتَكْذِيبُهم لِنُوحٍ، قالَهُ الضَّحّاكُ.

الثّانِي: أنَّ ذَلِكَ تَرْكُهُمُ التَّوْبَةَ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ،

---

(١) تفسير الطبري

(٢) تفسير ابن كثير

وقَوْلُهُ ﴿اسْتِكْبارًا﴾ (تَفْخِيمٌ)

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾ أَيْ: جَهْرَةً بَيْنَ النَّاسِ

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ أَيْ: كَلامًا ظَاهِرًا بِصَوْتٍ عَالٍ ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أَيْ: فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، عَلَيْهِمُ الدَّعْوَةَ لِتَكُونَ أَنْجَعَ فِيهِمْ.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ وهَذا فِيهِ تَرْغِيبٌ فِي التَّوْبَةِ، وقَدْ رَوى حُذَيْفَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ») :الاِسْتِغْفارُ مَمْحاةٌ لِلذُّنُوبِ)[1]

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ يَعْنِي غَيْثًا مُتَتابِعًا، وقِيلَ إنَّهم كانُوا قَدْ أجْدَبُوا أرْبَعِينَ سَنَةً، حَتّى أذْهَبَ الجَدْبُ أمْوالَهم وانْقَطَعَ الوَلَدُ عَنْ نِسائِهِمْ، فَقالَ تَرْغِيبًا فِي الإيمانِ.

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ قالَ قَتادَةُ: عَلِمَ نَبِيُّ اللَّهِ نُوحٌ أنَّهُمْ أهْلُ حِرْصٍ عَلى الدُّنْيا، فَقالَ هَلُمُّوا إلى طاعَةِ اللَّهِ فَإنَّ مِن طاعَتِهِ دَرْكَ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ فِيهِ خَمْسَةُ تَأْوِيلاتٍ: أحَدُها: ما لَكُمْ لا تَعْرِفُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً، قالَهُ مُجاهِدٌ، وعِكْرِمَةُ.

الثّانِي: لا تَخْشَوْنَ لِلَّهِ عِقابًا وتَرْجُونَ مِنهُ ثَوابًا، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ فِي رِوايَةِ ابْنِ جُبَيْرٍ.

الثّالِثُ: لا تَعْرِفُونَ لِلَّهِ حَقَّهُ ولا تَشْكُرُونَ لَهُ نِعَمَهُ، قالَهُ الحَسَنُ.

الرّابِعُ: لا تُؤَدُّونَ لِلَّهِ طاعَةً، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

الخامِسُ: أنَّ الوَقارَ الثَّباتُ، ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالى :﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحْزابِ: ٣٣) أيِ اثْبُتْنَ

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ فِي وجْهانِ:

أحَدُهُما: يَعْنِي طَوْرًا نُطْفَةً، ثُمَّ طَوْرًا عَلَقَةً، ثُمَّ طَوْرًا مُضْغَةً، ثُمَّ طَوْرًا عَظْمًا، ثُمَّ

(١) تفسير الماور دي

كَسَوْنا العِظامَ لَحْمًا، ثُمَّ أنْشَأْناهُ خَلْقًا آخَرَ أنْبَتْنا لَهُ الشَّعْرَ وكَمُلَتْ لَهُ الصُّورَةُ، قالَهُ قَتادَةُ.

الثّانِي: أنَّ الأطْوارَ اخْتِلافُهم في الطُّولِ والقِصَرِ، والقُوَّةِ والضَّعْفِ والهَمِّ والتَّصَرُّفِ، والغِنى والفَقْرِ.

ويَحْتَمِلُ ثالِثًا: أنَّ الأطْوارَ اخْتِلافُهم في الأخْلاقِ والأفْعالِ

أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

اللغة ومعاني الكلمات

﴿طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ :مُتَطابِقَةً بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ.

﴿سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ مِصْبَاحًا مُضِيئًا، وَفِيهِ حَرَارَةٌ؛ كَالسِّرَاجِ[1]

﴿أَنۢبَتَكُم ﴿١٧﴾﴾ أَنْشَأَ أَصْلَكُمْ.

---

(١) غريب القرآن للخضيري

﴿ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ﴾ :إِنْشاءً

﴿ وَيُخْرِجُكُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ :يَومَ البَعْثِ[1]

﴿بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾ مُمَهَّدَةً كالبِساطِ.

﴿سُبُلاً ﴿٢٠﴾ ﴾ طُرُقًا

﴿فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ وَاسِعَةً.

﴿كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ عَظِيمًا.

﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ لا تَتْرُكُنَّ عِبادَةَ آلهتِكُم.

﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ ولا تَتْرُكُوا عِبادةَ هَذِهِ الأَصْنامِ الَّتِي هي تَماثِيلُ رجالٍ صالِحِينَ و هَذِهِ أَسْماءُ أَصْنامِهِمْ، لَمَّا مَاتُوا، زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُقِيمُوا لَهُمُ التَّمَاثِيلَ وَالصُّوَرَ؛ لِيَنْشَطُوا عَلَى الطَّاعَةِ إِذَا رَأَوْهُمْ، فَلَمَّا طَالَ الأَمَدُ، عَبَدُوهُمْ.

﴿ كَثِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ :مِنَ النّاسِ.

﴿ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ :لِأَنفُسِهِم بالكُفْرِ والعِنادِ

﴿ضَلَالاً ﴿٢٤﴾ ﴾ بُعْدًا عَنِ الحَقِّ.

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ.

﴿ أُغْرِقُوا ﴿٢٥﴾ ﴾ :بالطُّوفانِ

﴿ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ :مَن يَنْصُرُهم، أو يَدْفَعُ عَنْهُم عَذابَ اللهِ

﴿لَا تَذَرْ ﴿٢٦﴾ ﴾ :لا تَتْرُكْ.

﴿دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ أَحَدًا حَيًّا عَلَى الأَرْضِ يَدُورُ، وَيَتَحَرَّكُ.

---

[1] الميسر في الغريب

﴿ إِن تَذَرۡهُمۡ ۝٢٧ ﴾ :إن تَتْرُكْهُم دُونَ إهْلاكٍ.

﴿ إِلَّا فَاجِرًا ۝٢٧ ﴾ :إلا مائِلًا عَنِ الحَقِّ , وأصل الفجور: الميل , فقيل للكاذب فاجر لأنه مال عن الصّدق، وللفاسق فاجر لأنّه مال عن الحقّ

﴿ كَفَّارًا ۝٢٧ ﴾ :شَدِيدَ الكُفْرِ بِكَ والعِصْيانِ لَك.

﴿تَبَارًا ۝٢٨ ﴾ هَلاَكًا، وَخُسْرَانًا في الدُّنيا والآخِرَة.

التفسير

أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ فِيها قَوْلانِ:

أحَدُهُما: أنَّهُنَّ سَبْعُ سَموَاتٍ عَلى سَبعِ أرَضِين، بَيْنَ كُلِّ سَماءٍ وأرْضٍ خَلْقٌ، وهَذا قَوْلُ الحَسَنِ.

والثّاني: أنَّهُنَّ سَبْعُ سَمواتٍ طِباقًا بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ، كالقِبابِ، وهَذا قَوْلُ السُّدِّيِّ.

وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦ فِيهِ قَوْلانِ:

أحَدُهُما: مَعْناهُ وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا لِأهْلِ الأرْضِ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

الثّانِي: أنَّهُ جَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا لِأهْلِ السَّماءِ والأرْضِ، قالَهُ عَطاءٌ.

وَقالَ ابْنُ عَبّاسٍ: وجْهُهُ يُضِيءُ لِأهْلِ الأرْضِ، وظَهْرُهُ يُضِيءُ لِأهْلِ السَّماءِ.

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجًا﴾ مِصْباحًا مُضِيئًا , يَعْنِي مِصْباحًا لِأهْلِ الأرْضِ، وفي إضافَتِهِ لِأهْلِ السَّماءِ القَوْلانِ الأوَّلانِ.

وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ فِيهِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: يَعْنِي آدَمَ خَلَقَهُ مِن أدِيمِ الأرْضِ كُلِّها، قالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، وقالَ خالِدُ بْنُ مَعْدانَ: خُلِقَ الإنْسانُ مِن طِينٍ، فَإنَّما تَلِينُ القُلُوبُ في الشِّتاءِ.

الثّانِي: أنْبَتْهم مِنَ الأرْضِ بِالكِبَرِ بَعْدَ الصِّغَرِ، وبِالطُّولِ بَعْدَ القِصَرِ، قالَهُ ابْنُ بَحْرٍ.

الثّالِثُ: أنَّ جَمِيعَ الخَلْقِ أنْشَأهم بِاغْتِذاءِ ما تُنْبِتُهُ الأرْضُ وبِما فِيها، وهو مُحْتَمَلٌ.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾ بَعْدَ المَوْتِ بالبعث من القبور ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ مِنْها يَوْمَ الْبَعْثِ أَحْياءً ﴿إِخْراجًا﴾ [١]

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها [٢]، أي فَرَشَهَا وَبَسَطَهَا لَكُمْ.

﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾ أيْ طُرُقًا واسِعَةً، والفِجاجُ جَمْعُ فَجٍّ وهو الطَّرِيقُ الواسِعُ، كَذا قالَ الفَرّاءُ وغَيْرُهُ،

وقِيلَ: الفَجُّ: المَسْلَكُ بَيْنَ الجَبَلَيْنِ، [٣] وقيل: طُرُقًا مُخْتَلِفَةً

﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١﴾ أيِ اسْتَمَرُّوا عَلى عِصْيانِي ولَمْ يُجِيبُوا دَعْوَتِي، شَكاهم إلى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، وأخْبَرَهُ بِأنَّهم عَصَوْهُ ولَمْ يَتَّبِعُوهُ وهو أعْلَمُ بِذَلِكَ

قالَ أهْلُ التَّفْسِيرِ: لَبِثَ فِيهِمْ ما أخْبَرَ اللَّهُ بِهِ ألْفَ سَنَةٍ إلّا خَمْسِينَ عامًا داعِيًا لَهم، وهم عَلى كُفْرِهِمْ وعِصْيانِهِمْ، قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: رَجا نُوحٌ الأبْناءَ بَعْدَ الآباءِ، فَيَأْتِي بِهِمُ الوَلَدَ بَعْدَ الوَلَدِ حَتّى بَلَغُوا سَبْعَةَ قُرُونٍ، ثُمَّ دَعا عَلَيْهِمْ بَعْدَ الإياسِ مِنهم، وعاشَ بَعْدَ الطُّوفانِ سِتِّينَ سَنَةً، حَتّى كَثُرَ النّاسُ وفَشَوْا[٤]

قالَ الحَسَنُ: كانَ قَوْمُ نُوحٍ يَزْرَعُونَ في الشَّهْرِ مَرَّتَيْنِ.

---

(١) تفسير البغوي

(٢) تفسير ابن جزي

(٣) فتح القدير للشوكاني

(٤) تفسير الماوردي

﴿واتَّبَعُوا مَن لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ ووَلَدُهُ إلّا خَسارًا﴾ أي اتَّبَعَ الأصاغِرُ رُؤَساءَهم وأهْلَ الثَّرْوَةِ مِنهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَزِدْهم كَثْرَةُ المالِ والوَلَدِ إلّا ضَلالًا في الدُّنْيا وعُقُوبَةً في الآخِرَةِ.

﴿واتَّبَعُوا مَن لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ ووَلَدُهُ إلّا خَسارًا﴾ وفِيهِ مَسْألَةٌ:

المَسْألَةُ: ذَكَرَ في الآيَةِ الأُولى أنَّهم عَصَوْهُ وفي هَذِهِ الآيَةِ أنَّهم ضَمُّوا إلى عِصْيانِهِ مَعْصِيَةً أُخْرى وهي طاعَةُ رُؤَسائِهِمُ الَّذِينَ يَدْعُونَهم إلى الكُفْرِ، وقَوْلُهُ: ﴿مَن لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ ووَلَدُهُ إلّا خَسارًا﴾ يَعْنِي هَذانِ وإنْ كانا مِن جُمْلَةِ المَنافِعِ في الدُّنْيا إلّا أنَّهُما لَمّا صارا سَبَبًا لِلْخَسارَةِ في الآخِرَةِ فَكَأنَّهُما صارا مَحْضَ الخَسارِ، والأمْرُ كَذَلِكَ في الحَقِيقَةِ؛ لِأنَّ الدُّنْيا في جَنْبِ الآخِرَةِ كالعَدَمِ فَإذا صارَتِ المَنافِعُ الدُّنْيَوِيَّةُ أسْبابًا لِلْخَسارَةِ في الآخِرَةِ صارَ ذَلِكَ جارِيًا مَجْرى اللُّقْمَةِ الواحِدَةِ مِنَ الحُلْوِ إذا كانَتْ مَسْمُومَةً سُمَّ الوَقْتِ،

واسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَةِ مَن قالَ: إنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ عَلى الكافِرِ نِعْمَةٌ؛ لِأنَّ هَذِهِ النِّعَمَ اسْتِدْراجاتٌ ووَسائِلُ إلى العَذابِ الأبَدِيِّ فَكانَتْ كالعَدَمِ، ولِهَذا المَعْنى قالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ في هَذِهِ الآيَةِ: ﴿لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ ووَلَدُهُ إلّا خَسارًا﴾.

وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ أيْ مَكْرًا كَبِيرًا عَظِيمًا

وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وفي هَذِهِ الأصْنامِ قَوْلانِ:

أحَدُهُما: أنَّها كانَتْ لِلْعَرَبِ لَمْ يَعْبُدْها غَيْرُهم ويَكُونُ مَعْنى الكَلامِ: كَما قالَ قَوْمُ نُوحٍ لِأتْباعِهِمْ لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكم،

قالَتِ العَرَبُ مِثْلَهم لِأوْلادِهِمْ وقَوْمِهِمْ لا تَذَرُنَّ ودًّا ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا، ثُمَّ عادَ الذِّكْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى قَوْمِ نُوحٍ.

واخْتُلِفَ في هَذِهِ الأسْماءِ، فَقالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: اشْتَكى آدَمُ وعِنْدَهُ بَنُوهُ ودٌّ وسُواعٌ ويَغُوثُ ويَعُوقُ ونَسْرٌ، وكانَ ودٌّ أكْبَرَهم وأبَرَّهم بِهِ،

وقالَ غَيْرُهُ: إنَّ هَذِهِ الأَسْماءَ كانَتْ لِرِجالٍ قَبْلَ قَوْمِ نُوحٍ، فَماتُوا فَحَزِنَ عَلَيْهِمْ أَبْناؤُهم حُزْنًا شَدِيدًا، فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أنْ يُصَوِّرُوهم لِيَنْظُرُوا إلَيْهِمْ فَفَعَلُوا، ثُمَّ عَبَدَها أَبْناؤُهم مِن بَعْدِهِمْ.

وَقالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: كانُوا قَوْمًا صالِحِينَ بَيْنَ آدَمَ ونُوحٍ فَحَدَّث بَعْدَهم مَن أخَذَ في العِبادَةِ مَأْخَذَهم، فَزَيَّنَ لَهم إبْلِيسُ أنْ يَتَصَوَّرُوا صُوَرَهم لِيَتَذَكَّرُوا بِها اجْتِهادَهم، ثُمَّ عَبَدَها مِن بَعْدِهم قَوْمُ نُوحٍ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ بَعْدَهم إلى العَرَبِ فَعَبَدَها وَلَدُ إسْماعِيلَ.

فَأمّا وِدٌّ فهو أوَّلُ صَنَمٍ مَعْبُودٍ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِوِدِّهِمْ لَهُ، وكانَ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ مِن قَوْلِ ابْنِ عَبّاسٍ وعَطاءٍ ومُقاتِلٍ،

وَأمّا سُواعٌ فَكانَ لِهُذَيْلٍ بِساحِلِ البَحْرِ، في قَوْلِهِمْ،

وأمّا يَغُوثُ فَكانَ لِغَطِيفٍ مِن مُرادٍ بِالجَوْفِ مِن سَبَأٍ، في قَوْلِ قَتادَةَ، وقالَ مُقاتِلٌ: حَيٌّ مِن نَجْرانَ.

قالَ أبُو عُثْمانَ النَّهْدِيّ: رَأيْتُ يَغُوثَ وكانَ مِن رَصاصٍ وكانُوا يَحْمِلُونَهُ عَلى جَمَلٍ أجْرَدَ، ويَسِيرُونَ مَعَهُ لا يُهَيِّجُونَهُ، حَتّى يَكُونَ هو الَّذِي يَبْرُكُ فَإذا بَرَكَ نَزَلُوا وقالُوا: قَدْ رَضِيَ لَكُمُ المَنزِلَ، فَيَضْرِبُونَ عَلَيْهِ بِناءً ويَنْزِلُونَ حَوْلَهُ.

وَأمّا يَعُوقُ فَكانَ لِهَمْدانَ بِبَلْخٍ، في قَوْلِ قَتادَةَ وعِكْرِمَةَ وعَطاءٍ.

وَأمّا نَسْرٌ فَكانَ لِذِي الكُلاعِ مِن حِمْيَرٍ في قَوْلِ عَطاءٍ ونَحْوُهُ عَنْ مُقاتِلٍ.

قالَ الواقِدِيُّ: كانَ "وَدٌّ" عَلى صُورَةِ رَجُلٍ، و"سُواعٌ" عَلى صُورَةِ امْرَأةٍ، و"يَغُوثُ" عَلى صُورَةِ أسَدٍ، و"يَعُوقُ" عَلى صُورَةِ فَرَسٍ، و"نَسْرٌ" عَلى صُورَةِ النَّسْرِ مِنَ الطَّيْرِ[1]

---

(1) تفسير ابن جزي

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ فِيهِ وجْهانِ:

أَحَدُهُما: يُرِيدُ أَنَّ هَذِهِ الأَصْنامَ قَدْ ضَلَّ بِها كَثِيرٌ مِن قَوْمِهِ.

الثّانِي: أَنَّ أَكابِرَ قَوْمِهِ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِن أَصاغِرِهِمْ وأَتْباعِهِمْ[١]

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ أَيْ: مِنْ كَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ رَسُولَهُمْ ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ أَيْ: نُقِلُوا مِنْ تَيَّارِ الْبِحَارِ إِلَى حَرَارَةِ النَّارِ،

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعِينٌ وَلَا مُغيث وَلَا مُجِير يُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ[٢]

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: دَعَا عَلَيْهِمْ حِينَ يَئِسَ مِنَ اتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: دَعَا عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ(هود: ٣٦) فَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ وَأَغْرَقَ أُمَّتَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (اللَّهُمَّ مُنَزِّلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ).

وَقِيلَ: سَبَبُ دُعَائِهِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ حَمَلَ وَلَدًا صَغِيرًا عَلَى كَتِفِهِ فَمَرَّ بِنُوحٍ فَقَالَ: (احْذَرْ هَذَا فَإِنَّهُ يُضِلُّكَ), فَقَالَ: يَا أَبَتِ أَنْزِلْنِي، فَأَنْزَلَهُ فَرَمَاهُ فَشَجَّهُ، فَحِينَئِذٍ غَضِبَ وَدَعَا عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَمُقَاتِلٌ وَالرَّبِيعُ وَعَطِيَّةُ وَابْنُ زَيْدٍ: إِنَّمَا قَالَ هَذَا حِينَمَا أَخْرَجَ اللَّهُ كُلَّ مُؤْمِنٍ مِنْ أَصْلَابِهِمْ وَأَرْحَامِ نِسَائِهِمْ. وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ النِّسَاءِ وَأَصْلَابَ الرِّجَالِ قَبْلَ الْعَذَابِ بِسَبْعِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: بِأَرْبَعِينَ.

قَالَ قَتَادَةُ: وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ صَبِيٌّ وَقْتَ الْعَذَابِ.

---

[١] تفسير الماوردي

[٢] تفسير ابن كثير

وَقَالَ الْحَسَنُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ: لَوْ أَهْلَكَ اللَّهُ أَطْفَالَهُمْ مَعَهُمْ كَانَ عَذَابًا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ وَعَدْلًا فِيهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ أَطْفَالَهُمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ بِغَيْرِ عَذَابٍ، ثُمَّ أَهْلَكَهُمْ بِالْعَذَابِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ(الفرقان: ٣٧)

.الثَّانِيَةُ- قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: "دَعَا نُوحٌ عَلَى الْكَافِرِينَ أَجْمَعِينَ، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ تَحَزَّبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّبَ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ هَذَا أَصْلًا فِي الدُّعَاءِ عَلَى الْكَافِرِينَ فِي الْجُمْلَةِ، فَأَمَّا كَافِرٌ مُعَيَّنٌ لَمْ تُعْلَمْ خَاتِمَتُهُ فَلَا يُدْعَى عَلَيْهِ، لِأَنَّ مَآلَهُ عِنْدَنَا مَجْهُولٌ، وَرُبَّمَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مَعْلُومَ الْخَاتِمَةِ بِالسَّعَادَةِ. وَإِنَّمَا خَصَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالدُّعَاءِ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَأَصْحَابَهُمَا، لِعِلْمِهِ بِمَآلِهِمْ وَمَا كُشِفَ لَهُ مِنَ الْغِطَاءِ عَنْ حَالِهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

الثَّالِثَةُ: قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ:" إِنْ قِيلَ لِمَ جَعَلَ نُوحٌ دَعْوَتَهُ عَلَى قَوْمِهِ سَبَبًا لِتَوَقُّفِهِ عَنْ طَلَبِ الشَّفَاعَةِ لِلْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ؟ قُلْنَا قَالَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا- أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ نَشَأَتْ عَنْ غَضَبٍ وَقَسْوَةٍ، وَالشَّفَاعَةُ تَكُونُ عَنْ رِضًا وَرِقَّةٍ، فَخَافَ أَنْ يُعَاتَبَ وَيُقَالَ: دَعَوْتَ عَلَى الْكُفَّارِ بِالْأَمْسِ وَتَشْفَعُ لَهُمُ الْيَوْمَ.

الثَّانِي- أَنَّهُ دَعَا غَضَبًا بِغَيْرِ نَصٍّ وَلَا إِذْنٍ صَرِيحٍ فِي ذَلِكَ، فَخَافَ الدَّرْكَ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أومر بقتلها). قال: وبهذا أقول". قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ لَمْ يُؤْمَرْ بِالدُّعَاءِ نَصًّا فَقَدْ قِيلَ لَهُ: أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ (هود: ٣٦).فَأُعْلِمَ عَوَاقِبَهُمْ فَدَعَا عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ، كَمَا دَعَا نَبِيُّنَا ﷺ عَلَى شَيْبَةَ وَعُتْبَةَ وَنُظَرَائِهِمْ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ) لَمَّا أُعْلِمَ عَوَاقِبَهُمْ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ فِيهِ مَعْنَى الْأَمْرِ بِالدُّعَاءِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الرَّابِعَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿دَيَّاراً. إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً﴾ أَيْ مَنْ يَسْكُنُ الدِّيَارَ، قَالَهُ السُّدِّيُّ[1]

---

[1] تفسير القرطبي

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ وذَلِكَ أنَّ الرَّجُلَ مِنهم كانَ يَنْطَلِقُ بِابْنِهِ إلى نُوحٍ فَيُحَذِّرُه تَصْدِيقَه.

وَقَوْلُهُ تعالى :﴿وَلا يَلِدُوا إلا فاجِرًا كَفّارًا﴾ قالَ المُفَسِّرُونَ: إنَّ اللَّهَ تعالى أخْبَرَ نُوحًا أنَّهم لا يَلِدُونَ مُؤْمِنًا، فَلِذَلِكَ عَلِمَ الفاجِرَ الخارِجَ عَنِ الطّاعَةِ.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ۝٢٨﴾ وَلِوالِدَيَّ أبوه لمك بن متوشلخ، وأمه شمخا بنت أنوش: كانا مؤمنين

وقيل هما آدم وحواء.

وقرأ الحسين بن علي: ولولدي، يريد: ساما وحاما بَيْتِيَ منزلي.

وقيل: مسجدي , وقيل: سفينتي، خص أوّلاً من يتصل به، لأنهم أولى وأحق بدعائه، ثم عم المؤمنين والمؤمنات تَباراً هلاكاً.

فإن قلت: ما فعل صبيانهم حين أغرقوا؟

قلت: غرقوا معهم لا على وجه العقاب، ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب الموت، وكم منهم من يموت بالغرق والحرق، وكأن ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمّهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون.

ومنه قوله عليه السلام »يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى

وعن الحسن.: أنه سئل عن ذلك فقال: علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب.

وقيل: أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة، فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا [١]

عن رسول الله ﷺ :(من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام)

---

(١) الكشاف للزمخشري

فوائد الآيات في السورة

١- من رحمة الله تعالى بعباده أن يرسل إليهم الأنبياء والرسل حيث أن الله تعالى يُرسل لكل قوم رسول منهم , لينذروا العباد ويرغبوهم بطاعة الله تعالى ويخوفوهم من عاقبة المعاصي والذنوب

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١

٢- الهدف من الاساسي من ارسال الرسل هو طاعة وتقوى الله وطاعة الرسل

أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣

٣- طاعة الله تعالى تكون سبباً في مغفرة الذنوب وإطالة العمر أو البركة في العمر

يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤

٤- كثرة الاستغفار تمحو الذنوب , وتطيل العمر , وتجلب الأمطار والأموال والرزق

فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢

٥- في كل مجتمع دعاة خير ودعاة شر

فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠

٦- وجوب توقير الله وتعظيمه بتوحيده وعدم الإشراك به

مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣

نعم الله تعالى على عباده كثيرة فهي تُعد ولا تُحصى بداية من أطوار خلق الانسان وخلق السموات وجعل الشمس سراجاً والقمر نوراً وبسط الأرض إلا إن الانسان الكافر يعصي الله تعالى ويتبع سبيل المال

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

٧- عادة يكون البسط في الرزق سبباً في طغيان الانسان

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾

٨- من عادة المجرمين المكر العظيم بأهل التوحيد في زمان ومكان

وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾

٩- اصرار الكافرين على الكفر و بل انهم يُوصون ابناءهم بالكفر

وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

١٠- جواز الدعاء على الكافرين

وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾

١١- من السنة أن يدعو الانسان قبل غيره , ولا ينسى ابويه واخوانه من المؤمنين والمؤمنات

رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة نوح



سورة الجن

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٢٨) آية وعدد كلماتها (٣٢٠) كلمة وعدد حروفها (١٠٨٩) حرفا

موضوعات السورة

*سورة الجن مكية وهي تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء) ومحور السورة يدور حول الجن، وما يتعلق بهم من أمور خاصة، بدءا من استماعهم للقرآن، إلى دخولهم في الإيمان، وقد تناولت السورة بعض الأنباء العجيبة الخاصة بهم، كاستراقهم للسمع، ورميهم بالشهب المحرقة، واطلاعهم على بعض الأسرار الغيبية، إلى غير ذلك من الأخبار المثيرة.

*ابتدأت السورة الكريمة بالإخبار عن استماع فريق من الجن للقرآن، وتأثرهم بما فيه من روعة البيان، حتى آمنوا به فور استماعه، ودعوا قومهم إلى الإيمان}

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾

*ثم انتقلت للحديث عن تمجيدهم وتنزيههم لله جل وعلا، وإفرادهم له بالعبادة، وتسفيههم لمن جعل لله ولدا

وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾

*ثم تحدثت السورة عن استراق الجن للسمع، وإحاطة السماء بالحرس من الملائكة، وإرسال الشهب على الجن، بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين، وتعجبهم من هذا الحدث

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾

*ثم تحدثت السورة عن انقسام الجن إلى فريقين: مؤمنين، وكافرين ومآل كل من الفريقين}

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

*ثم انتقلت للحديث عن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن التفاف الجن حوله حين سمعوه يتلو القرآن}

وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾

* ثم أمرت الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يعلن استسلامه وخضوعه لله، ويفرده جل وعلا بإخلاص العمل، وأن يتبرأ من الحول والطول}

قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾

وختمت السورة ببيان اختصاص الله جل وعلا بمعرفة الغيب، وإحاطته بعلم جميع ما في الكائنات}

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤

اللغة ومعاني الكلمات

﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ ﴾

﴿ ٱسۡتَمَعَ ١ ﴾ :لِتِلاوَتِي لِلْقُرآنِ[١]

﴿نَفَرٞ ١ ﴾ جَمَاعَةٌ[١]

﴿عَجَبٗا ١ ﴾ يُتَعَجَّبُ مِنْهُ فِي فَصَاحَتِهِ، وَبَلاَغَتِهِ، وَمَعَانِيهِ بَدِيعًا فِي أَحْكَامِهِ

---

(١) الميسر في الغريب

﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ ۝٢ ﴾ يَدْعُو إلى الحَقِّ، وَالهُدَى

﴿تَعَٰلَىٰ ۝٣ ﴾ :عَلَتْ وارْتَفَعتْ.

﴿جَدُّ رَبِّنَا ۝٣ ﴾ عَظَمَةُ رَبِّنَا، وَجَلَالُهُ، وَغِنَاهُ.

﴿صَٰحِبَةٗ ۝٣ ﴾ زَوْجَةً.

﴿سَفِيهُنَا ۝٤ ﴾ إِبْلِيسُ.

﴿شَطَطٗا ۝٤ ﴾ قَوْلاً بَعِيدًا عَنِ الحَقِّ مِنْ دَعْوَى الصَّاحِبَةِ وَالوَلَدِ

﴿يَعُوذُونَ ۝٦ ﴾ يَسْتَجِيرُونَ، وَيَسْتَعِيذُونَ.

﴿رَهَقٗا ۝٦ ﴾ طُغْيانًا، وَسَفَهًا وخَوْفًا

﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ ۝٧ ﴾ وَأَنَّ كُفَّارَ الإِنْسِ حَسِبُوا.

﴿ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ۝٧ ﴾ :بَعْدَ الموتِ

﴿لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ ۝٨ ﴾ طَلَبْنَا بُلُوغَ السَّمَاءِ لاسْتِماعِ كَلامِ أَهْلِها (لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ)

﴿ حَرَسٗا شَدِيدٗا ۝٨ ﴾ :مَلائِكَةً تَحْرُسُها

﴿وَشُهُبٗا ۝٨ ﴾ نُجُومًا مُحْرِقَةً؛ كانتْ تُرْجَمُ بها الشَّياطِينُ وَذَلِكَ لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم

﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِ ۝٩ ﴾ نَتَّخِذُ مِنَ السَّماءِ مَوَاضِعَ ؛ لِنَسْتَمِعَ إِلَى أَخْبَارِهَا.

﴿ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ ۝٩ ﴾ :فَمَنْ يُحاوِلِ الآنَ اسْتِراقَ السَّمْعِ.

﴿ شِهَابٗا رَّصَدٗا ۝٩ ﴾ :شِهابًا بالمِرْصادِ، يُحْرِقُه ويُهْلِكُهُ

﴿رَصَدٗا ۝٩ ﴾ أُرْصِدَ لَهُ؛ لِيُرْمَى بِهِ.

﴿رَشَدٗا ۝١٠ ﴾ خَيْرًا، وَصَلَاحًا، وَرَحْمَةً

---

(١) غريب القرآن للخضيري

﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ ١١ ﴾ :ومِنّا قومٌ دُونَ ذَلِكَ كُفّارٌ وفُسّاقٌ.

﴿طَرَائِقَ قِدَدًا ١١ ﴾ فِرَقًا وَمَذَاهِبَ مُخْتَلِفَةً

﴿قِدَدًا ١١ ﴾ :مُخْتَلِفَةً

﴿ظَنَنَّا ١٢ ﴾ أَيْقَنَّا.

﴿لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ ١٢ ﴾ لَنْ نَفُوتَهُ، وَنُفْلِتَ مِنْ قَبْضَتِهِ.

﴿ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢ ﴾ :ولَن نَسْتَطِيعَ أن نُفْلِتَ مِن عِقابِهِ هَرَبًا

﴿ٱلۡهُدَىٰٓ ١٣﴾ القُرآنَ

﴿بَخْسًا ١٣ ﴾ نُقْصَانًا مِنْ حَسَنَاتِهِ.

﴿وَلاَ رَهَقًا ١٣ ﴾ وَلاَ ظُلْمًا يَلْحَقُهُ بِزِيَادَةٍ فِي سَيِّئَاتِهِ

﴿ ٱلۡمُسۡلِمُونَ ١٤ ﴾ :الخاضِعُونَ للهِ بالطّاعةِ.

﴿ ٱلۡقَٰسِطُونَۖ ١٤ ﴾ :الجائِرُونَ العُصاةُ الّذِينَ حادُوا عَنِ الحَقِّ.

﴿ فَمَنۡ أَسۡلَمَ ١٤ ﴾ :وخَضَعَ للهِ بالطّاعةِ.

﴿ تَحَرَّوۡاْ ١٤ ﴾ :قَصَدُوا وَاجْتَهَدُوا فِي اخْتِيَارِ

﴿ رَشَدٗا ١٤ ﴾ :طَرِيقَ الحقِّ والصَّوابِ.

﴿الْقَاسِطُونَ ١٤ ﴾ الجَائِرُونَ، الظَّالِمُونَ

التفسير

﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ ﴾ يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُخْبِرَ قَوْمَهُ: أَنَّ الْجِنَّ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَانْقَادُوا لَهُ[(١)]

وعن ابن عباس، قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجنّ ولا رآهم

وكان سبب استماع هؤلاء النفر من الجنّ القرآن

انطلق رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، قال: وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث.

قال: فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حدث، قال: فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، يتتبعون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء؛ قال: فانطلق النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر؛ قال: فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، قال: فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ قال: فأنزل الله على نبيه ﷺ :﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجنّ[(٢)]

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير الطبري

وَكَانُوا تِسْعَةً مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ. وَقِيلَ سَبْعَةٌ اسْتَمَعُوا قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿فَقَالُوا﴾ لَمَّا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَلِيغًا أَيْ: قُرْآنًا ذَا عَجَبٍ يُعْجَبُ مِنْهُ لِبَلَاغَتِه[1]

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عاصم، عن ورقاء، قال: قدم رهط زوبعة وأصحابه مكة على النبيّ ﷺ فسمعوا قراءة النبيّ ﷺ ثم انصرفوا، فذلك قوله :﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ قال: كانوا تسعة فيهم زوبعة.

*حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله :﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ هو قول الله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ لم تُحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد؛ فلما بعث الله محمدًا ﷺ حرست السماء الدنيا، ورُميت الشياطين بالشهب، فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، فأمر الجنّ فتفرّقت في الأرض لتأتيه بخبر ما حدث. وكان أوّل من بُعث نفر من أهل نصيبين وهي أرض باليمن، وهم أشراف الجنّ، وسادتهم، فبعثهم إلى تهامة وما يلي اليمن، فمضى أولئك النفر، فأتوا على الوادي وادي نخلة، وهو من الوادي مسيرة ليلتين، فوجدوا به نبيّ الله ﷺ يصلي صلاة الغداة فسمعوه يتلو القرآن؛ فلما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما قُضِيَ، يعني فُرِغ من الصلاة، وَلَّوْا إلى قومهم منذرين، يعني مؤمنين، لم يعلم بهم نبيّ الله ﷺ

[1] تفسير البغوي

ولم يشعر أنه صُرِف إليه، حتى أنزل الله عليه :﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ (١)

يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ أَيْ: إِلَى السَّدَادِ وَالنَّجَاحِ، والحق والصواب والإيمان، وقيل إلى معرفة الله والتوحيد، والجملة صفة أخرى للقرآن (فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ) أي صدقنا بأنه من عند الله (وَلَن نُّشْرِكَ) بعد اليوم (بِرَبِّنَآ أَحَدًا) من خلقه ولا نتخذ معه إلهاً آخر لأنه المتفرد بالربوبية، وفيه دليل على أن أولئك النفر كانوا مشركين , و قيل كانوا يهوداً ,وقيل كانوا نصارى , وقيل مجوساً ومشركين.
وفي هذا توبيخ للكفار من بني آدم حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله وآمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مراراً متعددة، وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة، مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم(٢)

وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ والجَدُّ عِنْدَ أهْلِ اللُّغَةِ العَظَمَةُ والجَلالُ، يُقالُ جَدَّ في عَيْنِي: أيَّ عَظُمَ، فالمَعْنى: ارْتَفَعَ عَظَمَةُ رَبِّنا وجَلالُهُ، وبِهِ قالَ عِكْرِمَةُ، ومُجاهِدٌ.
وقالَ الحَسَنُ: المُرادُ تَعالى غِناهُ، ومِنهُ قِيلَ لِلْحَظِّ جَدٌّ، ورَجُلٌ مَجْدُودٌ: أيْ مَحْظُوظٌ وفي الحَدِيثِ »ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ «قالَ أبُو عُبَيْدٍ والخَلِيلُ: أيْ لا يَنْفَعُ ذا الغِنى مِنكَ الغِنى: أيْ إنَّما تَنْفَعُهُ الطّاعَةُ، وقالَ القُرْطُبِيُّ، والضَّحّاكُ: جَدُّهُ: آلاؤُهُ ونِعَمُهُ عَلى خَلْقِهِ(٣)

(١) تفسير الطبري
(٢) فتح البيان للقنوجي
(٣) فتح القدير للشوكاني

﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ تعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ عَنْ أَنْ يَتَّخِذَ صَاحِبَةً (زوجة) أَوْ وَلَدًا [1]

فعلموا من جد الله وعظمته، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولدا، لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغنى [2]

وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ والمراد بسفيه الجن هو إبْلِيسُ حيث كان يزعم أن لله سبحانه وتعالى صاحبة (زوجة) و ولد ,

و عِنْدَ الجُمْهُورِ أن سفيهنا هم مَرَدَةُ الجِنِّ والمُرادُ سُفَهاؤُنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ أيْ قَوْلًا ذا شَطَطٍ أيْ بُعْدٍ عَنِ القَصْدِ ومُجاوَزَةِ الحَدِّ أوْ هو في نَفْسِهِ شَطَطٌ لِفَرْطِ بُعْدِهِ عَنِ الحَقِّ وهو نِسْبَةُ الصّاحِبَةِ والوَلَدِ إلَيْهِ عَزَّ وجَلَّ وتَعَلُّقُ الإيمانِ والتَّصْدِيقِ بِهَذا القَوْلِ [3]

وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وأنا حسبنا أن لن تقول بنو آدم والجنّ على الله كذباً من القول، والظنّ هاهنا بمعنى الشك، وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجنّ أن تكون علمت أن أحدًا يجترئ على الكذب على الله لما سمعت القرآن، لأنهم قبل أن يسمعوه وقبل أن يعلموا تكذيب الله الزاعمين أن لله صاحبة وولدًا، وغير ذلك من معاني الكفر كانوا يحسبون أن إبليس صادق فيما يدعو بني آدم إليه من صنوف الكفر؛ فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذباً في كلّ ذلك، فلذلك قالوا :﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ فسموه سفيهًا [4]

---

(١) فسير البغوي

(٢) تفسير السعدي

(٣) تفسير الآلوسي

(٤) تفسير الطبري

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝٥﴾ اعْتِذارٌ منهم عَنْ تَقْليدِهِمْ لِسَفيهِهِمْ أيْ كُنّا نَظُنُّ أنْ لَنْ يَكْذِبَ عَلى اللَّهِ تَعالى أحَدٌ فَيَنْسُبُ إلَيْهِ سُبْحانَهُ الصّاحِبَةَ والوَلَدَ ولِذَلِكَ اعْتَقَدْنا صِحَّةَ قَوْلِ السَّفيهِ

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ۝٦﴾ كانَ الرَّجُلُ مِنَ العَرَبِ إذا أمْسى في وادٍ قَفْرٍ وخافَ عَلى نَفْسِهِ نادى بِأعْلى صَوْتِهِ يا عَزِيزُ هَذا الوادِي أعُوذُ بِكَ مِنَ السُّفَهاءِ الَّذِينَ في طاعَتِكَ يُرِيدُ الجِنَّ وكَبِيرَهم فَإذا سَمِعُوا بِذَلِكَ اسْتَكْبَرُوا وقالُوا سُدْنا الجِنَّ والإنْسَ وذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى ﴿فَزادُوهُمْ﴾ أيْ زادَ الرِّجالُ العائِذُونَ الجِنَّ ﴿رَهَقًا﴾ أيْ تَكَبُّرًا وعُتُوًّا[١]

وعَنْ كَردم بْنِ أَبِي السَّائِبِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَةٍ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا ذُكِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَآوَانَا الْمَبِيتُ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ. فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ جَاءَ ذِئْبٌ فَأَخَذَ حَمَلًا مِنَ الْغَنَمِ، فَوَثَبَ الرَّاعِي فَقَالَ: يَا عَامِرَ الْوَادِي، جَارَكَ. فَنَادَى مُنَادٍ لَا نَرَاهُ، يَقُولُ: يَا سِرْحَانُ، أَرْسِلْهُ(يعني اتركه) فَأَتَى الحملَ يَشْتَدُّ حَتَّى دَخَلَ فِي الْغَنَمِ لَمْ تُصِبْهُ كَدْمَةٌ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ بِمَكَّةَ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[٢]

﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ۝٧﴾ إنَّ الْجِنَّ ظَنُّوا ﴿كَما ظَنَنْتُمْ﴾ يا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ مِنَ الْإِنْسِ ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بَعْدَ مَوْتِهِ[٣]

فلما أنكروا البعث أقدموا على الشرك والطغيان

﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨﴾ هَذا مِن قَوْلِ الجِنِّ أيْضًا: أيْ طَلَبْنا خَبَرًا (من السماء الدنيا)كَما بِهِ جَرَتْ عادَتُنا ﴿فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ مِنَ المَلائِكَةِ يَحْرُسُونَها عَنِ اسْتِراقِ السَّمْعِ، والحَرَسُ جَمْعُ حارِسٍ، وشَدِيدًا

---

(١) تفسير الآلوسي

(٢) تفسير ابن كثير

(٣) تفسير البغوي

صِفَةٌ لِـ(حَرَسًا): أيْ قَوِيًّا وشُهُبًا (من النجوم)جَمْعُ شِهابٍ، وهو الشُّعْلَةُ المُقْتَبَسَةُ مِن نارِ (النجم) [1]

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ كنا نقعد مِنَ السَّمَاءِ ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أَيْ: كُنَّا نَسْتَمِعُ ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ أُرْصِدَ لَهُ لِيُرْمَى بِهِ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: إِنَّ الرَّجْمَ كَانَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ مَا كَانَ بَعْدَ مَبْعَثِهِ فِي شِدَّةِ الْحِرَاسَةِ، وَكَانُوا يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ مُنِعُوا مِنْ ذَلِكَ أَصْلًا [2]

ويُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْجِنِّ حِينَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَكَانَ مِنْ حِفْظِهِ لَهُ أَنَّ السَّمَاءَ مُلِئَت حَرَسًا شَدِيدًا، وَحُفِظَتْ مِنْ سَائِرِ أَرْجَائِهَا، وَطُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَقَاعِدِهَا الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ؛ لِئَلَّا يَسْتَرِقُوا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ. فَيُلْقُوهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْكَهَنَةِ، فَيَلْتَبِسُ الْأَمْرُ وَيَخْتَلِطُ وَلَا يُدْرَى مَنِ الصَّادِقُ. وَهَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَحِفْظِهِ لِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَلِهَذَا قَالَ الْجِنِّ : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ أَيْ: مَنْ يَرُومُ أَنْ يَسْتَرِقَ السَّمْعَ الْيَوْمَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا مُرْصِدًا لَهُ، لَا يَتَخَطَّاهُ وَلَا يَتَعَدَّاهُ، بَلْ يَمْحَقُهُ وَيُهْلِكُهُ [3]

وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ أَيْ: مَا نَدْرِي هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ حَدَثَ فِي السَّمَاءِ، لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا؟ وَهَذَا مِنْ أَدَبِهِمْ فِي الْعِبَارَةِ حَيْثُ أَسْنَدُوا الشَّرَّ إِلَى غَيْرِ فَاعِلٍ، وَالْخَيْرَ أَضَافُوهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) فتح القدير للشوكاني

(٢) تفسير البغوي

(٣) تفسير ابن كثير

وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ: "وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ". وَقَدْ كَانَتِ الْكَوَاكِبُ يُرمى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِكَثِيرٍ بَلْ فِي الْأَحْيَانِ بَعْدَ الْأَحْيَانِ،

كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بينما رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ جالسٌ في نفرٍ مِن أصحابِهِ إذ رُمِيَ بنجمٍ فاستَنارَ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: ما كنتُمْ تقولونَ لمثلِ هذا في الجاهليَّةِ إذا رأيتُموه؟ قالوا: كنَّا نقولُ: يموتُ عظيمٌ أو يولَدُ عظيمٌ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: فإنَّهُ لا يُرمَى بِهِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِهِ ولَكِنَّ ربَّنا تبارك اسمُهُ وتعالى إذا قضى أمرًا سبَّحَ حملةُ العرشِ ثمَّ سبَّحَ أَهْلُ السَّماءِ الَّذينَ يلونَهُم ثمَّ الَّذينَ يلونَهُم حتَّى يبلُغَ التَّسبيحُ إلى هذِهِ السَّماءِ، ثمَّ سألَ أَهْلُ السَّماءِ السَّادسةِ أَهْلَ السَّماءِ السَّابعةِ: ماذا قالَ ربُّكم؟ قالَ: فيخبرونَهُم ثمَّ يستخبرُ أَهْلُ كلِّ سماءٍ حتَّى يبلغَ الخبرُ أَهْلَ السَّماءِ الدُّنيا وتختَطفُ الشَّياطينُ السَّمعَ فيرمونَ فيقذفونَهُ إلى أوليائِهِم فما جاءوا بِهِ على وجهِهِ فَهوَ حقٌّ، ولَكِنَّهم يحرِّفونَهُ ويَزيدون

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾ يَقُولُ مُخْبِرًا عَنِ الْجِنِّ: أَنَّهُمْ قَالُوا مُخْبِرِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ :﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أَيْ: غَيْرُ ذَلِكَ، ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أَيْ: طَرَائِقَ مُتَعَدِّدَةً مُخْتَلِفَةً وَآرَاءً مُتَفَرِّقَةً.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ :﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أَيْ: مِنَّا الْمُؤْمِنُ وَمِنَّا الْكَافِرُ[1]

قالَ السُّدِّيُّ: الجِنُّ أمْثالُكم، فِيهِمْ مُرْجِئَةٌ وقَدَرِيَّةٌ ورَوافِضُ وخَوارِجُ[2]

---

(1) تفسير ابن كثير

(2) تفسير الرازي

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢﴾ الظَّنُّ، بِمَعْنى اليَقِين أَيْ: نَعْلَمُ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ حاكِمَةٌ عَلَيْنا وَأَنّا لا نُعْجِزُهُ فِي الْأَرْضِ، وَلَوْ أَمْعَنّا فِي الْهَرَبِ، فَإِنَّهُ عَلَيْنا قادِرٌ لا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنّا.

و(هَرَبًا) فِيهِ وجْهانِ:

الأَوَّلُ: أَيْ لَنْ نُعْجِزَهُ كائِنِينَ فِي الأَرْضِ أَيْنَما كُنّا فِيها، ولَنْ نُعْجِزَهُ هارِبِينَ مِنها إلى السَّماءِ.

والثّانِي: لَنْ نُعْجِزَهُ فِي الأَرْضِ إنْ أرادَ بِنا أمْرًا، ولَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا إنْ طَلَبَنا

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾

وهو القُرْآنُ الَّذِي أتى بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿آمَنّا بِهِ﴾ أيْ: صَدَّقْنا أنَّهُ مِن عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْسًا﴾ أيْ: فمن يؤمن إيماناً صادقاً ﴿فَلا يَخافُ بَخْسًا﴾ نَقْصًا مِنَ الثَّوابِ , ﴿وَلا رَهَقًا﴾ أيْ: ولا ظُلْمًا ومَكْرُوهًا يَغْشاهُ[1]

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤﴾ قالَ مُقاتِلٌ: المُخْلِصُونَ لِلَّهِ ﴿وَمِنّا القاسِطُونَ﴾ وهُمُ المَرَدَةُ.

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: القاسِطُونَ: الجائِرُونَ. يُقالُ: قَسَطَ: إذا جارَ، وأقْسَطَ: إذا عَدَلَ[2]

قالَ المُفَسِّرُونَ: هُمُ الكافِرُونَ ﴿فَمَن أسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أيْ: فمن أسلم أي انقاد لله تعالى بطاعته وخلص من الشرك به فهؤلاء تحروا الرشد وفازوا به[3] وأصابوا طريق الرشد، الموصل لهم إلى الجنة ونعيمها[4]

---

(١) فسير ابن الجوزي

(٢) تفسير ابن الجوزي

(٣) أيسر التفاسير

(٤) تفسير السعدي

وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

اللغة ومعاني الكلمات

﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ :الجائِرُونَ عَن طَرِيقِ الإسْلامِ[١]

﴿ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ :وقُودًا

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴿١٦﴾ ﴾ :لَو سارَ الكُفّارُ مِنَ الإنْسِ والجِنِّ على طَرِيقَةِ الإسْلامِ.

﴿الطَّرِيقَةِ ﴿١٦﴾ ﴾ :دِينِ الإسْلامِ

﴿ غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ :كَثِيرًا.

(١) الميسر في الغريب

﴿ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ ۝١٧ ﴾ :لِنَخْتَبِرَهُم

﴿ ذِكۡرِ رَبِّهِۦ ۝١٧ ﴾ :طاعَةِ رَبِّهِ واسْتِماعِ القُرآنِ، والعَمَلِ بِهِ.

﴿ يَسۡلُكۡهُ ۝١٧ ﴾ :يُدْخِلْهُ.

﴿ عَذَابٗا صَعَدٗا ۝١٧ ﴾ :عذاباً شَدِيدًا شاقًّا.

﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ۝١٨ ﴾ :وأَنَّ المساجِدَ لِعبادَةِ اللهِ وحْدَهُ.

﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۝١٨ ﴾ :فلا تَعْبُدُوا فِيها غَيرَهُ

﴿ يَدۡعُوهُ ۝١٩ ﴾ :يَعْبُدُ رَبَّهُ.

﴿ كَادُواْ ۝١٩ ﴾ :قارَبَ الجِنُّ[1]

﴿ عَبۡدُ ٱللَّهِ ۝١٩ ﴾ :مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿ لِبَدٗا ۝١٩ ﴾ :جَماعاتٍ مُتَراكِمَةً، بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ؛ مِن شِدَّةِ ازْدِحامِهِم لِسَماعِ القُرآنِ مِنهُ

﴿ لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا ۝٢١ ﴾ :لا أَقْدِرُ أن أدْفَعَ عَنْكُم ضَرًّا

﴿ وَلَا رَشَدٗا ۝٢١ ﴾ :ولا أجْلِبُ لَكُم نَفْعًا.

﴿ لَن يُجِيرَنِي ۝٢٢ ﴾ :لَن يُنْقِذَني مِن عَذابِ اللهِ.

﴿ مُلۡتَحَدًا ۝٢٢ ﴾ :مَلْجَأً أفِرُّ إلَيهِ مِن عَذابِهِ.

﴿ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ ۝٢٣ ﴾ :لَكِنْ أمْلِكُ أنْ أبَلِّغَكُم عَنِ اللهِ ما أمَرَني بِتَبْلِيغِهِ لَكُم.

---

(١) غريب القرآن للخضيري

﴿ مَا يُوعَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ :ما يَعِدُهم رَبُّهم.

﴿ نَاصِرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ :مُعِينًا.

﴿ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ :جُنْدًا.

﴿ إِنْ أَدْرِيٓ ﴿٢٥﴾ ﴾ :ما أعْلَمُ.

﴿ مَّا تُوعَدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ :ما يَعِدُكم رَبُّكم مِنَ العَذابِ وقِيامِ السّاعةِ.

﴿ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ ﴾ :مُدَّةً طَوِيلَةً.

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴿٢٦﴾ ﴾ :ما غابَ عَنِ الأبْصارِ.

﴿ فَلَا يُظْهِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾ :فلا يُطْلِعُ.

﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ :إلّا مَن اختارهم اللهُ لِرسالَتِهِ، فَإنَّه يُطْلِعُهُم عَلى بَعْضِ الغَيبِ

﴿يَسْلُكُ ﴿٢٧﴾ ﴾ :يُرْسِلُ.

﴿رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ :مَلائِكَةً يَحْفَظُونَه، ويَحْرُسُونَهُ

﴿ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ :يُرْسِلُ مِن أمامِ الرَّسُولِ ومِن خَلْفِهِ ملائِكَةً يحفَظُونَهُ مِنَ الجِنِّ؛ لِئلّا يَسْتَرِقُوهُ ويَهْمِسُوا بِهِ إلى الكَهَنَةِ.

﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ :وعَلِمَ اللهُ بِكُلِّ ما عَنْدَهُم.

﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ :عَلِمَ اللهُ عَدَدَ الأَشْياءِ كُلِّها

التفسير

وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ كَانُوا وَقُودَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى كُفَّارِ مَكَّةَ فَقَالَ:

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهَا فَقَالَ قَوْمٌ: لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى طَرِيقَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ وَالْهُدَى فَكَانُوا مُؤْمِنِينَ مُطِيعِينَ ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقًا﴾ كَثِيرًا قَالَ مُقَاتِلٌ: وَذَلِكَ بَعْدَمَا رَفَعَ عَنْهُمُ الْمَطَرَ سَبْعَ سِنِينَ.

وَقَالُوا مَعْنَاهُ لَوْ آمَنُوا لَوَسَّعْنَا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَأَعْطَيْنَاهُمْ مَالًا كَثِيرًا وَعَيْشًا رَغَدًا وَضَرْبُ الْمَاءِ الْغَدَقِ مَثَلًا لِأَنَّ الْخَيْرَ وَالرِّزْقَ كُلَّهُ فِي الْمَطَرِ[١]

لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ أَيْ: لِنَخْتَبِرَهُمْ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ لِنَبْتَلِيَهُمْ، مَنْ يَسْتَمِرُّ عَلَى الْهِدَايَةِ مِمَّنْ يَرْتَدُّ إِلَى الْغَوَايَةِ؟.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: فَنَزَلَتْ فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ حِينَ مُنِعوا الْمَطَرَ سَبْعَ سِنِينَ.

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أَيْ: عَذَابًا شَاقًّا (لَا رَاحَةَ مَعَهَ)شَدِيدًا مُوجِعًا مُؤْلِمًا

﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: بِئْرٌ فِيهَا[٢]

والمعنى من يُعرض عن الايمان بالله فإنه يدخل في جهنم ويُكلف بصعود صخرة ملساء في جبل في جهنم (لا راحة فيه) فإذا انتهى إلى أعلاها حدر إلى جهنم

---

(١) تفسير البغوي

(٢) تفسير ابن كثير

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقاوِيلَ:

أَحَدُها: يَعْنِي الصَّلَواتِ لِلَّهِ، قالَهُ ابْنُ شَجَرَةَ.

الثّانِي: أَنَّها الأَعْضاءُ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْها لِلَّهِ، قالَهُ الرَّبِيعُ.

الثّالِثُ: أَنَّها المَساجِدُ الَّتِي هِي بُيُوتُ اللَّهِ لِلصَّلَواتِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الرّابِعُ: أَنَّهُ كُلُّ مَوْضِعٍ صَلّى فِيهِ الإِنْسانُ، فَإِنَّهُ لِأَجْلِ السُّجُودِ فِيهِ يُسَمّى مَسْجِدًا.

﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أَيْ فَلا تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ،

وفي سَبَبِهِ عدة أَقاوِيلَ:

أَحَدُها: ما حَكاهُ الأَعْمَشُ أَنَّ الجِنَّ قالَتْ: يا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لَنا نَشْهَدْ مَعَكَ الصَّلاةَ فِي مَسْجِدِكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ.

الثّانِي: ما حَكاهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ أَنَّ الحُمْسَ مِن مُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ وهم كِنانَةُ وعامِرٌ وقُرَيْشٌ كانُوا يُلَبُّونَ حَوْلَ البَيْتِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ، إلّا شَرِيكًا هو لَكَ، تَمْلِكُهُ وما مَلَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ نَهْيًا أَنْ يَجْعَلَ لِلَّهِ شَرِيكًا، ورَوى الضَّحّاكُ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ» :أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إذا دَخَلَ المَسْجِدَ قَدَّمَ رِجْلَهُ اليُمْنى وقالَ: ﴿وَأَنَّ المَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ اللَّهُمَّ أَنا عَبْدُكَ وزائِرُكَ، وعَلى كُلِّ مَزُورٍ حَقٌّ وأَنْتَ خَيْرُ مَزُورٍ فَأَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ أَنْ تَفُكَّ رَقَبَتِي مِنَ النّارِ وإذا خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ قَدَّمَ رِجْلَهُ اليُسْرى وقالَ: اللَّهُمَّ صُبَّ الخَيْرَ صَبًّا ولا تَنْزِعْ عَنِّي صالِحَ ما أَعْطَيْتَنِي أَبَدًا ولا تَجْعَلْ مَعِيشَتِي كَدًّا واجْعَلْ لِي فِي الخَيْرِ جِدًّا[١]

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩﴾ وفي مَعْنى الآيَةِ ثَلاثَةُ أَقْوالٍ.

أَحَدُها: أَنَّهُ إخْبارُ اللَّهِ تَعالى عَنِ الجِنِّ يَحْكِي حالَهم. والمَعْنى: أَنَّهُ لَمّا قامَ محمد ﷺ يُصَلِّي كادَ الجِنُّ لِازْدِحامِهِمْ عَلَيْهِ يَرْكَبُ بَعْضُهم بَعْضًا، حِرْصًا عَلى سَماعِ القُرْآنِ، رَواهُ عَطِيَّةُ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ.

---

(١) تفسير الماوردي

والثّاني: أنَّهُ من قَوْلِ الجِنِّ لِقَوْمِهِمْ لَمّا رَجعُوا إلَيْهِمْ، فَوَصَفُوا لَهم طاعَةَ أصْحابِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وائْتِمامَهم بِهِ في الرُّكُوعِ، والسُّجُودِ فَكَأنَّهم قالُوا: لَمّا قامَ يُصَلِّي كادَ أصْحابُهُ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا. وهَذا المَعْنى في رِوايَةِ ابْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ.

والثّالِثُ: أنَّ المَعْنى: لَمّا قامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالدَّعْوَةِ تَلَبَّدَتِ الإنْسُ والجِنُّ، وتَظاهَرُوا عَلَيْهِ، لِيُبْطِلُوا الحَقَّ الَّذِي جاءَ بِهِ، قالَهُ الحَسَنُ، وقَتادَةُ، وابْنُ زَيْدٍ[1]

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ٢٠﴾ أيْ: قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ -لَمَّا آذَوْهُ وَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ وَتَظَاهَرُوا عَلَيْهِ، لِيُبْطِلُوا مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَاجْتَمَعُوا عَلَى عَدَاوَتِهِ :﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أَيْ: إِنَّمَا أَعْبُدُ رَبِّي وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَسْتَجِيرُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾[2]

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١﴾ أيْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ، وَعَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ فِي هِدَايَتِكُمْ وَلَا غَوَايَتِكُمْ، بَلِ الْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فلَا أَقْدِرُ أَنْ أَدْفَعَ عَنْكُمْ ضَرًا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ أَيْ لَا أَسُوقُ إِلَيْكُمْ رَشَدًا أَيْ: خَيْرًا [3]

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ٢٢﴾ لَنْ يَمْنَعَنِي مِنْ أَحَدٍ إِنْ عَصَيْتُهُ , أَيْ لا يَدْفَعُ عَنِّي أحَدٌ عَذابَهُ إنْ أنْزَلَهُ بِي

﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أيْ مَلْجَأً ومَعْدِلًا وحِرْزًا،

وقالَ الكَلْبِيُّ: مَدْخَلًا في الأرْضِ مِثْلَ السَّرْبِ، وقِيلَ مَذْهَبًا ومَسْلَكًا [4]

---

(١) تفسير ابن الجوزي

(٢) تفسير ابن كثير

(٣) تفسير البغوي

(٤) فتح القدير للشوكاني

إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ فَفِيهِ الْجِوَارُ وَالْأَمْنُ وَالنَّجَاةُ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: ذَلِكَ الَّذِي يُجِيرُنِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، يَعْنِي التَّبْلِيغَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ فَذَلِكَ الَّذِي أَمْلِكُهُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ. وَقِيلَ: لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشَدًا لَكِنْ أُبَلِّغُ بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ فَإِنَّمَا أَنَا مُرْسَلٌ بِهِ لَا أَمْلِكُ إِلَّا مَا مُلِّكْتُ[١]

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أَيْ: أَنَما أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ، فَمَنْ يَعْصِ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ جَزَاءٌ عَلَى ذَلِكَ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، أَيْ لَا محيد لهم عنها، ولا خروج لَهُمْ مِنْهَا[٢]

حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾ ولا يزال الكفار على كفرهم حتى إذا رَأَوْا و عاينوا العذاب يوم القيامة و ما كانوا يوعدون مِن فُنُونِ العَذابِ فِي الآخِرَةِ ، حينئذ سيعلمون من أضعف ناصرًا، وسيعلمون من أقلّ أعوانًا[٣]أَهُمْ أَمِ الْمُؤْمِنُونَ

قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ أيْ ما أدْري ﴿أقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ﴾ يَعْنِي الْعَذَابَ وَقِيلَ الْقِيَامَةُ ﴿أمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أمَدًا﴾ أَجَلًا وَغَايَةً تَطُولُ مُدَّتُهَا يَعْنِي: أَنَّ عِلْمَ وَقْتِ الْعَذَابِ غَيْبٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ

وَقَدْ كَانَ ﷺ يُسْأَلُ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ فَلَا يُجِيبُ عَنْهَا، وَلَمَّا تَبدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ أَعْرَابِيٍّ كَانَ فِيمَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" وَلَمَّا نَادَاهُ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ بِصَوْتٍ جَهورِيّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: "وَيْحَكَ. إِنَّهَا كَائِنَةٌ، فَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟". قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ

---

(١) تفسير البغوي

(٢) تفسير ابن كثير

(٣) المختصر في التفسير

أُعِدَّ لَهَا كَثِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: "فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ". قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ[1]

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يَا بَنِي آدَمَ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ"

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ أَيْ هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالْغَيْبُ مَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ. ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يُظْهِرُهُ على ما يشاء من غيبه، لِأَنَّ الرُّسُلَ مُؤَيَّدُونَ بِالْمُعْجِزَاتِ، وَمِنْهَا الْإِخْبَارُ عَنْ بَعْضِ الْغَائِبَاتِ

إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَفِيهِ بُعْدٌ، وَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَيْ لَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى أَيِ اصْطَفَى لِلنُّبُوَّةِ، فَإِنَّهُ يُطْلِعُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته

الثانية- قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: لَمَّا تَمَدَّحَ سُبْحَانَهُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ وَاسْتَأْثَرَ بِهِ دُونَ خَلْقِهِ، كَانَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ أَحَدٌ سِوَاهُ، ثُمَّ اسْتَثْنَى مَنِ ارْتَضَاهُ مِنَ الرُّسُلِ، فَأَوْدَعَهُمْ مَا شَاءَ مِنْ غَيْبِهِ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ إِلَيْهِمْ، وَجَعَلَهُ مُعْجِزَةً لَهُمْ وَدَلَالَةً صَادِقَةً عَلَى نُبُوَّتِهِمْ[2]

فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) يَعْنِي مَلَائِكَةً يَحْفَظُونَهُ عَنْ أَنْ يَقْرَبَ مِنْهُ شَيْطَانٌ، فَيَحْفَظُ الْوَحْيَ مِنِ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ وَالْإِلْقَاءِ إِلَى الْكَهَنَةِ.

و قَالَ الضَّحَّاكُ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَمَعَهُ مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ عَنْ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِصُورَةِ الْمَلَكِ، فَإِذَا جَاءَهُ شَيْطَانٌ فِي صُورَةِ الْمَلَكِ قَالُوا: هَذَا شَيْطَانٌ

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير القرطبي

فَاحْذَرْهُ.

وَإِنْ جَاءَهُ الْمَلَكُ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ رَبِّكَ.

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ زَيْدٍ: رَصَداً أَيْ حَفَظَةً يَحْفَظُونَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ أَمَامِهِ وَوَرَائِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِين.

قَالَ قَتَادَةُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: هُمْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَفَظَةٌ.

وَقَالَ الفراء: المراد جبريل، كان إِذَا نَزَلَ بِالرِّسَالَةِ نَزَلَتْ مَعَهُ مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَنْ تَسْتَمِعَ الْجِنُّ الْوَحْيَ، فَيُلْقُوهُ إِلَى كَهَنَتِهِمْ، فَيَسْبِقُوا الرَّسُولَ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: رَصَداً أَيْ حَفَظَةً يَحْفَظُونَ الْوَحْيَ، فَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالُوا: إِنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا أَلقاه الشيطان قالوا: إنه من الشيطان

.وَالرَّصَدُ الْقَوْمُ يَرْصُدُونَ كَالْحَرَسِ،

وَالرَّاصِدُ لِلشَّيْءِ الرَّاقِبُ لَهُ، يُقَالُ: رَصَدَهُ يَرْصُدُهُ رَصْدًا وَرَصَدًا.

وَالتَّرَصُّدُ الترقب والمرصد موضع الرصد[1]

﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾

وفيها أربعة أوجة

الأولى : قَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ:أَيْ لِيَعْلَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّ الرُّسُلَ قَبْلَهُ قَدْ أَبْلَغُوا الرِّسَالَةَ كَمَا بَلَّغَ هُوَ الرِّسَالَةَ

والثانية : أَيْ لِيَعْلَمَ إِبْلِيسُ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ سَلِيمَةً مِنْ تَخْلِيطِهِ وَاسْتِرَاقِ أَصْحَابِهِ.

والثالثة قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَيْ لِيَعْلَمَ الْجِنُّ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا مَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَكُونُوا هُمُ الْمُبَلِّغِينَ بِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ عَلَيْهِمْ.

والرابعة قَالَ مُجَاهِدٌ: لِيَعْلَمَ مَنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ أَنَّ الْمُرْسَلِينَ قَدْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ.

---

(١) تفسير القرطبي

﴿وَأحاطَ بِما لَدَيْهِمْ﴾ قالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أحاطَ عِلْمًا.

﴿وَأحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ يَعْنِي مِن خَلْقِهِ الَّذِي يَعْزُبُ إحْصاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ[1]

فوائد الآيات في السورة

١- من عقيدة المؤمن الإيمان بالجن

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾

٢- القرآن الكريم يهدي للحق والخير

يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾

٣- تعظيم الله تبارك وتعالى وتنزيه عن اتخاذ الصاحبة (الزوجة) والولد

وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

٤- سفيه الجن (ابليس) افترى على الله تعالى الصاحبة والولد

وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾

٥- الشرك لا يزيد العبد إلا ضعفًا، والتوحيد يزيد العبد قوة وعزًا

وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾

٦- كان الجن كالإنس لا يعتقدون للبعث

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

٧- السماء محروسة بالملائكة والشهب والنجوم فلا سبيل لاستراق السمع

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾

---

[1] تفسير الماوردي

٨- هناك جن مؤمن وجن كافر , وفيهم فِرق كثيرة كالإنس

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ١١﴾

٩- يسري على الجن في الآخرة من النعيم والعذاب ما يسري على الانس

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥﴾

١٠- طريق الاستقامة على الدين والنهج السليم سبباً في زيادة الرزق والخير

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ١٦﴾

١١- الاختبار والابتلاء سنة ثابتة من سنن الله الكونية للمؤمن والكافر

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٧﴾

١٢- دعوة الأنبياء والرسل تتلخص في توحيد الله تعالى

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ٢٠﴾

١٣- الرسول الكريم برغم مكانته عند الله تعالى إلا إنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف يملك لغيره

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١﴾

١٤- علم الغيب من اختصاص الله سبحانه وتعالى , لكنه قد يُطْلِعُ على شئ منه بعض انبياءه ورسله ليكون لهم حجةً ودليلاً

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾

١٥- الله تعالى محيط بكل شيء و يحصي عدد كل شيء

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ٢٨﴾

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة الجن



سورة المزمل

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٢٠) آية وعدد كلماتها (٢٢٧) كلمة وعدد حروفها (٨٤٠) حرفا

موضوعات السورة

*سورة المزمل مكية، وهي تتناول جانبا من حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، في تبتله، وطاعته، وقيامه الليل، وتلاوته لكتاب الله عز وجل، ومحور السورة يدور حول الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا سميت (سورة المزمل)

*ابتدأت السورة الكريمة بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم، نداء شفيفاً لطيفاً، ينم عن لطف الله عز وجل، ورحمته بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان يجهد نفسه في عبادة الله ابتغاء مرضاته} ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤

* ثم تناولت السورة موضوع ثقل الوحي الذي كلف الله به رسوله، ليقوم بتبليغه للناس بجد ونشاط، ويستعين على ذلك بالاستعداد الروحي بإحياء الليل في العبادة

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾

* وأمرت الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى المشركين، وهجرهم هجراً جميلاً إلى أن ينتقم الله منهم ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١﴾

*ثم توعد الله المشركين بالعذاب والنكال يوم القيامة، حيث يكون فيه من الهول والفزع، ما يشيب له رءوس الولدان ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾

*ثم تحدثت السورة الكريمة، عن موقف المشركين من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جاءهم بالخير والهدى، فعاندوه وكذبوه، ووقفوا في وجه الدعوة، يريدون إطفاء نور الله، فأنذرهم بالعذاب الشديد، وضرب لهم المثل بفرعون الطاغية الجبار، الذي بعث الله إليه نبيه موسى، فعصاه وكذب برسالته، وما كان من عاقبة أمره في الهلاك والدمار، تحذيرا للكفار من أهل مكة، أن يحل بهم مثل ذلك ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾

*وختمت السورة الكريمة بتخفيف الله عن رسوله وعن المؤمنين من قيام الليل، رحمة به وبهم، ليتفرغ الرسول وأصحابه لبعض شئون الحياة} ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ .....الآيات[١]

---

(١) تفسير الصابوني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠

اللغة ومعاني الكلمات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ أَصْلُهَا: المُتزَمِّلُ، أَيِ: المُتَلَفِّفُ بِثِيَابِهِ[1]

قُمِ ٱلَّيۡلَ ٢ قُمْ لِلصَّلاةِ في الليلِ.

إِلَّا قَلِيلٗا ٢ :إلا يسيرًا مِنهُ.

نِّصۡفَهُۥٓ ٣ قُمْ نِصْفَ الليلِ

أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أوِ انْقُصْ مِنَ النِّصْفِ قَلِيلا حتّى تَصِلَ إلى الثُلُثِّ.

أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ ٤ أوْ زِدْ عَلى النِّصْفِ حتّى تَصِلَ إلى الثُلُثَينِ

﴿وَرَتِّلِ ٤﴾ اقْرَأْ بِتُؤَدَةٍ وَتَمهُّلٍ؛ مُبَيِّنًا الحُرُوفَ وَالوُقُوفَ

إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ ٥ سَنُنْزِلُ عَلَيكَ -أيُّها النَّبِيُّ-

﴿ثَقِيلاً ٥﴾ قُرآنًا عَظِيمًا مُشْتَمِلاً عَلى الأَوامِرِ والنَّواهِي والأَحْكامِ الشَّرعِيَّةِ..

[1] القرآن تدبر وعمل

﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ۝٦﴾ العِبَادَةَ الَّتِي تَنْشَأُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بَعْدَ النَّوْمِ.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ۝٦﴾ أَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي القَلْبِ.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦﴾ أَبْيَنُ قَوْلاً؛ لِحُضُورِ القَلْبِ، وَقِلَّةِ الشَّوَاغِلِ[١]

﴿سَبْحًا ۝٧﴾ تَصرُّفًا، وَتَقَلُّبًا فِي مَصَالِحِكَ واشْتِغالًا بالرِّسالَةِ[٢]

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ وانْقَطِعْ إِلَيهِ انْقِطاعًا تامًّا في عِبادَتِكَ

﴿وَكِيلاً ۝٩﴾ تُفَوِّضُ أُمُورَكَ إِلَيْهِ، وَتَعْتَمِدُ عَلَيْهِ.

﴿هَجْرًا جَمِيلاً ۝١٠﴾ أَعْرِضْ عَنْهُمْ؛ تارِكًا الاِنْتِقَامَ مِنْهُمْ

التفسير

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ هو الملتفّ بثيابه. وإنما عني بذلك نبيّ الله ﷺ.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه ﷺ في هذه الآية من التزمُّل، فقال بعضهم: وصفه بأنه مُتزمل في ثيابه، متأهب للصلاة. لأنه قد عقبه بقوله :﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمُّل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنييه[٣]

يَأْمُرُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتْرُكَ التَّزَمُّلَ، وَهُوَ: التَّغَطِّي فِي اللَّيْلِ، وَيَنْهَضَ إِلَى الْقِيَامِ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾]السَّجْدَةِ: ١٦

(١) غريب القرآن للخضيري

(٢) الميسر في الغريب

(٣) تفسير الطبري

[وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُمْتَثِلًا مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَقَدْ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾]الْإِسْرَاءِ: ٧٩]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ :﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ يَعْنِي: يَا أَيُّهَا النَّائِمُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْمُزَّمِّلُ فِي ثِيَابِهِ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: نَزَلَتْ وَهُوَ مُتَزَمِّلٌ بِقَطِيفَةٍ[1]

والجُمْهُورُ على »أنَّهُ ﷺ لَمّا جاءَهُ المَلَكُ في غارِ حِراءَ وحاوَرَهُ بِما حاوَرَهُ رَجَعَ إلى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعالى عَنْها فَقالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي «فَنَزَلَتْ ﴿يا أيُّها المُدَّثِّرُ﴾

وعَلى أثَرِها نَزَلَتْ ﴿يا أيُّها المُزَّمِّلُ﴾[2]

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ وَهَاهُنَا بَيَّنَ لَهُ مِقْدَارَ مَا يَقُومُ،

﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣﴾ أَيْ: أَمَرْنَاكَ أَنْ تَقُومَ نِصْفَ اللَّيْلِ بِزِيَادَةٍ قَلِيلَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ قَلِيلٍ، لَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ.

﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ أَيِ: اقْرَأْهُ عَلَى تَمَهُّلٍ، فَإِنَّهُ يَكُونُ عَوْنًا عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ. وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ يَقْرَأُ السُّورَةَ فَيُرَتِّلُهَا، حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلِ مِنْهَا.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يَمُدُّ بِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ الرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ وهو القُرْآنُ.

وفي مَعْنى ثِقَلِهِ سِتَّةُ أقْوالٍ.

أحَدُها: أنَّهُ كانَ يَثْقُلُ عَلَيْهِ إذا أُوحِيَ إلَيْهِ، وهَذا قَوْلُ عائِشَةَ. قالَتْ» :وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ، يَعْنِي يَتَخَلَّصُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير الآلوسي

لِيَتَفَصَّدُ عَرَقًا».

والثّانِي: أنَّ العَمَلَ بِهِ ثَقِيلٌ في فُرُوضِهِ وأحْكامِهِ، قالَهُ الحَسَنُ، وقَتادَةُ.

والثّالِثُ: أنَّهُ يَثْقُلُ في المِيزانِ يَوْمَ القِيامَةِ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

والرّابِعُ: أنَّهُ المَهِيبُ، كَما يُقالُ لِلرَّجُلِ العاقِلِ: هو رَزِينٌ راجِحٌ، قالَهُ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ يَحْيى.

والخامِسُ: أنَّهُ لَيْسَ بِالخَفِيفِ ولا السَّفْسافِ، لِأنَّهُ كَلامُ الرَّبِّ عَزَّ وجَلَّ، قالَهُ الفَرّاءُ.

والسّادِسُ: أنَّهُ قَوْلٌ لَهُ وزْنٌ في صِحَّتِهِ وبَيانِهِ ونَفْعِهِ، كَما تَقُولُ: هَذا كَلامٌ رَصِينٌ، وهَذا قَوْلٌ وزْنٌ: إذا اسْتَجَدْتَهُ، ذَكَرَهُ الزَّجّاجُ[1]

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـࣰٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وابْنُ عَبّاسٍ: هي قِيامُ اللَّيْلِ بِلِسانِ الحَبَشَةِ.

وهَلْ هي في وقْتٍ مَخْصُوصٍ مِنَ اللَّيْلِ، أمْ في جَمِيعِهِ؟

فِيهِ قَوْلانِ.

أحَدُهُما: أنَّها في جَمِيعِ اللَّيْلِ. ورَوى ابْنُ أبِي مُلَيْكَةَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ أنَّهُ قالَ: اللَّيْلُ كُلُّهُ ناشِئَةٌ. وإلى هَذا ذَهَبَ اللُّغَوِيُّونَ.

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ناشِئَةُ اللَّيْلِ: ساعاتُهُ النّاشِئَةُ، مِن نَشَأتْ: إذا ابْتَدَأتْ.

وقالَ الزَّجّاجُ: ناشِئَةُ اللَّيْلِ: ساعاتُ اللَّيْلِ، كُلُّ ما نَشَأ مِنهُ، أيْ: كُلُّ ما حَدَثَ.

وقالَ أبُو عَلِيٍّ الفارِسِيُّ: كَأنَّ المَعْنى: إنَّ صَلاةَ ناشِئَةِ، أوْ عَمَلَ ناشِئَةِ اللَّيْلِ.

والثّانِي: أنَّها في وقْتٍ مَخْصُوصٍ مِنَ اللَّيْلِ. ثُمَّ فِيهِ خَمْسَةُ أقْوالٍ.

أحَدُها: أنَّها ما بَيْنَ المَغْرِبِ والعَشاءِ، قالَهُ أنَسُ بْنُ مالِكٍ.

والثّانِي: أنَّها القِيامُ بَعْدَ النَّوْمِ، وهَذا قَوْلُ عائِشَةَ، وابْنِ الأعْرابِيِّ. وقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ أحْمَدُ

(١) تفسير ابن الجوزي

في رِوايَةِ المَرْوَذِيِّ.

والثّالِثُ: أنَّها ما بَعْدَ العِشاءِ، قالَهُ الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وأبُو مِجْلَزٍ.

والرّابِعُ: أنَّها بَدْءُ اللَّيْلِ، قالَهُ عَطاءٌ، وعِكْرِمَةُ.

والخامِسُ: أنَّها القِيامُ مِن آخِرِ اللَّيْلِ، قالَهُ يَمانٌ، وابْنُ كَيْسانَ.

﴿هِيَ أَشَدُّ وطْئًا﴾ أرادَ أنَّ القِراءَةَ في اللَّيْلِ يَتَواطَأُ فِيها قَلْبُ المُصَلِّي ولِسانُهُ وسَمْعُهُ عَلى التَّفَهُّمِ لِلْقُرْآنِ والإحْكامِ لِتَأْوِيلِهِ. ومِنهُ قَوْلُهُ تَعالى :﴿لِيُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ﴾]التَّوْبَةِ: ٣٧[

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ أي أبين قولاً، وأسد مقالاً، وأثبت قراءة وأصح قولاً من النهار لحضور القلب فيها وهدوء الأصوات وسكونها، وأشد استقامة واستمراراً على الصواب، لأن الأصوات فيها هادئة والدنيا ساكنة، فلا يضطرب على المصلي ما يقرأه، وقال قتادة ومجاهد: أي أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم،

وقال أبو علي الفارسي: أقوم قيلاً أي أشد استقامة بفراغ البال بالليل،

و قال الكلبي: أي أبين قولاً بالقرآن،

وقال عكرمة: أي أتم نشاطاً وإخلاصاً وأكثر بركة،

وقال ابن زيد: أجدر أن يتفقه في القرآن

وقيل أعجل إجابة للدعاء[1]

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾ أيْ تَصَرُّفًا في حَوائِجِكَ وإقْبالًا وإدْبارًا وذَهابًا ومَجِيئًا، والسَّبْحُ: الجَرْيُ والدَّوَرانُ، ومِنهُ السِّباحَةُ في الماءِ لِتَقَلُّبِهِ بِبَدَنِهِ ورِجْلَيْهِ، وفَرَسٌ سابِحٌ: أيُّ شَدِيدُ الجَرْيِ.

وقِيلَ السَّبْحُ الفَراغُ: أيْ إنَّ لَكَ فَراغًا بِالنَّهارِ لِلْحاجاتِ، فَصَلِّ بِاللَّيْلِ.

---

(1) فتح البيان للقنوجي

قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أيْ تَصَرُّفًا وإقْبالًا وإدْبارًا في حَوائِجِكَ وأشْغالِكَ.

وقالَ الخَلِيلُ: إنَّ لَكَ في النَّهارِ سَبْحًا: أيْ نَوْمًا، والتَّسَبُّحُ التَّمَدُّدُ.

قالَ الزَّجّاجُ: المَعْنى إنْ فاتَكَ في اللَّيْلِ شَيْءٌ فَلَكَ في النَّهارِ فَراغٌ لِلاسْتِدْراكِ[1]

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ أيْ ودُمْ عَلى ذِكْرِهِ تَعالى لَيْلًا ونَهارًا عَلى أيْ وجْهٍ كانَ مِن تَسْبِيحٍ وتَهْلِيلٍ وتَحْمِيدٍ وصَلاةٍ وقِراءَةِ قُرْآنٍ وغَيْرِ ذَلِكَ[2] و ادْعُهُ بِأسْمائِهِ الحُسْنى

وقِيلَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ في ابْتِداءِ صَلاتِكَ،

وقِيلَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ في وعْدِهِ ووَعِيدِهِ لِتُوَفِّرَ عَلى طاعَتِهِ وتَبْعُدَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ،

وقِيلَ المَعْنى: دُمْ عَلى ذِكْرِ رَبِّكَ لَيْلًا ونَهارًا واسْتَكْثِرْ مِن ذَلِكَ.

وقالَ الكَلْبِيُّ: المَعْنى صَلِّ لِرَبِّكَ ﴿وتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أيِ انْقَطِعْ إلَيْهِ انْقِطاعًا بِالِاشْتِغالِ بِعِبادَتِهِ،

والتَّبَتُّلُ الِانْقِطاعُ، يُقالُ بَتَّلْتُ الشَّيْءَ: أيْ قَطَعْتُهُ ومَيَّزْتُهُ مِن غَيْرِهِ، وصَدَقَةٌ بَتْلَةٌ: أيْ مُنْقَطِعَةٌ مِن مالِ صاحِبِها، ويُقالُ لِلرّاهِبِ: مُتَبَتِّلٌ لِانْقِطاعِهِ عَنِ النّاسِ

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ ووَصْفُ اللَّهِ بِأنَّهُ ﴿رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ﴾ لِمُناسَبَةِ الأمْرِ بِذِكْرِهِ في اللَّيْلِ وذِكْرِهِ في النَّهارِ وهُما وقْتا ابْتِداءِ غِيابِ الشَّمْسِ وطُلُوعِها، وذَلِكَ يُشْعِرُ بِامْتِدادِ كُلِّ زَمانٍ مِنهُما إلى أنْ يَأْتِيَ ضِدُّهُ؛ فَيَصِحُّ أنْ يَكُونَ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ جِهَتَيِ الشُّرُوقِ والغُرُوبِ فَيَكُونُ لِاسْتِيعابِ جِهاتِ الأرْضِ، أيْ: رَبُّ جَمِيعِ العالَمِ [3]

---

(١) فتح القدير للشوكاني

(٢) تفسير الآلوسي

(٣) التحرير والتنوير ابن عاشور

وعُقِّبَ وصْفُ اللَّهِ بـ ﴿رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ﴾، بِالإخْبارِ عَنْهُ أوْ بِوَصْفِهِ بِأنَّهُ لا إلَهَ إلّا هو؛ لِأنَّ تَفَرُّدَهُ بِالإلَهِيَّةِ بِمَنزِلَةِ النَّتِيجَةِ لِرُبُوبِيَّةِ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ فَلَمّا كانَتْ رُبُوبِيَّتُهُ لِلْعالَمِ لا يُنازِعُ فِيها المُشْرِكُونَ أُعْقِبَتْ بِما يَقْتَضِي إبْطالَ دَعْوى المُشْرِكِينَ تَعَدُّدَ الآلِهَةِ بِقَوْلِهِ ﴿لا إلَهَ إلّا هُوَ﴾

﴿فاتَّخِذْهُ وكِيلًا﴾، وإذا كانَ الأمْرُ بِاتِّخاذِهِ وكِيلًا مُسَبَّبًا عَنْ كَوْنِهِ لا إلَهَ إلّا هو كانَ ذَلِكَ في قُوَّةِ النَّهْيِ عَنِ اتِّخاذِ وكِيلٍ غَيْرِهِ، إذْ لَيْسَ غَيْرُهُ بِأهْلٍ لِاتِّخاذِهِ وكِيلًا.

والوَكِيلُ: الَّذِي يُوكَلُ إلَيْهِ الأُمُورُ، أيْ: يُفَوَّضُ إلى تَصَرُّفِهِ، ومِن أهَمِّ التَّفْوِيضِ أمْرُ الِانْتِصارِ لِمَن تَوَكَّلَ عَلَيْهِ

فاتخذه رباً وكفيلاً لك بأمورك كلها , فالوكيل بمعنى الرب الكافي الكافل المعين الحافظ

وَٱصْبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا رَسُولَهُ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَقُولُهُ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ، وَأَنْ يَهْجُرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَهُوَ الَّذِي لَا عِتَابَ مَعَهُ[١] وقد نَسَخَتْهَا آيَةُ الْقِتَالِ[٢]

وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير البغوي

يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾

اللغة ومعاني الكلمات

﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ :دَعْنِي -أيُّها الرَّسُولُ- وهَؤُلاءِ المكَذِّبينَ بآياتي..

﴿أُولِي النَّعْمَةِ ﴿١١﴾ ﴾ أَصْحابَ النَّعِيمِ وَالتَّرَف[١]

﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴿١١﴾ ﴾ أَجِّلْهُمْ زَمَنًا قَلِيلاً بِتَأْخِيرِ العَذَابِ عَنْهُمْ حتّى يَبْلُغَ الكِتابُ أجَلَه بِعَذابِهِم.

﴿ إِنَّ لَدَيۡنَآ ﴿١٢﴾ ﴾ :أي في الآخِرَة.

﴿أَنْكَالاً ﴿١٢﴾ ﴾ قُيُودًا ثَقِيلَةً من حديد

﴿ وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ ﴾ :ونارًا مُسْتَعِرَةً.

﴿ذَا غُصَّةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ يَنْشَبُ فِي الحُلُوقِ، لاَ يُسْتَسَاغُ؛ لِكَرَاهَتِهِ

﴿تَرْجُفُ ﴿١٤﴾ ﴾ تَضْطَرِبُ.

﴿كَثِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ رَمْلاً مُجْتَمِعًا.

﴿مَهِيلاً ﴿١٤﴾ ﴾ سَائِلاً مُتَنَاثِرًا.

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ ﴿١٥﴾ بما صَدَرَ مِنكُم مِنَ الكُفْرِ والعِصْيانِ.

فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ ﴿١٦﴾ فَكَذَّبَ فِرْعَونُ بِمُوسى، ولَمْ يُؤْمِن بِرِسالَتِهِ.

---

[١] القرآن تدبر وعمل

فَأَخَذْنَٰهُ ﴿١٦﴾ فأهْلكْناهُ.

﴿وَبِيلاً ﴿١٦﴾﴾ شَدِيدًا.

﴿ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ ﴿١٧﴾﴾ :فكَيفَ تَقُونَ أنْفُسَكُم عذابَ يومِ القِيامَة.

﴿ يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ :يَشِيبُ فِيهِ الوِلْدانُ الصِّغارُ؛ مِن شِدَّةِ هَوْلِه وكَرْبِهِ؟

﴿مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴿١٨﴾﴾ مُتَصَدِّعَةٌ في يَوْمِ القِيَامَةِ.

﴿مَفْعُولاً ﴿١٨﴾﴾ واقِعًا لاَ مَحَالَةَ

﴿ تَذۡكِرَةٞۖ ﴿١٩﴾﴾ :عِظَةٌ وعِبْرَةٌ للنّاسِ.

﴿سَبِيلاً ﴿١٩﴾﴾ طَرِيقًا بِالطَّاعَةِ

﴿تَقُومُ ﴿٢٠﴾﴾ تُصَلِّي مُتَهَجِّدًا مِنَ اللَّيْلِ.

﴿أَدْنَى ﴿٢٠﴾﴾ أَقَلَّ.

﴿ وَنِصۡفَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ :وتَقومُ نِصْفَ الليلِ حِينًا.

﴿وَثُلُثَهُ ﴿٢٠﴾﴾ :وتَقومُ ثُلُثَ الليلِ حِينًا آخرَ.

﴿ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴿٢٠﴾﴾ :ويَقُومُ مَعَكَ طائِفَةٌ مِن أصْحابِكَ.

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٢٠﴾﴾ :يَعْلَمُ مَقادِيرَهُما.

﴿ أَن لَّن تُحۡصُوهُ ﴿٢٠﴾﴾ لَنْ يُمْكِنَكُمْ قِيامُ اللَّيْلِ كُلِّه.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴿٢٠﴾﴾ خَفَّفَ عَلَيْكُمْ.

﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴿٢٠﴾﴾ :في الصَّلاةِ بالليلِ.

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴿٢٠﴾﴾ :يَتَنَقَّلُونَ في الأرضِ للتِّجارَةِ والعَمَلِ.

﴿يَبْتَغُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يَطْلُبُونَ بِالتَّنَقُّلِ فِي الأَرْضِ.

﴿فَضْلِ اللَّهِ ﴿٢٠﴾﴾ رِزْقِ اللهِ.

﴿وَأَقْرِضُوا ۝٢٠﴾ تَصَدَّقُوا.

﴿قَرْضًا حَسَناً ۝٢٠﴾ صَدَقَةً بِإِخْلَاصٍ، وَطِيبِ نَفْسٍ.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ ۝٢٠﴾ :وما تَفْعَلُوا مِن وُجُوهِ البِرِّ.

﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۝٢٠﴾ :وأَعْظَمَ مِنهُ ثَوابًا

التفسير

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ فدعني يا محمد والمكذّبين بآياتي ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ يعني أهل التنعم في الدنيا , وأُولِي الْغِنَى وَالتَّرَفُّهِ واللذة ونَزَلَتْ فِي صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ وَرُؤَسَاءِ مَكَّةَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ[١]

﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا﴾ يقول: وأخرهم بالعذاب الذي بسطته لهم قليلاً حتى يبلغ الكتاب أجله.

وَقِيلَ: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا﴾ يَعْنِي إِلَى مدة الدنيا.

وقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى وَقَعَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ

وذُكر أن الذي كان بين نزول هذه الآية وبين بدر يسير[٢]

إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ إن عندنا لهؤلاء المكذِّبين بآياتنا أنكالا يعني قيوداً، واحدها: نِكْل وَهِيَ: الْقُيُودُ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ،

---

[١] تفسير القرطبي

[٢] تفسير الطبري

قال الثوري: سمعت حماداً يقول في قوله الله :﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا﴾ قال: قيوداً سوداء من نار جهنم.

﴿وَجَحِيمًا﴾ وَهِيَ السَّعِيرُ الْمُضْطَرِمَةُ[1]

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ وطعاما يَغَصّ به آكله، فلا هو نازل عن حلقه، ولا هو خارج منه[2] شوك يأخذ بالحلق، فلا يدخل ولا يخرج.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَنْشَبُ فِي الْحَلْقِ فَلَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ

عن مجاهد، قوله :﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شجرة الزقوم

وقيل وَهُوَ الزَّقُّومُ وَالضَّرِيعُ [3]

وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ وعذاباً مؤلماً موجعاً

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ أَيْ: تَتَزَلْزَلُ وَتَتَحَرَّكُ أَغْلَظَ حَرَكَةٍ [4]

﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ وصارت بَعْدَ الشِّدَّةِ، والقُوَّةِ رَمْلًا سَائِلًا

قَالَ الفَرّاءُ: "الكَثِيبُ": الرَّمْلُ. و"المَهِيلُ": الَّذِي تَحَرَّكَ أَسْفَلُهُ، فَيَنْهالُ عَلَيْكَ مِن أَعْلاهُ

قَالَ الْكَلْبِيُّ: هُوَ الرَّمْلُ الَّذِي إِذَا أَخَذْتَ مِنْهُ شَيْئًا تَبِعَكَ مَا بَعْدَهُ

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

يَعْنِي ﴿إنّا أرْسَلْنا إلَيْكُمْ﴾ يا أهْلَ مَكَّةَ ﴿رَسُولا﴾ يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ ﴿شاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بِالتَّبْلِيغِ وإيمانِ مَن آمَنَ، وكُفْرِ مَن كَفَرَ ﴿كَما أرْسَلْنا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولا﴾ وهو مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ

---

(١) تفسير ابن كثير
(٢) تفسير الطبري
(٣) تفسير البغوي
(٤) تفسير ابن الجوزي

فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ (فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ) الذي أرسلناه إليه وكذبه ولم يؤمن بما جاء به، وإنما خص موسى وفرعون بالذكر لأن خبرهما كان منتشراً بين أهل مكة، لأنهم كانوا جيران اليهود،

والمعنى إنا أرسلنا إليكم رسولاً فعصيتموه كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه.

(فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾) أي شديداً ثقيلاً غليظاً[١] فأهلكناه ومن معه جميعاً[٢]

يعْنِي عَاقَبْنَاهُ عُقُوبَةً غَلِيظَةً يُخَوِّفُ كُفَّارَ مَكَّةَ[٣]

أَيْ فَاحْذَرُوا أَنْتُمْ أَنْ تُكَذِّبُوا هَذَا الرَّسُولَ، فَيُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَ فِرْعَوْنَ[٤]

فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ أَيْ: كَيْفَ لَكُمْ بِالتَّقْوَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ كَفَرْتُمْ فِي الدُّنْيَا يَعْنِي لَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى التَّقْوَى إِذَا وَافَيْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ كَيْفَ تَتَّقُونَ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَتَحَصَّنُونَ مِنْهُ إِذَا كَفَرْتُمْ؟

يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ يعني يوم القيامة، وإنما تشيب الولدان من شدّة هوله وكربه

كان ابن مسعود يقول: "إذا كان يومُ القيامة دعا رَّبنا المَلِكُ آدم، فيقول: يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول آدم: أي رب لا علم لي إلا ما علمتني، فيقول الله له: أخرج من كلّ ألف تسع مئة وتسعة وتسعين، فيُساقون إلى النار سُوداً مقرّنين، زُرقا كالحِين، فيشيب هنالك كلّ وليد"[٥]

---

(١) فتح البيان للقنوجي

(٢) تفسير الطبري

(٣) تفسير البغوي

(٤) تفسير ابن كثير

(٥) تفسير الطبري

ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: أَيْ بِسَبَبِهِ مِنْ شِدَّتِهِ وَهَوْلِهِ ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولا﴾ أَيْ: كَانَ وَعْدُ هَذَا الْيَوْمِ مَفْعُولًا أَيْ وَاقِعًا لَا مَحَالَةَ، وَكَائِنًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ.

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ أَيْ: إن هذه السُّورَةَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أَيْ: تَذْكِيرٌ وَمَوْعِظَةٌ يَتَذَكَّرُ بها أُولو الْأَلْبَاب ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أَيْ طَرِيقًا إِلَى رِضَاهُ وَرَحْمَتِهِ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ[1] والتوحيد للوصول الى الجنة

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ والمَعْنى: أنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أنَّ رَسُولَهُ ﷺ يَقُومُ أقَلَّ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ويَقُومُ نِصْفَهُ ويَقُومُ ثُلُثَهُ،

﴿وطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾: أيْ وتَقُومُ ذَلِكَ القَدْرَ مَعَكَ طائِفَةٌ مِن أصْحابِكَ

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أيْ أنَّهُ يَعْلَمُ مَقادِيرَ اللَّيْلِ والنَّهارِ فَيَعْلَمُ قَدْرَ الَّذِي تَقُومُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ والمَعْنى: لَنْ تُطِيقُوا قِيامَ اللَّيْلِ

قالَ مُقاتِلٌ وغَيْرُهُ: لَمّا نَزَلَ ﴿قُمِ اللَّيْلَ إلّا قَلِيلًا﴾ ﴿نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنهُ قَلِيلًا﴾ ﴿أوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وكانَ الرَّجُلُ لا يَدْرِي مَتى نِصْفُ اللَّيْلِ مِن ثُلُثِهِ فَيَقُومُ حَتّى يُصْبِحَ مَخافَةَ أنْ يُخْطِئَ، فانْتَفَخَتْ أقْدامُهم وانْتَقَعَتْ ألْوانُهم فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ وخَفَّفَ عَنْهم فَقالَ :

﴿عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ أيْ عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ لِأنَّكم إنْ زِدْتُمْ ثَقُلَ عَلَيْكم واحْتَجْتُمْ إلى تَكَلُّفِ ما لَيْسَ فَرْضًا، وإنْ نَقَصْتُمْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْكم ﴿فَتابَ عَلَيْكُمْ﴾ أيْ فَعادَ عَلَيْكم بِالعَفْوِ، ورَخَّصَ لَكم في تَرْكِ القِيامِ.

---

[1] تفسير البغوي

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ أيْ فاقرَءُوا في الصَّلاةِ بِاللَّيْلِ ما خَفَّ عَلَيْكم وتَيَسَّرَ لَكم مِنهُ مِن غَيْرِ أنْ تَرْقُبُوا وقْتًا.

قالَ الحَسَنُ: هو ما نَقْرَأُ في صَلاةِ المَغْرِبِ والعِشاءِ.

قالَ السُّدِّيُّ أيْضًا: مَن قَرَأ مِائَةَ آيَةٍ في لَيْلَةٍ لَمْ يُحاجَّهُ القُرْآنُ.

وقالَ كَعْبٌ: مَن قَرَأ في لَيْلَةٍ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القانِتِينَ، وقالَ سَعِيدٌ: خَمْسُونَ آيَةً، وقِيلَ مَعْنى ﴿فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ﴾ فَصَلُّوا ما تَيَسَّرَ لَكم مِن صَلاةِ اللَّيْلِ، والصَّلاةُ تُسَمّى قُرْآنًا كَقَوْلِهِ :﴿وقُرْآنَ الفَجْرِ﴾ (الإسراء: ٧٨)[١]

قالَ الواحِدِيُّ: قالَ المُفَسِّرُونَ في قَوْلِهِ :﴿فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ﴾ كانَ هَذا في صَدْرِ الإسْلامِ، ثُمَّ نُسِخَ بِالصَّلَواتِ الخَمْسِ عَنِ المُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ عُذْرَهم فَقالَ:

﴿عَلِمَ أنْ سَيَكُونُ مِنكم مَرْضى﴾ فَلا يُطِيقُونَ قِيامَ اللَّيْلِ

﴿وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ في الأرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أيْ يُسافِرُونَ فِيها لِلتِّجارَةِ والأرْباحِ يَطْلُبُونَ مِن رِزْقِ اللَّهِ ما يَحْتاجُونَ إلَيْهِ في مَعاشِهِمْ فَلا يُطِيقُونَ قِيامَ اللَّيْلِ

﴿وآخَرُونَ يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي المُجاهِدِينَ فَلا يُطِيقُونَ قِيامَ اللَّيْلِ.

ذَكَرَ سُبْحانَهُ هاهُنا ثَلاثَةَ أسْبابٍ مُقْتَضِيَةٍ لِلتَّرْخِيصِ، ورَفَعَ وُجُوبَ قِيامِ اللَّيْلِ، فَرَفَعَهُ عَنْ جَمِيعِ الأُمَّةِ لِأجْلِ هَذِهِ الأعْذارِ الَّتِي تَنُوبُ بَعْضَهم.

وَهَذِهِ الْآيَةُ -بَلِ السُّورَةُ كُلُّهَا-مَكِّيَّةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الْقِتَالُ شُرِعَ بَعْدُ، فَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ بِالْمُغَيَّبَاتِ الْمُسْتَقْبَلَةِ[٢]

ثُمَّ ذَكَرَ ما يَفْعَلُونَهُ بَعْدَ هَذا التَّرْخِيصِ فَقالَ :

﴿فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ﴾ والتَّكْرِيرُ لِلتَّأْكِيدِ

---

(١) فتح القدير للشوكاني

(٢) تفسير ابن كثير

وعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ قالَ: مائَةَ آيَةٍ).
عَنْ أَبِي رَجَاءٍ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ:قُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، قَالَ اللَّهُ :﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَوْ خَمْسَ آيَاتٍ
﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ يَعْنِي المَفْرُوضَةَ، وهي الخَمْسُ لِقُوَّتِها
﴿وآتُوا الزَّكاةَ﴾ يَعْنِي المفروضة و الواجِبَةَ في الأَمْوالِ.
وقالَ الحارِثُ العُكْلِيُّ: هي صَدَقَةُ الفِطْرِ لِأنَّ زَكاةَ الأَمْوالِ وجَبَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، وقِيلَ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ، وقِيلَ كُلُّ أفْعالِ الخَيْرِ
﴿وأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يَعْنِي: مِنَ الصَّدَقَاتِ أيْ أنْفِقُوا في سَبِيلِ الخَيْرِ مِن أمْوالِكم إنْفاقًا حَسَنًا
﴿وما تُقَدِّمُوا لِأنْفُسِكم مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فَإنَّ ظاهِرَهُ العُمُومَ: أيْ أيُّ خَيْرٍ كانَ مِمّا ذُكِرَ ومِمّا لَمْ يُذْكَرْ ﴿هُوَ خَيْرًا وأعْظَمَ أجْرًا﴾ مِمّا تُؤَخِّرُونَهُ إلى عِنْدِ المَوْتِ أوْ تُوصُونَ بِهِ لِيَخْرُجَ بَعْدَ مَوْتِكم.
﴿واسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أيْ: أكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ واطْلُبُوا مِنهُ المَغْفِرَةَ لِذُنُوبِكم فَإنَّكم لا تَخْلُونَ مِن ذُنُوبٍ تَقْتَرِفُونَها ﴿إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أيْ كَثِيرُ المَغْفِرَةِ لِمَنِ اسْتَغْفَرَهُ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِمَنِ اسْتَرْحَمَهُ

فوائد الآيات في السورة

١- احرص على قيام هذه الليلة بإحدى عشرة ركعة ولو لم تستطع فبركعتين وركعة وتر

قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣

٢- رتِّل عند تلاوة القرآن الكريم بإتقان التجويد، وتعلم مواطن الوقوف فيها

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

٣- الليل من أفضل الأوقات للعبادة كالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

٤- قل: حسبي الله ونعم الوكيل وتوكل عليه في كل أمورك حياتك فهو الرب والسند والمدبر والحافظ

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾

٥- الصبر على الإيذاء في سبيل تبليغ دعوة الله وفي التعامل مع الناس سمة من سمات الأنبياء والصالحين يجب عليك أن تتحلى بها

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾

٦- ذكر الله تعالى نهاية فرعون الذي عصى موسى عليه السلام والذي كانت تعرفه العرب نظراً لمجاورتهم اليهود في الجزيرة العربية حتى تتعظ قريش

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾

٧- يوم القيامة يوم عظيم يشيب من هوله الأطفال الذي لم يقترفوا أي جرم فكيف بمن كفر بالله وكذّب بآيات الله تعالى

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧﴾

٨- من رحمة الله تعالى بالمؤمنين أنه رخص لهم ترك القيام بما يستطيعون القيام به

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾

٩- الرخص الثلاث في ترك القيام هي المرض والضرب في الأرض طلباً للرزق من فضل الله تعالى والقتال في سبيل الله

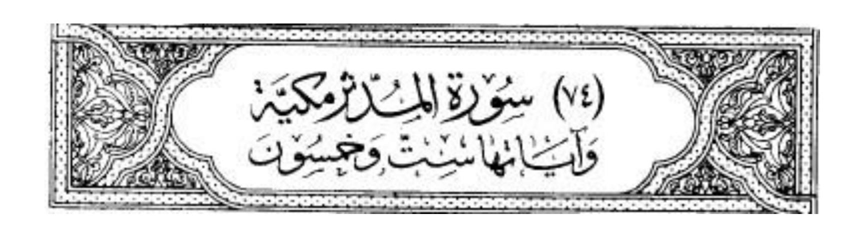
عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

١٠- خمس نصائح ثمينة ذكرها القرآن الكريم يجب على كل مؤمن العمل بمقتضاها وهي:

١. اقامة الصلاة
٢. وإتاء الزكاة
٣. والصدقة
٤. وفعل الخيرات بكل أنواعها
٥. والاستغفار

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة المزمل



سورة المدثر

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٥٦) آية وعدد كلماتها (٢٨٧) كلمة وعدد حروفها (١٠١٥) حرفا

موضوعات السورة

*سورة المدثر مكية، شأنها كسابقتها- سورة المزمل- تتحدث عن بعض جوانب شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ولهذا سميت سورة المدثر.

*ابتدأت السورة الكريمة بتكليف الرسول بالنهوض بأعباء الدعوة، والقيام بمهمة التبليغ بجد ونشاط، وإنذار الكفار، والصبر إلى أذى الفجار، حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧

* ثم توالت السورة تنذر وتهدد أولئك المجرمين، بيوم عصيب شديد، لا راحة لهم فيه، لما فيه من الأهوال والشدائد؛ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠

*وبعد ذلك البيان الذي يرتعد له الإنسان، تحدثت السورة عن قصة ذلك الشقى الفاجر (الوليد بن المغيرة) الذي سمع القرآن، وعرف أنه كلام الرحمن، ولكنه في سبيل الزعامة وحب الرئاسة، زعم أنه من قبيل السحر الذي تعارفه البشر

ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩

*ثم تحدثت السورة عن النار التي أوعد الله بها الكفار، وعن خزنتها الأشداء، وزبانيتها الذين كلفوا بتعذيب أهلها، وعددهم، والحكمة من تخصيص ذلك العدد سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠

*وأقسمت السورة بالقمر وضيائه، والصبح وبهائه، على أن جهنم إحدى البلايا العظام كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧

*ثم تحدثت السورة عن الحوار الذي يجري بين المؤمنين والمجرمين، وبينت سبب دخولهم الجحيم إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦

*وختمت السورة ببيان سبب إعراض المشركين عن الإيمان، ألا وهو إنكارهم للقيامة، وللبعث والنشور كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٥٣ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦

سبب النزول

عَنْ جابِرٍ قالَ: حَدَّثَنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقالَ" :جاوَرْتُ بِحِراءٍ شَهْرًا، فَلَمّا قَضَيْتُ جِوارِي نَزَلْتُ فاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الوادِي، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أمامِي وخَلْفِي، وعَنْ يَمِينِي وعَنْ شِمالِي، فَلَمْ أرَ أحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أرَ أحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإذا هو عَلى العَرْشِ في الهَواءِ - يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ - فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ ماءً". فَأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ :﴿يا أيُّها المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأنْذِرْ * ورَبَّكَ فَكَبِّرْ * وثِيابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥

(١) اسباب النزول للواحدي

اللغة ومعاني الكلمات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ أَصْلُهُ: المُتَدَثِّر، وَهُوَ المُتَغَطِّي بِثِيَابِهِ[١]

﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ أي قم مِن مَّضْجعِكَ فَحَذِّر النّاس مِن عَذابِ اللهِ

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾ وخُصَّ رَبَّكَ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّعْظِيمِ والعِبادَةِ

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾ طَهِّرْ نَفْسَكَ مِنَ المَعَاصِي وَالآثَامِ وقيل مِنَ النَّجاساتِ[٢]

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾ ودُمْ على هَجْرِ أعْمالِ الشِّرْكِ كُلِّها.

﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦﴾ لا تُعْطِ العَطِيَّةَ، كَيْ تَلْتَمِسَ أَكْثَرَ مِنْهَا

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ ولِمَرْضاةِ رَبِّكَ فاصْبِرْ عَلى الأَوامِرِ والنَّواهِي

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨﴾ نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةُ البَعْثِ

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١﴾ فَرِيدًا لاَ مَالَ لَهُ، وَلاَ وَلَدَ، وَالمُرَادُ بِهِ :﴿الوَلِيدُ بْنُ المَغِيرَةِ﴾

﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢﴾ مَبْسُوطًا وَاسِعًا

﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣﴾ حُضورًا مَعَهُ فِي مَكَّةَ لاَ يَغِيبُونَ عَنْهُ

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤﴾ يَسَّرْتُ لَهُ سُبُلَ العَيْشِ تَيْسِيرًا

﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦﴾ ليس الأمرُ كما يَزْعُمُ فقد كان للقرآن معانِدًا مُكَذِّبًا

﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾ سَأُكَلِّفُهُ عَذَابًا شَاقًّا لاَ رَاحَةَ لَهُ فِيهِ

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾ هَيَّأَ مَا يَقُولُهُ فِي الطَّعْنِ فِي القُرْآنِ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ

﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩﴾ فَلُعِنَ، واسْتَحَقَّ بِذَلِكَ الهَلاكَ. كَيفَ أعَدَّ في نفسِهِ هَذا الطَّعْنَ

---

(١) القرآن تدبر وعمل

(٢) الميسر في الغريب

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ﴿٢١﴾ تأمَّلَ فيما قَدَّرَ وهَيَّأَ مِنَ الطَّعْنِ في القرآنِ

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ ﴿٢٢﴾ قَطَّبَ وجْهَهُ واشْتَدَّ في العُبُوسِ

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ ﴿٢٣﴾ رَجَعَ مُعْرِضًا عَنِ الحقِّ واستكبر وتَعاظَمَ أن يَعْتَرِفَ بِهِ

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ ﴿٢٤﴾ ما الَّذِي يَقُولُه مُحَمَّدٌ سحر يُنْقلُ عَنِ الأوّلِينَ

﴿قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ ﴿٢٥﴾ كلامُ المخلُوقِينَ، تَعَلَّمَهُ مُحَمَّدٌ مِنهُم، ثُمَّ ادَّعى أنَّهُ مِن عندِ اللهِ

التفسير

أول ما نزل من القرآن الكريم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ ﴿١﴾ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ :﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وَخَالَفَهُ الْجُمْهُورُ فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ أَوَّلَ الْقُرْآنِ نُزُولًا قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ هُنَاكَ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنْ عَلِيِّ بْنُ الْمُبَارَك، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ قُلْتُ: يَقُولُونَ :﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ؟ فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ، وقلتُ لَهُ مِثْلَ مَا قلتَ لِي، فَقَالَ جَابِرٌ: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "جَاوَرْتُ بِحِرَاء، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هبطتُ فنُوديت فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شَمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا،

فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي. وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا. قَالَ: فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾

هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ وَهَذَا السِّيَاقُ هُوَ الْمَحْفُوظُ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ الْوَحْيُ قَبْلَ هَذَا، لِقَوْلِهِ: "فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ"، وَهُوَ جِبْرِيلُ حِينَ أَتَاهُ بِقَوْلِهِ :﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثُمَّ إِنَّهُ حَصَلَ بَعْدَ هَذَا فَتْرَةٌ، ثُمَّ نَزَلَ الْمَلَكُ بَعْدَ هَذَا.

وَوَجْهُ الْجَمْعِ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَزَلَ بَعْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ هَذِهِ السُّورَةُ[1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ يا أيها الَّذِي قَدْ تَدَثَّرَ بِثِيابِهِ: أَيْ تَغَشَّى بِها[2] والدثار هو ما يلبس فوق الشعار، والشعار (الملابس الداخلية في أيامنا هذه)هو الذي يلي الجسد، وفي الحديث الأنصار شعار، والناس دثار[3]

قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ أَيْ: ﴿قُمْ﴾ مِن نَوْمِكَ ﴿فَأَنْذِرْ﴾ أَنْذِرْ كُفَّارَ مَكَّةَ[4] وحذرهم العذاب إن لم يسلموا، أو قم من مضجعك واترك الدثر بالثياب[5]

وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ عَظِّمْهُ عَمَّا يَقُولُهُ عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ[6] وأنه أكبر من أن يكون له شريك كما يعتقده الكفار، وأعظم من أن تكون له صاحبة أو ولد، قال ابن العربي المراد به تكبير التقديس والتنزيه لخلع الأضداد والأنداد والأصنام، ولا تتخذ ولياً غيره، ولا تعبد سواه، ولا ترى لغيره فعلاً إلا له ولا نعمة إلا منه.

(١) تفسير ابن كثير
(٢) فتح القدير للشوكاني
(٣) فتح البيان للقنوجي
(٤) تفسير البغوي
(٥) فتح البيان للقنوجي
(٦) تفسير ابن الجوزي

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ فيهِ ثَمانيَةُ أقْوالٍ.

أحَدُها: لا تَلْبَسْها عَلى مَعْصِيَةٍ، ولا عَلى غَدْرٍ رَوى هَذا المَعْنى عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ.

والثّاني: لا تَكُنْ ثِيابُكَ مِن مَكْسَبِ غَيْرِ طاهِرٍ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ أيْضًا.

والثّالِثُ: طَهِّرْ نَفْسَكَ مِنَ الذَّنْبِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ.

والرّابِعُ: وعَمَلَكَ فَأصْلِحْ، قالَهُ الضَّحّاكُ.

والخامِسُ: خُلُقَكَ فَحَسِّنْ، قالَهُ الحَسَنُ، والقُرَظِيُّ.

والسّادِسُ: وثِيابَكَ فَقَصِّرْ وشَمِّرْ، قالَهُ طاوُوسٌ.

والسّابِعُ: قَلْبَكَ فَطَهِّرْ، قالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

والثّامِنُ: اغْسِلْ ثِيابَكَ بِالماءِ، ونَقِّها[١]

وأورد الماوردي ﴿وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أقاوِيلَ:

أحَدُها: أنَّ المُرادَ بِالثِّيابِ العَمَلُ.

الثّانِي: القَلْبُ.

الثّالِثُ: النَّفْسُ.

الرّابِعُ: النِّساءُ والزَّوْجاتُ.

الخامِسُ: الثِّيابُ المَلْبُوساتُ عَلى الظّاهِرِ.

فَمَن ذَهَبَ عَلى أنَّ المُرادَ بِها العَمَلُ قالَ فِي تَأْوِيلِ الآيَةِ: وعَمَلَكَ فَأصْلِحْ، قالَهُ مُجاهِدٌ، ومِنهُ ما رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ) » :يُحْشَرُ المَرْءُ فِي ثَوْبَيْهِ اللَّذَيْنِ ماتَ فِيها يَعْنِي عَمَلَهُ الصّالِحَ والطّالِحَ)[٢]

---

(١) تفسير ابن الجوزي

(٢) تفسير الماوردي

وَلَهم في تَأْوِيلِ الآيَةِ وجْهانِ:
أحَدُهما: مَعْناهُ وقَلْبَكَ فَطَهِّرْ مِنَ الإثْمِ والمَعاصِي، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ وقَتادَةُ.
الثّانِي: وقَلْبَكَ فَطَهِّرْ مِنَ الغَدْرِ وهَذا مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ
﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ وفي مَعْنى "الرِّجْزِ" لِلْمُفَسِّرِينَ سِتَّةُ أقْوالٍ.
أحَدُها: أنَّهُ الأصْنامُ، والأوْثانُ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ. ومُجاهِدٌ، وعِكْرِمَةُ، وقَتادَةُ، والزُّهْرِيُّ، والسُّدِّيُّ، وابْنُ زَيْدٍ.
والثّانِي: أنَّهُ الإثْمُ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ أيْضًا.
والثّالِثُ: الشِّرْكُ، قالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ، والضَّحّاكُ.
والرّابِعُ: الذَّنْبُ، قالَهُ الحَسَنُ.
والخامِسُ: العَذابُ، قالَهُ ابْنُ السّائِبِ. قالَ الزَّجّاجُ: الرِّجْزُ في اللُّغَةِ: العَذابُ. ومَعْنى الآيَةِ: اهْجُرْ ما يُؤَدِّي إلى عَذابِ اللَّهِ.
والسّادِسُ: الشَّيْطانُ[1]
﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾ فِيهِ أرْبَعَةُ أقْوالٍ.
أحَدُها: لا تُعْطِ عَطِيَّةً تَلْتَمِسُ بِها أفْضَلَ مِنها، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ، وعِكْرِمَةُ، وقَتادَةُ. قالَ المُفَسِّرُونَ: مَعْناهُ: أعْطِ لِرَبِّكَ وأرِدْ بِهِ اللَّهَ، فَأدَّبَهُ بِأشْرَفِ الآدابِ. ومَعْنى "لا تَمْنُنْ" لا تُعْطِ شَيْئًا مِن مالِكَ لِتُعْطى أكْثَرَ مِنهُ، وهَذا الأدَبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خاصَّةً، ولَيْسَ عَلى أحَدٍ مِن أُمَّتِهِ إثْمٌ أنْ يَهْدِيَ هَدِيَّةً يَرْجُو بِها ثَوابًا أكْثَرَ مِنها.
والثّانِي: لا تَمْنُنْ بِعَمَلِكَ تَسْتَكْثِرُهُ عَلى رَبِّكَ، قالَهُ الحَسَنُ.
والثّالِثُ: لا تَضْعُفْ عَنِ الخَيْرِ أنْ تَسْتَكْثِرَ مِنهُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.
والرّابِعُ: لا تَمْنُنْ عَلى النّاسِ بِالنُّبُوَّةِ لِتَأْخُذَ عَلَيْها مِنهم أجْرًا، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ

---

(١) تفسير ابن الجوزي

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ فيهِ أرْبَعَةُ أقْوالٍ

أَحَدُها: لِأَجْلِ رَبِّكَ.

والثّانِي: لِثَوابِ رَبِّكَ.

والثّالِثُ: لِأمْرِ رَبِّكَ.

والرّابِعُ: لِوَعْدِ رَبِّكَ ﴿فاصْبِرْ﴾ فِيهِ قَوْلانِ.

أَحَدُهُما: عَلى طاعَتِهِ وفَرائِضِهِ.

والثّانِي: عَلى الأذى والتَّكْذِيبِ.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾ إذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ[1]

﴿النَّاقُورِ﴾ الصُّورِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ كَهَيْئَةِ الْقَرْنِ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ :﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ؟" فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا." [2]

﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ أَيْ فَذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمٌ شَدِيدٌ (عَلَى الْكَافِرِينَ)

﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَبِأَنْبِيَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ (غَيْرُ يَسِيرٍ) أَيْ غَيْرُ سَهْلٍ وَلَا هَيِّنٍ، وَذَلِكَ أَنَّ عُقَدَهُمْ لَا تَنْحَلُّ إِلَّا إِلَى عُقْدَةٍ أَشَدَّ مِنْهَا، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُذْنِبِينَ فَإِنَّهَا تَنْحَلُّ إِلَى مَا هُوَ أَخَفُّ مِنْهَا حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى

---

(١) تفسير القرطبي

(٢) تفسير ابن كثير

ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ أَيْ دَعْنِي، وَهِيَ كَلِمَةُ وَعِيدٍ وَتَهْدِيدٍ. وَمَنْ خَلَقْتُ أَيْ دَعْنِي وَالَّذِي خَلَقْتُهُ وَحِيدًا ، أَيْ خَلَقْتُهُ وَحْدَهُ، لَا مَالَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ بعد ذلك ما أعطيته.

وَأجمع الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، وَإِنْ كَانَ النَّاسُ خُلِقُوا مِثْلَ خَلْقِهِ. وَإِنَّمَا خُصَّ بِالذِّكْرِ لِاخْتِصَاصِهِ بِكُفْرِ النِّعْمَةِ وَإِيذَاءِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ يُسَمَّى الْوَحِيدَ فِي قَوْمِهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ الْوَلِيدُ يَقُولُ: أَنَا الوحيد بن الْوَحِيدِ، لَيْسَ لِي فِي الْعَرَبِ نَظِيرٌ، وَلَا لِأَبِي الْمُغِيرَةِ نَظِيرٌ، وَكَانَ يُسَمَّى الْوَحِيدَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ بِزَعْمِهِ وَحِيداً لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَدَّقَهُ بِأَنَّهُ وَحِيدٌ[1]

وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ أَيْ خَوَّلْتُهُ وَأَعْطَيْتُهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَهُوَ مَا كَانَ لِلْوَلِيدِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْحُجُورِ وَالنَّعَمِ وَالْجِنَانِ وَالْعَبِيدِ وَالْجَوَارِي، كَذَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: غَلَّةُ أَلْفِ دِينَارٍ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: سِتَّةُ آلَافِ دِينَارٍ. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَقَتَادَةُ: أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ. الثَّوْرِيُّ أَيْضًا: أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ. مُقَاتِلٌ: كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ لَا يَنْقَطِعُ خَيْرُهُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا. وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُوداً غَلَّةُ شَهْرٍ بِشَهْرٍ. النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: أَرْضًا يَزْرَعُ فِيهَا. الْقُشَيْرِيُّ: وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا لَا يَنْقَطِعُ رِزْقُهُ، بَلْ يَتَوَالَى كَالزَّرْعِ وَالضَّرْعِ والتجارة.

وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَغِيبُونَ عَنْهُ ، أَيْ: حُضُورًا عِنْدَهُ بِمَكَّةَ لَا يُسَافِرُونَ فِي التِّجَارَاتِ وَكَانُوا عَشَرَةً، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ.

---

(١) تفسير القرطبي

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: كَانُوا سَبْعَةً وَهُمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَخَالِدٌ وَعِمَارَةُ وَهُشَامٌ وَالْعَاصُ وَقَيْسٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ، أَسْلَمَ مِنْهُمْ (ثَلَاثَةٌ) خَالِدٌ وَهُشَامٌ وَ (عِمَارَةُ)[١] , وَهَذَا أَبْلَغُ فِي النِّعْمَةِ (وَهُوَ إِقَامَتُهُمْ عِنْدَهُ) [٢]

واخْتَلَفَتِ الرِّوايَةُ فِيهِ أنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أوْ قَتَلَهُ النَّجاشِيُّ لِجِنايَةٍ نُسِبَتْ إلَيْهِ في حَرَمِ المَلِكِ والرِّوايَتانِ مُتَّفِقَتانِ عَلى أنَّهُ قُتِلَ كافِرًا[٣]

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤﴾ أَيْ: مَكَّنْتُهُ مِنْ صُنُوفِ الْمَالِ وَالْأَثَاثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ , بَسَطْتُ لَهُ فِي الْعَيْشِ وَطُولِ الْعُمُرِ بَسْطًا

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥﴾ وفيها ثلاثة وجوة:

الأولَ : يرْجُو ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾ أَيْ أَنْ أَزِيدَهُ مَالًا وَوَلَدًا وَتَمْهِيدًا, وهو اسْتِبْعادٌ واسْتِنْكارٌ لِطَمَعِهِ وحِرْصِهِ إمّا لِأنَّهُ في غِنًى تامٍّ لا مَزِيدَ عَلى ما أُوتِيَ سِعَةً وكَثْرَةً أوْ لِأنَّهُ مُنافٍ لِما هو عَلَيْهِ مِن كُفْرانِ النِّعَمِ ومُعانِدَةِ المُنْعِمِ.

الثاني : أنه كان يرجو الجنة , وعَنِ الحَسَنِ وغَيْرِهِ أنَّهُ كانَ يَقُولُ إنْ كانَ مُحَمَّدٌ صادِقًا فَما خُلِقَتِ الجَنَّةُ (إلّا) لِي

الثالث : يَطْمَعُ أنْ أنْصُرَهُ عَلى كُفْرِهِ.

﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦﴾ رَدْعٌ وزَجْرٌ لَهُ عَنْ طَمَعِهِ الفارِغِ وقَطْعٌ لِرَجائِهِ الخائِبِ ﴿إنَّهُ كانَ لآياتنا عَنيدًا﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنافًا بَيانًا لِتَعْلِيلِ ما قَبْلُ كَأنَّهُ قِيلَ لِمَ زُجِرَ عَنْ طَلَبِ المَزِيدِ وما وجْهُ عَدَمِ لِياقَتِهِ فَقِيلَ إنَّهُ كانَ مُعانِدًا لِآياتِ المُنْعِمِ وهي دَلائِلُ تَوْحِيدِهِ أوِ الآياتِ القُرْآنِيَّةِ حَيْثُ قالَ فِيها ما قالَ والمُعانَدَةُ تُناسِبُ

---

(١) تفسير البغوي

(٢) تفسير ابن كثير

(٣) تفسير الآلوسي

الإزالَةَ وتَمْنَعُ مِنَ الزِّيادَةِ قالَ مُقاتِلٌ: ما زالَ الوَلِيدُ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ في نَقْصٍ مِن مالِهِ ووَلَدِهِ حَتّى هَلَكَ[1]

والمُرادِ (بِآياتِنا) ثَلاثَةُ أقاوِيلَ:

أحَدُها: القُرْآنُ، قالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ.

الثّانِي: مُحَمَّدٌ ﷺ، قالَهُ السُّدِّيُّ.

الثّالِثُ: الحَقُّ، قالَهُ مُجاهِدٌ[2]

وَفي قَوْلِهِ (عَنِيدًا) أرْبَعَةُ تَأْوِيلاتٍ:

أحَدُها: مُعانِدٌ

الثّانِي: مُباعِدٌ

الثّالِثُ: جاحِدٌ، قالَهُ قَتادَةُ.

الرّابِعُ: مُعْرِضٌ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

وَيَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا خامِسًا: أنَّهُ المُجاهِرُ بِعَداوَتِهِ.

سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ أيْ سَأُكَلِّفُهُ صَعُودًا، وفي الصَّعُودِ قَوْلانِ:

الأوَّلُ: أنَّهُ مَثَلٌ لِما يَلْقى مِنَ العَذابِ الشّاقِّ الصَّعْبِ الَّذِي لا يُطاقُ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿يَسْلُكْهُ عَذابًا صَعَدًا﴾ (الجِنِّ: ١٧)

وصَعُودٌ مِن قَوْلِهِمْ: عَقَبَةٌ صَعُودٌ وكَدُودٌ شاقَّةُ المَصْعَدِ.

والثّانِي: أنَّ صَعُودًا اسْمٌ لِعَقَبَةٍ في النّارِ كُلَّما وضَعَ يَدَهُ عَلَيْها ذابَتْ فَإذا رَفَعَها عادَتْ وإذا وضَعَ رِجْلَهُ ذابَتْ وإذا رَفَعَها عادَتْ[3]

---

(١) تفسير الآلوسي

(٢) تفسير الماوردي

(٣) تفسير الرازي

وروى أحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ والحاكِمُ وصَحَّحَهُ وجَماعَةٌ عَنْ أبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ مَرْفُوعًا :
(الصُّعُودُ جَبَلٌ مِن نارٍ يَصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ يَهْوِي فِيهِ كَذَلِكَ أبَدًا)
وعَنْهُ ﷺ» :(يُكَلَّفُ أنْ يَصْعَدَ عَقَبَةً فِي النّارِ كُلَّما وضَعَ عَلَيْها يَدَهُ ذابَتْ وإذا رَفَعَها عادَتْ وإذا وضَعَ رِجْلَهُ ذابَتْ فَإذا رَفَعَها عادَتْ)

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إنَّهُ تَعالى حَكى كَيْفِيَّةَ عِنادِهِ فَقالَ :﴿إنَّهُ فَكَّرَ وقَدَّرَ﴾
يُقالُ: فَكَّرَ فِي الأمْرِ وتَفَكَّرَ إذا نَظَرَ فِيهِ وتَدَبَّرَ، ثُمَّ لَمّا تَفَكَّرَ رَتَّبَ فِي قَلْبِهِ كَلامًا وهَيَّأهُ، وهو المُرادُ مِن قَوْلِهِ :﴿وقَدَّرَ﴾
يَعْنِي الْوَلِيدَ فَكَّرَ فِي شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ والقرآن وقَدَّرَ أَيْ هَيَّأَ الْكَلَامَ فِي نَفْسِهِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: قَدَّرْتُ الشَّيْءَ إِذَا هَيَّأْتُهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾
سَمِعَهُ الْوَلِيدُ يَقْرَؤُهَا فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلَامًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ.
فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: صَبَا الْوَلِيدُ لَتَصْبُوَنَّ قُرَيْشٌ كُلُّهَا. وَكَانَ يُقَالُ لِلْوَلِيدِ رَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَنَا أَكْفِيكُمُوهُ. فَمَضَى إِلَيْهِ حَزِينًا؟ فقال له: مالي أَرَاكَ حَزِينًا.
فَقَالَ لَهُ: وَمَا لِي لَا أَحْزَنُ وَهَذِهِ قُرَيْشٌ يَجْمَعُونَ لَكَ نَفَقَةً يُعِينُونَكَ بِهَا عَلَى كِبَرِ سِنِّكَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّكَ زَيَّنْتَ كَلَامَ مُحَمَّدٍ، وَتَدْخُلُ عَلَى ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ وَابْنِ أَبِي قُحَافَةَ لِتَنَالَ مِنْ فَضْلِ طَعَامِهِمَا، فَغَضِبَ الْوَلِيدُ وَتَكَبَّرَ، وَقَالَ: أَنَا أَحْتَاجُ إِلَى كِسَرِ مُحَمَّدٍ وَصَاحِبِهِ، فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ قَدْرَ مَالِي، وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى مَا بِي حَاجَةٌ إِلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ قَطُّ يَخْنُقُ؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ شَاعِرٌ، فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ نَطَقَ بِشِعْرٍ قَطُّ؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ. قَالَ: فَتَزْعُمُونَ

أَنَّهُ كَذَّابٌ فَهَلْ جَرَّبْتُمْ عَلَيْهِ كَذِبًا قَطُّ؟ قَالُوا: لا واللهِ.
قَالَ: فَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَاهِنٌ فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ تَكَهَّنَ قَطُّ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا لِلْكَهَنَةِ أَسْجَاعًا وَتَخَالُجًا فَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ كَذَلِكَ؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ.
وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَمَّى الصَّادِقَ الْأَمِينَ مِنْ كَثْرَةِ صِدْقِهِ. فَقَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْوَلِيدِ: فَمَا هُوَ؟ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا سَاحِرٌ! أَمَا رَأَيْتُمُوهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَوَالِيهِ؟! فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّهُ فَكَّرَ أَيْ فِي أَمرِ مُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ وَقَدَّرَ فِي نَفْسِهِ مَاذَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُولَ فِيهِمَا. فَقُتِلَ أَيْ لُعِنَ. وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ يَقُولُ: مَعْنَاهَا فَقُهِرَ وغلب،
﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩﴾ وهَذا إِنَّما يُذْكَرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ والاسْتِعْظامِ، ومِثْلُهُ قَوْلُهم: قَتَلَهُ اللَّهُ ما أَشْجَعَهُ، وأَخْزاهُ اللَّهُ ما أَشْعَرَهُ، ومَعْناهُ أنَّهُ قَدْ بَلَغَ المَبْلَغَ الَّذِي هو حَقِيقٌ بِأنْ يُحْسَدَ ويَدْعُوَ عَلَيْهِ حاسِدُهُ بِذَلِكَ، وإذا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَنَقُولُ: إنَّهُ يَحْتَمِلُ هَهُنا وجْهَيْنِ:
أحَدُهُما: أنَّهُ تَعْجِيبٌ مِن قُوَّةِ خاطِرِهِ، يَعْنِي أنَّهُ لا يُمْكِنُ القَدْحُ في أمْرِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ بِشُبْهَةٍ أعْظَمَ ولا أقْوى مِمّا ذَكَرَهُ هَذا القائِلُ.
والثّانِي: الثَّناءُ عَلَيْهِ عَلى طَرِيقَةِ الِاسْتِهْزاءِ، يَعْنِي أنَّ هَذا الَّذِي ذَكَرَهُ في غايَةِ الرَّكاكَةِ والسُّقُوطِ.
﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ كَرَّرَهُ لِلتَّأْكِيدِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لُعِنَ عَلَى أَي حَالٍ قَدَّرَ مِنَ الْكَلَامِ، كَمَا يُقَالُ لَأَضْرِبَنَّهُ كَيْفَ صَنَعَ أَيْ عَلَى أَيِّ حَالٍ صَنَعَ.[1]
﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ أَيْ: أَعَادَ النَّظْرَةَ وَالتَّرَوِّيَ بِأَيِ شي يَرُدُّ الْحَقَّ وَيَدْفَعُهُ.
﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾ أَيْ قَطَّبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فِي وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا حَمَلَ قُرَيْشًا عَلَى مَا حَمَلَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ، مَرَّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِن

---

(١) تفسير البغوي

الْمُسْلِمِينَ، فَدَعَوْهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَعَبَسَ فِي وُجُوهِهِمْ .. قِيلَ: عَبَسَ وَبَسَرَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حِينَ دَعَاهُ[1] ﴿وَبَسَرَ﴾ أَيْ: كَلَحَ وَكَرِهَ[2]

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ أَيْ: صُرِفَ عَنِ الْحَقِّ، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى مُسْتَكْبِرًا عَنِ الانْقِيَادِ لِلْقُرْآنِ

فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ قالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ الوَلِيدَ بْنَ المُغِيرَةِ قالَ: إِنْ هَذا القُرْآنَ إِلّا سِحْرٌ يَأْثِرُهُ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ فَأَخَذَهُ عَمَّنْ تَقَدَّمَهُ.

وَيَحْتَمِلُ وجْهًا آخَرَ: أَنْ يَكُونَ مَعْناهُ أَنَّ النُّفُوسَ تُؤْثِرُ لِحَلاوَتِهِ فِيها كالسِّحْرِ[3]

إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ أيْ لَيْسَ مِن كَلامِ اللَّهِ تَعالى، قالَ السُّدِّيُّ: يَعْنُونَ أنَّهُ مِن قَوْلِ أبِي اليُسْرِ عَبْدٌ لِبَنِي الحَضْرَمِيِّ كانَ يُجالِسُ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَسَبُوهُ إلى أنَّهُ تَعَلَّمَ مِنهُ ذَلِكَ.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن

---

[1] تفسير القرطبي

[2] تفسير ابن كثير

[3] فسير الماوردي

يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾

اللغة ومعاني الكلمات

سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ سَأُدْخِلُهُ جهَنَّمَ، كَيْ يَصْلى حَرَّها

لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لا تَتْرُكُ لَحْمًا

وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لا تَتْرُكُ عَظْمًا.

لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ مُحْرِقَةٌ لِلْجُلُودِ، مُغَيِّرَةٌ لِلْبَشَرَةِ

عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ عدد خزنة جهنم تسعة عشر ملكاً

فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴿٣١﴾ اخْتِبارًا لِلْكُفّارِ

وَلَا يَرۡتَابَ ﴿٣١﴾ لا يَشُكَّ

مَّرَضٞ ﴿٣١﴾ نِفاقٌ

جُنُودَ رَبِّكَ ﴿٣١﴾ مَلائِكَتَهُ

كَلَّا ﴿٣٢﴾ ليسَ الأمرُ كَما ذَكَرُوا[١]

وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ حِينَ ولّى وذَهَبَ

أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ أضاءَ

إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ إنَّ النّارَ لَإِحْدَى العَظائِمِ

نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ إنْذارًا وتَخْوِيفًا

يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ يَتقَرَّبَ إلى رَبِّهِ بِفِعْلِ الطّاعاتِ أو يتأخر بِفِعْلِ المعاصِي

بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ مِن أعْمالِ الخيرِ والشَّرِ. مَحْبُوسَةٌ بِعَمَلِها

إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ وهم المسْلِمُونَ المخلِصُونَ

فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ يَسْأَلُ بَعْضُهُم بَعْضًا

عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ عَنِ الكافِرِينَ الَّذِينَ أجْرمُوا في حَقِّ أنْفُسِهِم

مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ مَا أَدْخَلَكُمْ في جهنم

وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ نَتَحَدَّثُ بِالباطِلِ مَعَ أهْلِ الضَّلالَةِ

حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ المَوْتُ[٢]

شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ طَلَبُ قَضاءِ حاجَةِ المشْفُوعِ لَهُ عِنْدَ المَشْفُوعِ عِنْدَهُ

ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ الملائِكَةِ والنَّبِيِّينَ وغَيرِهِم

فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ فما لِهؤُلاءِ المشْرِكِينَ عَنِ القُرآنِ وما فِيهِ مِنَ المواعِظِ مُنْصَرِفِينَ

كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ حُمُرٌ وَحْشِيَّةٌ نافرة، ومذعورة

(١) الميسر في الغريب

(٢) القرآن تدبر وعمل

فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ أَسَدٍ كَاسِرٍ

هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾ أَهْلٌ لأَنْ يُتَّقَى، وَيُطَاعَ

التفسير

سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ سأورده بابا من أبواب جهنم اسمه سقر [1] سَأَغْمُرُهُ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ [2] سَأُدْخِلُهُ سَقَرَ كَيْ يَصْلَى حَرَّهَا. وَإِنَّمَا سَمَّيْتُ سَقَرَ مَنْ سَقَرَتْهُ الشَّمْسُ: إِذَا أَذَابَتْهُ، وَأَحْرَقَتْ جِلْدَةَ وَجْهِهِ [3]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ الطَّبَقُ السَّادِسُ مِنْ جَهَنَّمَ

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ وَهَذَا تَهْوِيلٌ لِأَمْرِهَا وَتَفْخِيمٌ. وأيّ شيء أدراك يا محمد، أيّ شيء سقر. ثم بين الله تعالى ذكره ما سقر، فقال: هي نار

لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴿لا تُبْقي﴾ من فيها حيا ﴿ولا تذَرُ﴾ من فيها ميتا، ولكنها تحرقهم كلما جدّد خلقهم. و تَأْكُلُ لُحُومَهُمْ وَعُرُوقَهُمْ وعَصَبهم وَجُلُودَهُمْ، ثُمَّ تُبَدَّلُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيَوْنَ

لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ تَلْفَحُ الْجِلْدَ لَفْحَةً فَتَدَعُهُ أَسْوَدَ مِنَ اللَّيْلِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ :﴿لَوّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ أَيْ: حَرَّاقَةٌ لِلْجِلْدِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَحْرِقُ بَشَرَةَ الْإِنْسَانِ [4]

وقِيلَ: إِنَّ اللَّوْحَ شِدَّةُ الْعَطَشِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا مُعَطِّشَةٌ لِلْبَشَرِ أَيْ لِأَهْلِهَا

---

(1) تفسير الطبري

(2) تفسير ابن كثير

(3) تفسير القرطبي

(4) تفسير ابن كثير

عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ يعني الزبانية خزنة جهنم , مَالِكٌ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ مَلَكًا) وعددهم تِسْعَةَ عَشَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يلْقَوْنَ فِيهَا أَهْلَهَا.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: نَعت النَّبِيُّ ﷺ خَزَنَةَ جهنَّم فقَالَ: (فَكَأَنَّ أَعْيُنَهُمُ الْبَرْقُ، وَكَأَنَّ أَفْوَاهَهُمُ الصَّيَاصِي، يَجُرُّونَ أَشْعَارَهُمْ، لِأَحَدِهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ مِثْلَ قُوَّةِ الثَّقَلَيْنِ، يَسُوقُ أَحَدُهُمُ الْأُمَّةَ وَعَلَى رَقَبَتِهِ جَبَلٌ، فَيَرْمِيهِمْ فِي النَّارِ، وَيَرْمِي فَوْقَهُمُ الْجَبَلَ)[١]

وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ: أَعْيُنُهُمْ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَأَنْيَابُهُمْ كَالصَّيَاصِيِّ، يَخْرُجُ لَهَبُ النَّارِ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْ أَحَدِهِمْ مَسِيرَةُ سَنَةٍ، نُزِعَتْ مِنْهُمُ الرَّحْمَةُ، يَرْفَعُ أحدهم سبعين ألف فَيَرْمِيهِمْ حَيْثُ أَرَادَ مِنْ جَهَنَّمَ

أسباب النزول

وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۖ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِقُرَيْشٍ: ثَكِلَتْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ، أَسْمَعُ ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ يُخْبِرُ أَنَّ خَزَنَةَ النَّارِ تِسْعَةَ عَشَرَ وَأَنْتُمُ الدُّهْمُ، أَيِ: الشُّجْعَانُ، أَفَيَعْجِزُ كُلُّ عَشَرَةٍ مِنْكُمْ أَنْ يَبْطِشُوا بِوَاحِدٍ مِنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ قَالَ أَبُو الْأَشَدِّ أُسَيْدُ بْنُ كَلَدَةَ بْنِ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ: أَنَا أَكْفِيكُمْ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ، عَشْرَةً عَلَى ظَهْرِي وَسَبْعَةً عَلَى بَطْنِي، فَاكْفُونِي أَنْتُمُ اثْنَيْنِ.

---

(١) فسير القرطبي

وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَمْشِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ فَأَدْفَعُ عَشَرَةً بِمَنْكِبِي الْأَيْمَنِ وَتِسْعَةً بِمَنْكِبِي الْأَيْسَرِ فِي النَّارِ وَنَمْضِي فَنَدْخُلُ الْجَنَّةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾[1]

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ وهم المدبرين لأمر النار القائمين بعذاب من فيها[2] ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم، ورُوي أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار , وقيل جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المخلوقين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرقة والرأفة، وقيل لأنهم أقوم خلق الله بحقه والغضب له وأشدهم بأساً وأقواهم بطشاً

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي جعلنا هذا العدد سبب ضلالة ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الذين استقلوا العدد ، ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ما قالوا

﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ المراد بهم اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القرآن بأن عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم بأن ما قاله محمد ﷺ حق، ليحصل اليقين لليهود والنصارى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لموافقة ما في القرآن لما في كتبهم.

﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وقيل أراد المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (إيماناً) أي ليزدادوا يقيناً إلى يقينهم لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم

﴿وَلا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ والمُؤْمِنُونَ﴾ أيْ في ذَلِكَ وهو تَأْكِيدٌ لِلِاسْتِيقانِ وزِيادَةُ الإيمانِ والمَعْنى نَفْيُ الِارْتِيابِ عَنْهم في الدِّينِ، أوْ في أنَّ عِدَّةَ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ

---

(١) تفسير البغوي

(٢) فتح البيان للقنوجي

تِسْعَةَ عَشَرَ، ولا ارْتِيابَ في الحَقِيقَةِ مِنَ المُؤْمِنِينَ، ولَكِنَّهُ مِن بابِ التَّعْرِيضِ لِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ في قَلْبِهِ شَكٌّ[١]

﴿ولِيَقُولَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شَكٌّ أوْ نِفاقٌ، فَيَكُونُ إخْبارًا بِمَكَّةَ عَمّا سَيَكُونُ في المَدِينَةِ بَعْدَ الهِجْرَةِ[٢]

﴿والكافِرُونَ﴾ الجازِمُونَ في التَّكْذِيبِ

﴿ماذا أرادَ اللَّهُ بِهَذا مَثَلًا﴾ أيَّ شَيْءٍ أَرَادَ بِهَذَا الْحَدِيثِ (العَدَدِ المُسْتَغْرَبِ)؟ وَأَرَادَ بِالْمَثَلِ الْحَدِيث نَفْسَهُ ,

﴿كَذَلِكَ﴾ أَيْ كَمَا أَضَلَّ اللَّهُ مَنْ أَنْكَرَ عَدَدَ الْخَزَنَةِ وَهَدَى مَنْ صَدَّقَ كَذَلِكَ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: هَذَا جَوَابُ أَبِي جَهْلٍ حِينَ قَالَ: أَمَا لِمُحَمَّدٍ أَعْوَانٌ إِلَّا تِسْعَةَ عَشَرَ؟

قَالَ عَطَاءٌ :﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يَعْنِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِتَعْذِيبِ أَهْلِ النَّارِ، لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَالْمَعْنَى إِنَّ تِسْعَةَ عَشَرَ هُمْ خَزَنَةُ النَّارِ، وَلَهُمْ مِنَ الْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ذِكْرِ سَقَرَ فَقَالَ :﴿وَمَا هِيَ﴾ يَعْنِي سَقَرَ

﴿إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً وَمَوْعِظَةً لِلنَّاسِ[٣]

كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ أي حَقًّا وَالْقَمَرِ، حيث جَعَلَهَا رَدًّا لِلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يُقَاوِمُونَ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ، أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُقَاوِمُ خَزَنَةَ النَّارِ. ثُمَّ أَقْسَمَ عَلَى ذلك عز وجل بِالْقَمَرِ وَبِمَا بَعْدَهُ[٤]

---

(١) فتح القدير للشوكاني

(٢) تفسير البيضاوي

(٣) تفسير البغوي

(٤) تفسير القرطبي

﴿كَلّا﴾ وفِيهِ وُجُوهٌ:

أحَدُها: أنَّهُ إنْكارٌ بَعْدَ أنْ جَعَلَها ذِكْرى، أنْ تَكُونَ لَهم ذِكْرى لِأنَّهم لا يَتَذَكَّرُونَ.

وثانِيها: أنَّهُ رَدْعٌ لِمَن يُنْكِرُ أنْ يَكُونَ إحْدى الكُبَرِ نَذِيرًا.

وثالِثُها: أنَّهُ رَدْعٌ لِقَوْلِ أبِي جَهْلٍ وأصْحابِهِ: إنَّهم يَقْدِرُونَ عَلى مُقاوَمَةِ خَزَنَةِ النّارِ.

ورابِعُها: أنَّهُ رَدْعٌ لَهم عَنِ الِاسْتِهْزاءِ بِالعُدَّةِ المَخْصُوصَةِ[1]

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾ أيْ ولّى وذهب

وروى أَن عبد الله بن عَبَّاس سُئِلَ عَن قَوْله :﴿وَاللَّيْل إِذا أدبر﴾ فَقَالَ للسَّائِل: امْكُث.

فَلَمَّا أذن الْمُؤَذّن للصبح قَالَ: هَذَا حِين دبر اللَّيْل[2]

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤﴾ أيْ أضاءَ وتَبَيَّنَ [3]

﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ٣٥﴾ فِيها ثَلاثَةُ تَأْوِيلاتٍ:

أحَدُها: أيْ أنَّ تَكْذِيبَهم بِمُحَمَّدٍ ﷺ لَإحْدى الكُبَرِ، أيِ الكَبِيرَةُ مِنَ الكَبائِرِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّانِي: أيْ أنَّ هَذِهِ النّارَ لَإحْدى الكُبَرِ، أيْ لَإحْدى الدَّواهِي.

الثّالِثُ: أنَّ هَذِهِ الآيَةَ لَإحْدى الكُبَرِ، حَكاهُ ابْنُ عِيسى.

ويَحْتَمِلُ رابِعًا: أنَّ قِيامَ السّاعَةِ لَإحْدى الكُبَرِ، والكُبَرُ هي العَظائِمُ والعُقُوباتُ والشَّدائِدُ[4]

---

(1) تفسير الرازي

(2) تفسير السمعاني

(3) فتح القدير للشوكاني

(4) تفسير الماوردي

وقيل ﴿إِنَّهَا لإحدى الْكبر﴾ أَي: سقر إِحْدَى دركات جَهَنَّم[١]

﴿إِنَّهَا لإحدى الْكبر﴾ جَوابُ القَسَمِ والضَّمِيرُ راجِعٌ إلى (سَقَرَ)[٢]

نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ أَي: إنذارا للبشر.

لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ أَي: يتقَدَّم إِلَى الْإِيمَان أَو يتَأَخّر عَنهُ

وقال ابن عباس من شاء اتبع طاعة الله ومن شاء تأخر عنها قال الحسن هذا وعد وتهديد وإن خرج مخرج الخبر[٣]

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ أي مأخوذة بعملها مرتهنة به إما خلصها وإما أوبقها

والمعنى كل نفس رهينة بكسبها غير مفكوكة، كافرة كانت أو مؤمنة، عاصية أو غير عاصية

إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَرْتَهِنُونَ بِذُنُوبِهِمْ فِي النَّارِ وَلَكِنْ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ.

قَالَ قَتَادَةُ: عَلَّقَ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى يَمِينِ آدَمَ يَوْمَ الْمِيثَاقِ، حِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي.

وَعَنْهُ أَيْضًا: هُمُ الَّذِينَ أُعْطُوا كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَعَنْهُ أَيْضًا: هُمُ الَّذِينَ كَانُوا مَيَامِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ[٤]

إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ وفِيهِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: أنَّ كُلَّ نَفْسٍ مُرْتَهَنَةٌ مُحْتَسَبَةٌ بِعَمَلِها لِتحاسَبِ عَلَيْهِ، إلّا أصْحابَ اليَمِينِ،

(١) تفسير السمعاني

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور

(٣) فتح البيان للقنوجي

(٤) تفسير البغوي

وهم أطْفالُ المُسْلِمِينَ فَإنَّهُ لا حِسابَ عَلَيْهِمْ لِأنَّهُ لا ذُنُوبَ لَهم، قالَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثّانِي: كُلُّ نَفْسٍ مِن أهْلِ النّارِ مُرْتَهَنَةٌ في النّارِ إلّا أصْحابَ اليَمِينِ وهُمُ المُسْلِمُونَ، فَإنَّهم لا يُرْتَهَنُونَ، وهم إلى الجَنَّةِ يُسارِعُونَ، قالَهُ الضَّحّاكُ.

الثّالِثُ: كُلُّ نَفْسٍ بِعَمَلِها مُحاسَبَةٌ إلّا أصْحابَ اليَمِينِ وهم أهْلُ الجَنَّةِ، فَإنَّهم لا يُحاسِبُونَ، قالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ[1]

وعن مجاهد، قوله :﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: لا يحاسبون.

قال ابن زيد، في قول الله :﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ أصحابَ اليمين لا يرتهنون بذنوبهم، ولكن يغفرها الله لهم[2]

فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ أيْ: يَسْألُونَ المُجْرِمِينَ وهُمْ في الغُرُفاتِ وأُولَئِكَ فِي الدَّرْكاتِ قائِلِينَ لَهُمْ: مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾

وقالَ مُقاتِلٌ: إذا خَرَجَ أهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ النّارِ قالَ المُؤْمِنُونَ لِمَن بَقِيَ في النّارِ:[3] مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾

مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قالَ المُفَسِّرُونَ: سَلَكَكم بِمَعْنى: أدْخَلَكم. وقالَ مُقاتِلٌ: ما حَبَسَكم فِيها؟

قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ أيْ: قال المجرمون لهم: لم نك في الدنيا من المصلين لله وما عَبَدَنا رَبَّنا ولا أحسَنَّا إلى خلقِهِ من جنسِنا،

وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ أيْ: لَمْ نَتَصدَّقْ لِلَّه

---

[1] تفسير الماوردي

[2] تفسير الطبري

[3] تفسير ابن الجوزي

وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ أَيْ: نَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا نَعْلَمُ مع أهْلِ الباطِلِ والتَّكْذِيبِ

وكنا نخوض في الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه[١]

وَقَالَ قَتَادَةُ: كُلَّمَا غَوِيَ غَاوٍ غَوَيْنَا مَعَهُ

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ أيْ" كنا نكذّب بيوم المجازاة والثواب والعذاب، ولا نصدّق بثواب ولا عقاب ولا حساب

حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ حتى أتانا الموت الموقن به

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ وهَذا إنَّما جَرى بَعْدَ شَفاعَةِ الأنْبِياءِ والمَلائِكَةِ والشُّهَداءِ والمُؤْمِنِينَ. وهَذا يَدُلُّ عَلى نَفْعِ الشَّفاعَةِ لِمَن آمَنَ[٢]

عن عبد الله في قصة ذكرها في الشفاعة، قال: ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون، ويشفعهم الله فيقول: أنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق من النار، ثم يقول: أنا أرحم الراحمين، ثم قرأ عبد الله يأيها الكفار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ وعقد بيده أربعا، ثم قال: هل ترون في هؤلاء من خير، ألا ما يُترك فيها أحد فيه خير

وعن قتادة ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ تعلمن أن الله يشفع المؤمنين يوم القيامة. ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: " إنَّ مِنْ أُمَّتي رَجُلا يُدْخِلُ اللهُ بِشَفاعَتِهِ الجَنَّةَ أكْثَرَ مِنْ بَني تَمِيمٍ."

قال الحسن: أكثر من ربيعة ومضر، كنا نحدّث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته

---

(١) تفسير الطبري

(٢) تفسير ابن الجوزي

وقال معمر: وأخبرني من سمع أنس بن مالك يقول: إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والرجل[1]

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ يَعْني: كَفّارَ قُرَيْشٍ حِينَ نَفَرُوا مِنَ القُرْآنِ والتَّذْكِيرِ بِمَواعِظِهِ. والمَعْنى: لا شَيْءَ لَهم في الآخِرَةِ إذْ أعْرَضُوا عَنِ القُرْآنِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، ثُمَّ شَبَّهَهم في نُفُورِهِمْ عَنْهُ بِالحُمُرِ،

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ والمراد الحمر الوحشية نافرة و مذعورة وهارِبَةً

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ فِيهِ سِتَّةُ تَأْويلاتٍ:

أحَدُها: أنَّ القَسْوَرَةَ الرُّماةُ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّانِي: أنَّهُ القَنّاصُ أي الصَّيّادُ

الثّالِثُ: أنَّهُ الأسَدُ، قالَهُ أبُو هُرَيْرَةَ، رَوى يُوسُفُ بْنُ مَهْرانَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ أنَّهُ الأسَدُ بِلِسانِ الحَبَشَةِ

الرّابِعُ: أنَّهم عَصَبٌ مِنَ الرِّجالِ وجَماعَةٌ، رَواهُ أبُو حَمْزَةَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ.

الخامِسُ: أنَّهُ أصْواتُ النّاسِ، رَواهُ عَطاءٌ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ.

السّادِسُ: أنَّهُ النَّبِيلُ، قالَهُ قَتادَةُ[2]

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ يَعْنِي كُتُبًا مَنشُورَةً وفِيهِ أرْبَعَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: أنْ يُؤْتى كِتابًا مِنَ اللَّهِ أنْ يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ، قالَهُ قَتادَةُ.

الثّانِي: أنْ يُؤْتى بَراءَةً مِنَ النّارِ أنَّهُ لا يُقْذَفُ بِها، قالَهُ أبُو صالِحٍ.

الثّالِثُ: أنْ يُؤْتى كِتابًا مِنَ اللَّهِ بِما أحَلَّ لَهُ وحَرَّمَ عَلَيْهِ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

---

(١) تفسير الطبري

(٢) تفسير الماوردي

الرّابِعُ: أنَّ كُفّارَ قُرَيْشٍ قالُوا إنَّ بَنِي إسْرائِيلَ كانُوا إذا أذْنَبَ الواحِدُ ذَنْبًا وجَدَهُ مَكْتُوبًا في رُقْعَةٍ، فَما بالُنا لا نَرى ذَلِكَ فَنَزَلَتِ الآيَةُ، قالَهُ الفَرّاءُ.

ثُمَّ رَدَعَهُمُ اللَّهُ سُبْحانَهُ عَنْ هَذِهِ المَقالَةِ وزَجَرَهم فَقالَ :

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأٓخِرَةَ ۝٥٣﴾ يَعْنِي عَذابَ الآخِرَةِ لِأنَّهم لَوْ خافُوا النّارَ لَما اقْتَرَحُوا الآياتِ، وقِيلَ كَلّا بِمَعْنى حَقًّا

ثُمَّ كَرَّرَ الرَّدْعَ والزَّجْرَ لَهم فَقالَ:

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤﴾ يَعْنِي القُرْآنَ، أوْ حَقًّا إنَّهُ تَذْكِرَةٌ، والمَعْنى: أنَّهُ يُتَذَكَّرُ بِهِ ويُتَّعَظُ بِمَواعِظِهِ.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥﴾ أيْ فَمَن شاءَ أنْ يَتَّعِظَ بِهِ اتَّعَظَ , ثُمَّ رَدَّ سُبْحانَهُ المَشِيئَةَ إلى نَفْسِهِ فَقالَ:

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ قالَ مُقاتِلٌ: إلّا أنْ يَشاءَ اللَّهُ لَهُمُ الهُدى

﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ۝٥٦﴾ أيْ هو الحَقِيقُ بِأنْ يَتَّقِيَهُ المُتَّقُونَ بِتَرْكِ مَعاصِيهِ والعَمَلِ بِطاعاتِهِ ﴿وأهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ أيْ هو الحَقِيقُ بِأنْ يَغْفِرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ما فَرَطَ مِنهم مِنَ الذُّنُوبِ والحَقِيقُ بِأنْ يَقْبَلَ تَوْبَةَ التّائِبِينَ مِنَ العُصاةِ فَيَغْفِرَ ذُنُوبَهم

﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ۝٥٦﴾ فِيهِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: هو أهْلٌ أنْ تُتَّقى مَحارِمُهُ، وأهْلٌ أنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ، قالَهُ قَتادَةُ.

الثّانِي: هو أهْلٌ أنْ يُتَّقى أنْ يُجْعَلَ مَعَهُ إلَهٌ غَيْرُهُ، وأهْلٌ لِمَنِ اتَّقاهُ أنْ يَغْفِرَ لَهُ، وهَذا مَعْنى قَوْلٍ رَواهُ أنَسٌ مَرْفُوعًا.

الثّالِثُ: هو أهْلٌ أنْ يُتَّقى عَذابُهُ وأهْلٌ أنْ يُعْمَلَ بِما يُؤَدِّي إلى مَغْفِرَتِهِ.

ويَحْتَمِلُ رابِعًا: أهْلُ الِانْتِقامِ والإنْعامِ

فوائد الآيات في السورة

١- التكبير من العبادات التي يحبها الله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾

٢- الله تعالى يحب التوابين والمتطهرين ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾

٣- لابد للمؤمن أن يصبر على مشقة الطاعات وشهوة المعاصي ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾

٤- يوم القيامة يوم صعب وعسير لا سيما على الكافرين

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

٥- الله تعالى يتوعد أهل الترف من الكافرين كما توعد الوليد بن المغيرة

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾

٦- الكافر شخص قليل الحياء برغم كفره يريد ويرغب في المزيد من النعيم في الدنيا والآخرة

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥﴾

٧- أهل الباطل بارعون دائماً في المكر والكيد للمؤمنين

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾

٨- ذكر الله تعالى عدد خزنة جهنم ليكون ذلك فتنة للكفار والمنافقين على حدٍ سواء , ويكون تصديقاً لما جاء في كتب أهل الكتاب وفي ذلك دليل على نبوته ﷺ

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

٩- أهم أربعة أسباب لدخول جهنم ترك الصلاة وترك الزكاة والحديث بالباطل مع أهل الضلالة واطلاق اللسان بالكذب والبهتان والزور والكلام في أعراض المسلمين والتكذيب بيوم القيامة

مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ

١٠- ستكون هناك عدة شفاعات , شفاعة للملائكة وشفاعة الأنبياء , وشفاعة المؤمنين , وشفاعة رب العالمين ورغم كل تلك الشفاعات فلن يستفيد منها الكافر ولن تُنجيه من النار

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾

١١- الكافر لا يخاف الآخرة ولا يعمل لها حساباً

كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾

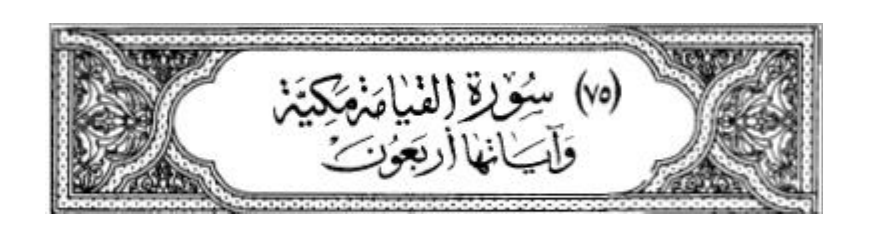
١٢- أعظم موعظة هي القرآن الكريم

كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾

١٣- الهداية بيد الله تعالى

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة المدثر



سورة القيامة

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٤٠) آية وعدد كلماتها (١٨٠) كلمة وعدد حروفها (٦٦٤) حرفا

موضوعات السورة

سورة القيامة مكية، وهي تعالج موضوع (البعث والجزاء) الذي هو أحد أركان الإيمان، وتركز بوجه خاص على القيامة وأهوالها، والساعة وشدائدها، وعن حالة الإنسان عند الاحتضار، وما يلقاه الكافر في الآخرة من المصاعب والمتاعب، ولذلك سميت سورة القيامة.

*ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة، على أن البعث حق لا ريب فيه

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤

*ثم ذكرت طرفا من علامات ذلك اليوم المهول، الذي يعصف فيه القمر، ويتحير فيه البصر، ويجمع فيه الخلائق والبشر للحساب والجزاء

فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢

*وتحدثت السورة عن اهتمام الرسول بضبط القرآن عند تلاوة جبريل عليه، فقد كان صلى الله عليه وسلم يجهد نفسه في متابعة جبريل، ويحرك لسانه معه ليسرع في حفظ ما يتلوه، فأمره تعالى أن يستمع للتلاوة ولا يحرك لسانه به

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩

* وذكرت السورة انقسام الناس في الآخرة إلى فريقين: سعداء وأشقياء، فالسعداء وجوههم مضيئة تتلألأ بالأنوار، ينظرون إلى الرب جل وعلا، والأشقياء وجوههم مظلمة قاتمة يعلوها الذل والقترة

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥

*ثم تحدثت السورة عن حال المرء وقت الاحتضار، حيث تكون الأهوال والشدائد، ويلقى الإنسان من الكرب والضيق ما لم يكن في الحسبان

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ

*وختمت السورة الكريمة باثبات الحشر والمعاد، بالأدلة والبراهين العقلية

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١

اللغة ومعاني الكلمات

﴿ لَآ أُقْسِمُ ۝١ أحْلِفُ[١]

وَلَآ أُقْسِمُ ۝٢ وأحْلِفُ

ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ النَّفْسِ الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا على تَرْكِ الطّاعاتِ وفِعْلِ السَّيئاتِ

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ ۝٣ أيَظُنُّ

أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ أن لَن نَّقْدِرَ على جَمْعِ عِظامِهِ بَعْدَ تَفَرُّقِها

بَلَىٰ ۝٤ بَلْ سَنَجْمَعُها

---

(١) الميسر في الغريب

نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ نجْعَلَ أَصابعَ يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ شَيْئًا مُسْتَوِيًا؛ كَخُفِّ البَعِيرِ، أَوْ نُعِيدَ خَلْقَهَا كَمَا كَانَتْ[١]

لِيَفْجُرَ ﴿٥﴾ لِيَبْقى على فجُورِهِ

أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ فِيما يَسْتَقْبِلُ مِن أيامِ عُمُرِهِ

أَيَّانَ ﴿٦﴾ متَى؟

بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ تحَيَّرَ البَصَرُ وَدُهِش لأَهْوَالِ القِيامَةِ

وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وذَهَبَ نُورُ القَمَرِ

وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ قُرِنَ بَيْنَهُما فِي الطُّلُوعِ مِنَ المَغْرِبِ مُظْلِمَيْنِ أو في ذَهابِ ضَوْئِهِما

كَلَّا ﴿١١﴾ ليسَ الأمرُ كما تَتَمَنّاهُ.

لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَى لَهُ مِنَ اللهِ

ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ مَصِيرُ الخلائِقِ يومَ القِيامةِ أو المَرْجِعُ، وَالمَصِيرُ

بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بجَمِيعِ أعْمالِهِ: مِن خَيرٍ وشَرٍّ، ما قدَّمَهُ مِنها في حياتِهِ وما أخَّرَهُ.

عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ بَصِيرٌ بِنَفْسِه، يعلَمُ اسْتِحْقاقَهُ لِلْعِقابِ ، شَاهِدٌ تَنْطِقُ جَوَارِحُهُ بعَمَلِهِ

وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَوْ جَاءَ بِكُلِّ مَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُ بِهَا، مَا قُبِلَتْ او حتّى في حِينِ إخْبارِهِ باعْتِذاراتِهِ الكاذِبةِ[٢]

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ لا تُحَرِّكْ -أيُّها النَّبِيُّ- بالقُرآنِ لِسانَكَ حتّى نُزُولِ الوحْيِ؛ لِأَجْلِ أن تَتَعَجَّلَ بِحِفْظِهِ، مخافَةَ أن يَتَفَلَّتَ مِنكَ.

---

(١) القرآن تدبر وعمل

(٢) الميسر في الغريب

﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ لِتَسْتَعْجِلَ حِفْظَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ

جَمْعَهُۥ ﴿١٧﴾ فِي صَدْرِكَ.

وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ قِرَاءَتَهُ بِلِسَانِكَ مَتَى شِئْتَ.

فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴿١٨﴾ فَإذا قَرَأَهُ عَلَيكَ رَسُولُنا جِبْرِيلُ

فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ اسْتَمِعْ لِقِرَاءَتِهِ مِنْ جِبْرِيلَ، ثُمَّ اقْرَأْهُ كَمَا أَقْرَأَكَ.

بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ تَفْسِيرَ مَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ فَهْمُهُ مِن مَّعانِيهِ وأَحْكامِهِ

كَلَّا ﴿٢٠﴾ ليسَ الأمرُ كَما زَعَمْتُم أن لّا بَعْث ولا جَزاءَ

ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ الدُّنيا وزِينَتَها

التفسير

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ إدْخالُ لا النّافِيَةِ عَلى فِعْلِ القَسَمِ لِلتَّأْكِيدِ شائِعٌ في كَلامِهِمْ [١] وافْتِتاحُ السُّورَةِ بِالقَسَمِ مُؤْذِنٌ بِأنَّ ما سَيُذْكَرُ بَعْدَهُ أمْرٌ مُهِمٌّ لِتَسْتَشْرِفَ لَهُ نَفْسُ السّامِعِ[٢] وكَوْنُ القَسَمِ بِيَوْمِ القِيامَةِ بَراعَةُ اسْتِهْلالٍ لِأنَّ غَرَضَ السُّورَةِ وصْفُ يَوْمِ القِيامَةِ.

وفِيهِ أيْضًا كَوْنُ المُقْسَمِ بِهِ هو المُقْسَمَ عَلى أحْوالِهِ تَنْبِيهًا عَلى زِيادَةِ مَكانَتِهِ عِنْدَ المُقْسِمِ , والمراد: أقسم بيوم القيامة[٣]

(١) تفسير البيضاوي

(٢) التنوير والتحرير ابن عاشور

(٣) البسيط للواحدي

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ أنَّهُ تَعالى أقْسَمَ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ كَما أقْسَمَ بِيَوْمِ القِيامَةِ فَيَكُونانِ قَسَمَيْنِ، قالَهُ قَتادَةُ[١]

وَفي وصْفِها بِاللَّوّامَةِ أنَّها صِفَةُ مَدْحٍ، فَلَهم في تَأْوِيلِها ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: أنَّها الَّتِي تَلُومُ عَلى ما فاتَ وتَنْدَمُ، قالَهُ مُجاهِدٌ، فَتَلُومُ نَفْسَها عَلى الشَّرِّ لِمَ فَعَلَتْهُ، وعَلى الخَيْرِ أنْ لَمْ تَسْتَكْثِرْ مِنهُ.

الثّانِي: أنَّها ذاتُ اللَّوْمِ، حَكاهُ ابْنُ عِيسى.

الثّالِثُ: أنَّها الَّتِي تَلُومُ نَفْسَها بِما تَلُومُ عَلَيْهِ غَيْرَها.

فَعَلى هَذِهِ الوُجُوهِ الثَّلاثَةِ تَكُونُ اللَّوّامَةُ بِمَعْنى اللّائِمَةِ

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ أيظنّ ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرّقها.

أسباب النزول

نَزَلَتْ في عَدِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، وذَلِكَ أنَّهُ أتى النَّبِيَّ ﷺ فَقالَ: حَدِّثْنِي عَنْ يَوْمِ القِيامَةِ مَتى يَكُونُ ؟ وكَيْفَ أمْرُها وحالُها ؟ فَأخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقالَ: لَوْ عايَنْتُ ذَلِكَ اليَوْمَ لَمْ أُصَدِّقْكَ يا مُحَمَّدُ، ولَمْ أُومِن بِهِ، أوَيَجْمَعُ اللَّهُ هَذِهِ العِظامَ ؟ فَأنْزَلَ اللَّهُ تَعالى هَذِهِ الآيَةَ[٢]

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ بلى قادرين على أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئا واحدا كخفّ البعير، أو حافر الحمار، فكان لا

---

(١) تفسير الماوردي

(٢) اسباب النزول للواحدي

يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط، فحسن خلقه[١]

وَقَالَ الزَّجَّاجُ وَابْنُ قُتَيْبَةَ: مَعْنَاهُ: ظَنَّ الْكَافِرُ أَنَا لَا نَقْدِرُ عَلَى جَمْعِ عِظَامِهِ، بَلَى نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُعِيدَ السُّلَامَيَاتِ عَلَى صِغَرِهَا، فَنُؤَلِّفُ بَيْنَهَا حَتَّى نُسَوِّيَ الْبَنَانَ، فَمَنْ قَدَرَ عَلَى جَمْعِ صِغَارِ الْعِظَامِ فَهُوَ عَلَى جَمْعِ كِبَارِهَا أَقْدَرُ[٢]

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ لَا يَجْهَلُ ابْنُ آدَمَ أَنَّ رَبَّهُ قَادِرٌ عَلَى جَمْعِ عِظَامِهِ لَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَفْجُرَ أَمَامَهُ، أَيْ: يَمْضِي قُدُمًا عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ مَا عَاشَ رَاكِبًا رَأْسَهُ لَا يَنْزِعُ عَنْهَا وَلَا يَتُوبُ، هَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَعِكْرِمَةَ، وَالسُّدِّيِّ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: "لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ" يُقْدِمُ عَلَى الذَّنْبِ وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ، فَيَقُولُ: سَوْفَ أَتُوبُ، سَوْفَ أَعْمَلُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ عَلَى شَرِّ أَحْوَالِهِ وَأَسْوَأِ أَعْمَالِهِ

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ: يُكَذِّبُ بِمَا أَمَامَهُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ. وَأَصْلُ "الْفُجُورِ" الْمَيْلُ، وَسُمِّيَ الْفَاسِقُ وَالْكَافِرُ: فَاجِرًا، لِمَيْلِهِ عَنِ الْحَقِّ.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ أَيْ: مَتَى هُوَ؟ تَكْذِيبًا بِهِ، وهَذا هو الكافِرُ[٣]يسأل متى يقوم يوم القيامة، سؤال استبعاد واستهزاء[٤]

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ فزع وتحير، من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره ، والعرب تقول للإنسان المبهوت قد برق فهو برق

---

(١) تفسير الطبري
(٢) تفسير البغوي
(٣) تفسير ابن الجوزي
(٤) فتح البيان للقنوجي

وقرىء بفتح الراء أي لمع بصره من شدة شخوصه للموت

قالَ المُفَسِّرُونَ: يَشْخَصُ بَصَرُ الكافِرِ يَوْمَ القِيامَةِ، فَلا يَطْرِفُ لِما يَرى مِنَ العَجائِبِ الَّتِي كانَ يُكَذِّبُ بِها فِي الدُّنْيا.

وقالَ مُجاهِدٌ: بَرِقَ البَصَرُ عِنْدَ المَوْتِ ، حيث يَشْخَصَ ويفْتَحَ عَيْنَهُ عِنْدَ مُعايَنَةِ مَلَكِ المَوْتِ فَزَعًا

وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ قالَ أبُو عُبَيْدَةَ: كَسَفَ وخَسَفَ بِمَعْنًى واحِدٍ، أيْ: ذَهَبَ ضَوْؤُهُ

وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ فِيهِ ثلاثة أوْجُهٍ:

أحَدُها: أنَّهُ جَمَعَ بَيْنَهُما في طُلُوعِهِما مِنَ المَغْرِبِ [أسْوَدَيْنِ مُكَوَّرَيْنِ] مُظْلِمَيْنِ مُقْرَنَيْنِ.

الثّانِي: جَمَعَ بَيْنَهُما في ذَهابِ ضَوْئِهِما بِالخُسُوفِ لِتَكامُلِ إظْلامِ الأرْضِ عَلى أهْلِها، حَكاهُ ابْنُ شَجَرَةَ.

الثّالِثُ: جَمَعَ بَيْنَهُما في البَحْرِ حَتّى صارا نارَ اللَّهِ الكُبْرى(١)

وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار(٢)

يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ أيْ أيْنَ المَهْرَبُ وَيَحْتَمِلُ وجْهَيْنِ:

أحَدُهُما :﴿أيْنَ المَفَرُّ﴾ مِنَ اللَّهِ اسْتِحْياءً مِنهُ.

الثّانِي :﴿أيْنَ المَفَرُّ﴾ مِن جَهَنَّمَ حَذَرًا مِنها

كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ (كلا) للردع عن طلب الفرار أو لنفي ما قبلها أو بمعنى حقاً (لا وزر) أي لا سلاح ولا جبل ولا حصن ولا ملجأ يتحصن به من الله

وفِيهِ أرْبَعَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: أيْ لا مَلْجَأ مِنَ النّارِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

---

(١) تفسير الماوردي

(٢) فتح البيان للقنوجي

الثّانِي: لا حِصْنَ، قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ.

الثّالِثُ: لا جَبَلَ، قالَهُ الحَسَنُ.

الرّابِعُ: لا مَحِيصَ، قالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢﴾ أي إليه المرجع والمنتهى والمصير لا إلى غيره

و فِيهِ وجْهانِ:

أحَدُهُما: أنَّ المُسْتَقَرَّ المُنْتَهى، قالَهُ قَتادَةُ.

الثّانِي: أنَّهُ اسْتِقْرارُ أهْلِ الجَنَّةِ في الجَنَّةِ، وأهْلِ النّارِ في النّارِ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣﴾ أي يخبر يوم القيامة بما عمل من خير وشر، وقال قتادة: بما عمل من طاعة الله وما أخر من طاعته فلم يعمل بها، وقال زيد ابن أسلم: بما قدم من أمواله وما خلف للورثة،

وقال مجاهد: بأول عمله وآخره،

وقال الضحاك: بما قدم من فرض وأخر من فرض.

قال القشيري: هذا الإنباء يكون يوم القيامة عند وزن الأعمال، ويجوز أن يكون عند الموت،

قال القرطبي: والأول أظهر،

قال ابن مسعود: بما قدم من عمل وأخر من سنة عمل بها من بعده من خير أو شر،

وعن ابن عباس نحوه، وعنه قال: بما قدم من معصية وآخر من طاعة فينبأ بذلك[١]

﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤﴾ المَعْنى: إنَّ جَوارِحَهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِما عَمِلَ كَما في قَوْلِهِ :﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهم وأيْدِيهِمْ وأرْجُلُهم بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾

---

(١) فتح البيان للقنوجي

وقالَ الحَسَنُ: أيْ بَصِيرٌ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ[١]

﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ أيْ ولَوِ اعْتَذَرَ وجادَلَ عَنْ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ

قالَ الفَرّاءُ: أيْ وإنِ اعْتَذَرَ فَعَلَيْهِ مَن يُكَذِّبُ عُذْرَهُ

وقيل أن المعاذير: الستور، أي الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا، حين يفعل القبائح[٢]

﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ ولِسانَهُ بِالقُرْآنِ إذا أُنْزِلَ عَلَيْهِ قَبْلَ فَراغِ جِبْرِيلَ مِن قِراءَةِ الوَحْيِ حِرْصًا عَلى أنْ يَحْفَظَهُ ﷺ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: أيْ لا تُحَرِّكْ بِالقُرْآنِ لِسانَكَ عِنْدَ إلْقاءِ الوَحْيِ لِتَأْخُذَهُ عَلى عَجَلٍ مَخافَةَ أنْ يَتَفَلَّتَ مِنكَ، ومِثْلُ هَذا قَوْلُهُ :﴿ولا تَعْجَلْ بِالقُرْآنِ مِن قَبْلِ أنْ يُقْضى إلَيْكَ وحْيُهُ﴾ (طه: ١١٤)

﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره، فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله والمعنى نجمعه في صَدْرِكَ حَتّى لا يَذْهَبَ عَلَيْكَ مِنهُ شَيْءٌ وقُرْآنُهُ أيْ إثْباتُ قِراءَتِهِ في لِسانِكَ.

﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨﴾ أي إذا قرأه جبريل،(فجعل قراءة جبريل قراءة الله؛ لأنها من عنده) والمعنى اذا أتْمَمْنا قِراءَتَهُ عَلَيْكَ بِلِسانِ جِبْرِيلَ ﴿فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أيْ اسمع قِراءَتَهُ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ أيْ تَفْسِيرَ ما فِيهِ مِنَ الحَلالِ والحَرامِ وبَيانَ ما أشْكَلَ مِنهُ وتبيان معانيه وأحكامه

قالَ الزَّجّاجُ: المَعْنى عَلَيْنا أنْ نُنْزِلَهُ عَلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا فِيهِ بَيانٌ لِلنّاسِ.

وقِيلَ المَعْنى: إنَّ عَلَيْنا أنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسانِكَ.

---

(١) فتح القدير للشوكاني

(٢) تفسير ابن جزي

﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ٢٠﴾ أي تحبون الدنيا، وهذا الخطاب توبيخ للكفار، بحب العاجِلَةِ وتَرْكِ الِاهْتِمامِ بالآخِرَةِ ومن كان على مثل حالهم في حب الدنيا، وكلا ردع عن ذلك.

وقيل (كَلّا) هي رَدْعٌ لِمَن لا يُؤْمِنُ بالقُرْآنِ وبِكَوْنِهِ بَيِّنًا مِنَ الكُفّارِ.

قالَ عَطاءٌ: أيْ لا يُؤْمِنُ أبو جَهْلٍ بِالقُرْآنِ وبَيانِهِ.

﴿وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ٢١﴾ أيْ: إنَّمَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمُخَالَفَةِ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الْحَقِّ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا هِمَّتُهُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ، وَهُمْ لَاهُونَ مُتَشَاغِلُونَ عَنِ الْآخِرَةِ[1]

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ٢٥ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾

اللغة ومعاني الكلمات

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ وُجوهُ أهلِ السَّعادةِ.

﴿يَوۡمَئِذٖ ٢٢﴾ يومَ القيامةِ

(١) تفسير ابن كثير

نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ مُشْرِقَةٌ، حَسَنَة مُتَأَلِّقَةٌ

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ تَنْظُرُ إلى خالِقِها فَتَتَمَتَّعُ بِذَلِك فِي الجَنَّةِ

وَوُجُوهٌ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ووُجُوهُ الأَشْقِياءِ

يَوۡمَئِذِۭ ﴿٢٤﴾ يومَ القيامةِ

بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ عَابِسَةٌ، كَالِحَةٌ.

تَظُنُّ ﴿٢٥﴾ تَتَوقَّعُ

فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ تَقْصِمُ فَقَارَ الظَّهْرِ

كَلَّآ ﴿٢٦﴾ حَقًّا.

بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَصَلَتِ الرُّوحُ إِلَى الحلقوم أَعَالِي الصَّدْرِ

وَقِيلَ ﴿٢٧﴾ وقالَ بَعْضُ الحاضِرِينَ لِبَعْضٍ

وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ هَلْ مِنْ رَاقٍ يَرْقِيهِ، وَيَشْفِيهِ؟

وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وأَيْقَنَ المُحْتَضِرُ

أَنَّهُ ﴿٢٨﴾ الأمرَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ.

ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ فراقُ الدُّنيا؛ لِمُعايَنَتِهِ مَلائِكَةَ المَوْتِ

وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ واتَّصَلَتْ شِدَّةُ آخِرِ الدُّنيا بِشِدَّةِ أَوَّلِ الآخِرَةِ

ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ سَوْقُ العِبادِ لِلْجَزاءِ , المَرْجِعُ

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ فلا آمنَ الكافِرُ بالرَّسُولِ ﷺ والقرآنِ

وَلَٰكِن كَذَّبَ ﴿٣٢﴾ بالقرآنِ

وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ أَعْرَضَ عَنِ الإيمانِ

يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ يَتَبَخْتَرُ مُخْتالًا في مِشْيَتِهِ

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ٣٤﴾ هَلاكٌ لَكَ.

﴿فَأَوْلَىٰ ٣٤﴾ فَهَلاكٌ

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ٣٥﴾ كَلِمَةُ وَعِيدٍ، أَيْ: هَلاكٌ لَكَ فَهَلاكٌ.

﴿الْإِنسَانُ ٣٦﴾ هو المُنْكِرُ لِلْبَعْثِ.

﴿سُدًى ٣٦﴾ هَمَلاً لاَ يُؤْمَرُ، وَلاَ يُحَاسَبُ

﴿نُطْفَةً ٣٧﴾ ماءً قَلِيلًا

﴿مَّنِيٍّ ٣٧﴾ ماءِ الرَّجُلِ.

﴿يُمْنَىٰ ٣٧﴾ يُصَبُّ فِي الرَّحِمِ.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨﴾

﴿عَلَقَةً ٣٨﴾ قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ

﴿فَسَوَّىٰ ٣٨﴾ عَدَّلَ خَلْقَهُ، وَأَعْضَاءَهُ فعَدَّلَ صُورَتَهُ وقَوَّمَها في أحْسَنِ تَقْوِيمٍ

﴿الزَّوْجَيْنِ ٣٩﴾ الصِّنْفَيْنِ

﴿يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ٤٠﴾ يُعِيدُ الخلْقَ بَعْدَ فَنائِهِم

التفسير

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ مِنَ النَّضَارَةِ، أَيْ حَسَنَةٌ بَهِيَّة مُشْرِقَةٌ مَسْرُورَةٌ

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ أَيْ: تَرَاهُ عَيَانًا، كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي صَحِيحِهِ: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانا."

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: "إِنَّكُمْ تَرون رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغلبوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس ولا قبل غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا"[١]

وعَنْ مُجَاهِدٍ :﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فَقَالَ تَنْتَظِرُ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّهَا

﴿وَوُجُوهٌ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ٢٤﴾ هَذِهِ وُجُوهُ الْفُجَّارِ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَاسِرَةً.

قَالَ قَتَادَةُ: كَالِحَةٌ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: تَغَيَّرَ أَلْوَانُهَا.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ ﴿بَاسِرَةٌ﴾ أَيْ: عَابِسَةٌ.

﴿تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ٢٥﴾ أَيْ: تَسْتَيْقِنُ و تُوقِنُ وَتَعْلَمُ، ﴿أَنْ يُفعَل بِهَا فَاقِرَةٌ﴾

قَالَ مُجَاهِدٌ: دَاهِيَةٌ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: شَرٌّ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: تَسْتَيْقِنُ أَنَّهَا هَالِكَةٌ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تَظُنُّ أَنْ سَتَدْخُلُ النَّارَ

يُقَالُ: فَقَرَتْهُ الْفَاقِرَةُ: أَيْ كَسَرَتْ فَقَارَ ظَهْرِهِ[٢]

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦﴾ يَعْنِي بُلُوغَ الرُّوحِ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلى التَّرَاقِي، وهي أعْلَى الصَّدْرِ، واحِدُها تَرْقُوَةٌ. فَأَخْبَرَ عَمَّا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ، لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ بِهِ

﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أوْجُهٍ:

أَحَدُها: قالَ أهْلُهُ: مَن راقٍ يَرْقِيهِ بِالرُّقى وأسْماءِ اللَّهِ الحُسْنى، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّانِي: مَن طَبِيبٌ شافٍ،

---

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير القرطبي

الثّالِثُ: قالَ المَلائِكَةُ: مَن راقٍ يَرْقى بِرُوحِهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ أوْ مَلائِكَةُ العَذابِ، رَواهُ أبُو الجَوْزاءِ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ[١]

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾ أيْ تَيَقَّنَ أنَّهُ مُفارِقٌ الدُّنْيا

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ فِيهِ أرْبَعَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: اتِّصالُ الدُّنْيا بِالآخِرَةِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

الثّانِي: الشِّدَّةُ بِالشِّدَّةِ والبَلاءُ بِالبَلاءِ، وهو شِدَّةُ كَرْبِ المَوْتِ بِشِدَّةِ هَوْلِ المَطْلَعِ، قالَهُ عِكْرِمَةُ ومُجاهِدٌ

الثّالِثُ: التَفَّتْ ساقاهُ عِنْدَ المَوْتِ (في الكفن)، وحَكى ابْنُ قُتَيْبَةَ عَنْ بَعْضِ المُفَسِّرِينَ أنَّ التِفافَ السّاقِ بِالسّاقِ عِنْدَ المِيثاقِ،

قالَ الحَسَنُ: ماتَتْ رِجْلاهُ فَلَمْ تَحْمِلاهُ وقَدْ كانَ عَلَيْهِما جَوّالًا.

الرّابِعُ: أنَّهُ اجْتَمَعَ أمْرانِ شَدِيدانِ عَلَيْهِ: النّاسُ يُجَهِّزُونَ جَسَدَهُ، والمَلائِكَةُ يُجَهِّزُونَ رُوحَهُ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ والمعنى السُّوق، فَإِنَّهُ يساق إِمَّا فِي الْجَنَّة، وَإِمَّا إِلَى النَّار بِأَمْر الله تَعَالَى[٢]

فِيهِ وجْهانِ:

أحَدُهُما: المُنْطَلَقُ، قالَهُ خارِجَةُ.

الثّانِي: المُسْتَقَرُّ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١﴾ نزلت في أبِي جَهْلٍ، وفِيهِ وجْهانِ:

أحَدُهُما: فَلا صَدَّقَ بِكِتابِ اللَّهِ ولا صَلّى لِلَّهِ، قالَهُ قَتادَةُ.

---

(١) تفسير الماوردي

(٢) تفسير السمعاني

الثّانِي: فَلا صَدَّقَ بِالرِّسالَةِ ولا آمَنَ بِالمُرْسَلِ، وهو مَعْنى قَوْلِ الكَلْبِيِّ.
وَيَحْتَمِلُ ثالِثًا: فَلا آمَنَ بِقَلْبِهِ ولا عَمَلَ بِبَدَنِهِ
وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ أَي: كذب بآيات الله، وَأعْرض عَن الْحق
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَي: يتبختر.
ومشية الْمُطَيْطَاء هِيَ مشْيَة التَّبَخْتُر.
وَقيل: هُوَ أَن يولي مطاؤه، والمطا الظّهْر.
وَفِي بعض التفاسير: أَنه مشْيَة بني مَخْزُوم.
وَقيل: التمطي: هُوَ التمدد من كسل أَو مرض، فَأَما من الْمَرَض فَهُوَ غير مَذْمُوم،
وَأما من الكسل إِذا كَانَ تثاقلا عَن الْحق فَهُوَ مَذْمُوم.
أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ أيْ ولِيَكَ الوَيْلَ

اسباب النزول

قالَ الواحِدِيُّ: قالَ المُفَسِّرُونَ» :أخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِ أبِي جَهْلٍ، ثُمَّ قالَ: ﴿أوْلى لَكَ فَأوْلى﴾ فَقالَ أبُو جَهْلٍ: بِأيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي لا تَسْتَطِيعُ أنْتَ ولا رَبُّكَ أنْ تَفْعَلا بِي شَيْئًا، وإنِّي لَأعَزُّ أهْلِ هَذا الوادِي، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ[١]

ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾)فأولى) أي فهو أولى بك من غيرك، فدلت الأولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه، ودلت الثانية على الدعاء عليه بأن يكون أقرب إليه من غيره[٢]

---

(١) فتح القدير للشوكاني
(٢) فتح البيان للقنوجي

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أيْ هَمَلًا لا يُؤْمَرُ ولا يُنْهى ولا يُحاسَبُ ولا يُعاقَبُ

وقِيلَ المَعْنى: أيَحْسَبُ أنْ يُتْرَكَ في قَبْرِهِ كَذَلِكَ أبَدًا لا يُبْعَثُ

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ أي ألم يك ذلك الإنسان قطرة من مني تراق وتصب في الرحم، وسمي المني منياً لإراقته، والنطفة الماء القليل

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ يَعْنِي أنَّهُ كانَ بَعْدَ النُّطْفَةِ عَلَقَةً

﴿فَخَلَقَ فَسَوّى﴾ أيْ فَجَعَلَ فِيهِ الرُّوحَ فَسَوَّى خَلْقَهُ [١]

ويَحْتَمِلُ وجْهَيْنِ.

أحَدُهُما: خَلَقَ مِنَ الأرْحامِ قَبْلَ الوِلادَةِ وسَوّى بَعْدَها عِنْدَ اسْتِكْمالِ القُوَّةِ وتَمامِ الحَرَكَةِ.

الثّانِي: خَلَقَ الأجْسامَ وسَوّاها لِلْأفْعالِ، فَجَعَلَ لِكُلِّ جارِحَةٍ عَمَلًا، واَللَّهُ أعْلَمُ[٢]

فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ خَلَقَ مِنْ مَائِهِ أَوْلَادًا ذُكُورًا وَإِنَاثًا

أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ الَّذِي فَعَلَ هَذَا ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾

وعن إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا: "أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ] "التين: ٨ [فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَمَنْ قَرَأَ: "لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ" فَانْتَهَى إِلَى "أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى" فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَمَنْ قَرَأَ: "وَالْمُرْسَلَاتِ" فَبَلَغَ "فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ" فَلْيَقُلْ: "آمَنَّا بِاللَّهِ"

---

(١) تفسير البغوي

(٢) تفسير الماوردي

عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ فَكَانَ إِذَا قَرَأَ: "أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى" قَالَ: سُبْحَانَكَ بَلَى، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[1]

فوائد الآيات في السورة

١- عاتب نفسك قبل أن تندم على أعمالك

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾

٢- النفس البشرية لا سيما نفس الكافر مفطورة على حب الأمل وتسويف التوبة

﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾

٣- الكافر يستهزأ بالبعث والنشور حيث يسأل متى القيامة ولم يعد لها شيئاً

﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦﴾

٤- قل: اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت

﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾

٥- على العاقل أن يُكثر من عمل الصالحات حيث أن جوارحه ستشهد عليه ولَوِ اعْتَذَرَ وجادَلَ عَنْ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ

﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾

٦- كان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على القرآن الكريم ورغم ذلك أمره الله تعالى أن يتمهل ، وهذا يُعلمنا التمهل وعدم العجلة في كل شئ في حياتنا

﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾

---

[1] تفسير البغوي

٧- الكافر دائماً يُحب الدنيا ويعمل لها بكل جدٍ واجتهاد ولا يُعير للآخرة أدنى اهتمام ، ادع الله :﴿اللّٰهُمَّ لا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي﴾

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾

٨- الله تعالى يهب المؤمنين عطايا كثيرة في الآخرة ولعل أعظم هبة ومنحة وعطيه من الله تعالى أعطاها للمؤمنين هي رؤية الله تعالى

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

٩- عند الموت لا تنفع الرقية ولا ينفع الطب ، والمؤمن يسأل الله تعالى حسن الختام

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾

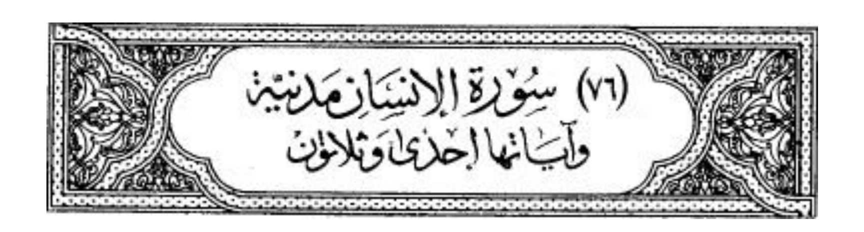
١٠-الايمان بالله تعالى وكتبه ورسله والصلاة من أعظم الأعمال التي تُدخل المؤمن الجنة ، ويكون تركها سبباً لدخول الكافر النار حيث يُكذب بالقرآن ويُعرض عن الايمان وفوق كل ذلك تراه يَتَبَخْتَرُ مُخْتالًا في مِشْيتِهِ

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾

١١-الله تعالى لن يترك العباد هملاً لا حساب ولا عقاب ، وهذا ظن الكافر

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة القيامة



سورة الانسان

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٣١) آية وعدد كلماتها (٢٧٨) كلمة وعدد حروفها (١٠٦٥) حرفا

موضوعات السورة

سورة الدهر من السور المدنية، وهي تعالج أمورا تتعلق بالآخرة، وبوجه خاص تتحدث عن نعيم المتقين الأبرار، في دار الخلد والإقامة في جنات النعيم، ويكاد يكون جو السورة هو جو السور المكية لإيحاءاتها وأسلوبها ومواضيعها المتنوعة.

*ابتدأت السورة الكريمة ببيان قدرة الله في خلق الإنسان في أطوار، وتهيئته ليقوم بما كلف به من أنواع العبادة، حيث جعل الله تعالى له السمع والبصر وسائر الحواس} ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢

*ثم تحدثت عن النعيم الذي أعده الله في الآخرة لأهل الجنة} إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦

*ثم ذكرت أوصاف هؤلاء السعداء بشيء من الاسهاب، فوصفتهم بالوفاء بالنذر،

وإطعام الفقراء ابتغاء مرضاة الله، والخوف من عذاب الله، وذكرت أن الله تعالى قد آمنهم من ذلك اليوم العبوس، الذي تكلح فيه الوجوه} يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩

*وأشادت بعد ذكر أوصافهم بما لهم عند الله من الأجر والكرامة في دار الإقامة، وبما حباهم الله من الفضل والنعيم يوم الدين} وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ۝١٤ *وتتابعت السورة في سرد نعيم أهل الجنة في مأكلهم، ومشربهم، وملبسهم، وخدمهم الذين يطوفون عليهم صباح مساء} وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ۝١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ۝١٩

*وختمت السورة الكريمة ببيان أن هذا القرآن تذكرة لمن كان له قلب يعي، أو فكر ثاقب يستضيء بنوره} إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ۝٣١ }

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

{ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ

بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢

اللغة ومعاني الكلمات

﴿ هَلۡ أَتَىٰ ١ قَدْ مَضَى[١]

حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ١ زَمَنٌ طَوِيلٌ قَبلَ أن تُنفَخَ فيه الرُّوحُ

لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ لمَ يكُنْ شيئًا يُذكرُ[٢]

﴿أَمْشَاجٍ ٢ ﴾ مِن نُّطْفَةٍ مُخْتَلِطَةٍ مِن مّاءِ الرَّجُلِ وماءِ المرأةِ.

﴿نَبْتَلِيهِ ٢ ﴾ نَخْتَبِرُهُ بِالأَوَامِرِ، وَالنَّوَاهِي بتكاليفِ الشَّريعةِ

(١) القرآن تدبر وعمل

(٢) الميسر في الغريب

﴿ هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ بيّنّا لَهُ طَريقَ الخَيْرِ، وَالشَّرِّ

﴿ كَفُورًا ﴾ :جاحِدًا

﴿ أَعْتَدْنَا ﴾ :أَعْدَدْنا

﴿ سَلَٰسِلَا۟ ﴾ قُيودًا مِنْ حَديدٍ تُشَدُّ بِهَا أَرْجُلُهُمْ.

﴿ وَأَغْلَٰلًا ﴾ تُغَلُّ وَتُجْمَعُ بِهَا أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ.

﴿ وَسَعِيرًا ﴾ نَارًا يُحْرَقُونَ بِهَا

﴿ ٱلْأَبْرَارَ ﴾ :أَهْلَ الطّاعةِ والإخلاصِ الَّذِينَ يُؤَدّونَ حقَّ اللهِ

﴿ مِن كَأْسٍ ﴾ إِنَاءِ شُرْبِ الخَمْرِ، وَفِيهَا خَمْرٌ[1]

﴿ مِزَاجُهَا ﴾ :ما خُلِطَ بالخَمْرِ لِتَخْفِيفِ حِدَّتِهِ.

﴿ كَافُورًا ﴾ :أَحْسَنَ أَنْواعِ الطِّيبِ وَهُوَ مَاءُ الكَافُورِ

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ يَشْرَبُونَ مُتَلَذِّذِينَ بِهَا.

﴿ عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ :هم الأبرارُ

﴿ يُفَجِّرُونَهَا ﴾ يُجْرُونَهَا إِجْرَاءً سَهْلاً حَيْثُ شَاؤُوا

﴿ تَفْجِيرًا ﴾ :إِجراءً سَهْلا

﴿ يُوفُونَ ﴾ :يُؤَدُّونَ وافيًا دُونَ نَقْصٍ ولا تَقْصيرٍ.

﴿ بِٱلنَّذْرِ ﴾ :ما أَوْجَبُوهُ على أَنْفُسِهِم مِن فِعْلِ الخيرِ المُتَقرَّبِ بِهِ إلى اللهِ.

﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا ﴾ :ويخافُونَ عِقابَ اللهِ يومَ القِيامةِ.

﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ :فَاشِيًا مُنْتَشِرًا عَلَى النَّاسِ.

---

(1) غريب القرآن للخضيري

﴿ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ٨ ﴾ :مَعَ حُبِّهِم لَهُ وحاجَتِهِم إِلَيهِ.

﴿ مِسۡكِينٗا ٨ ﴾ :مُحْتاجًا.

﴿ وَيَتِيمٗا ٨ ﴾ :وطِفْلًا ماتَ أبُوهُ ولا مالَ لَهُ.

﴿ وَأَسِيرًا ٨ ﴾ :الَّذِي تَمَّ أسْرُهُ فِي الحرْبِ

﴿ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ ٩ ﴾ :أبْتِغاءَ مَرْضاةِ اللّٰهِ.

﴿ جَزَآءٗ ٩ ﴾ :عِوَضًا

﴿ عَبُوسٗا ١٠ ﴾ تَكْلَحُ فِيهِ الوُجُوهُ لِهَوْلِهِ.

﴿ قَمۡطَرِيرٗا ١٠ ﴾ شَدِيدَ العُبُوسِ تَتَقَطَّبُ الجِباهُ مِن فَظاعَةِ أمْرِهِ

﴿ وَلَقَّىٰهُمۡ ١١ ﴾ أَعْطاهُمْ.

﴿ نَضۡرَةٗ ١١ ﴾ حُسْنًا وَنُورًا فِي وُجُوهِهِم.

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ١٣ ﴾ :جالِسِينَ على وجْهِ التَّمَكُّنِ والرّاحَةِ.

﴿ ٱلۡأَرَآئِكِۖ ١٣ ﴾ :الأَسِرَّةِ المزيَّنَةِ بفاخرِ الثِّيابِ والسُّتُورِ.

﴿ شَمۡسٗا ١٣ ﴾ :حرَّ شَمْسٍ؛ لِعَدَمِ وُجُودِها.

﴿ زَمۡهَرِيرٗا ١٣ ﴾ :شِدَّةَ بَرْدٍ.

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ١٤ ﴾ :وقَرِيبةً مِنهُم.

﴿ ظِلَٰلُهَا ١٤ ﴾ :أشْجارُ الجنَّةِ مُظَلِّلَةٌ عَليهِم.

﴿ وَذُلِّلَتۡ ١٤ ﴾ :وسُهِّلَ لَهُم.

﴿ قُطُوفُهَا ١٤ ﴾ :أخْذُ ثِمارِها.

﴿ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم ﴾ :ويدور عَليهِم الخَدمُ.

﴿ بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ ﴾ :بأواني الطَّعامِ وأَوْعِيَتِهِ الفِضِّيَّة

﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴾ مِنَ الزُّجَاجِ.

﴿ قَدَّرُوهَا ﴾ قَدَّرهَا السُّقَاةُ عَلَى مِقْدَارِ مَا يَشْتَهِي الشَّارِبُون

﴿ كَأۡسٗا ﴾ إِنَاءً مَمْلُوءًا خَمْرًا.

﴿ مِزَاجُهَا ﴾ :ما تُخْلَطُ بِهِ

﴿ تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴾ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِسَلَاسَةِ شُرْبِهَا، وَسُهُولَةِ مَسَاغِهِ

﴿ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴾ غِلْمَانٌ لِلْخِدْمَةِ دَائِمُونَ عَلَى حَالِهِمْ.

﴿ لُؤۡلُؤٗا ﴾ كَاللُّؤْلُؤِ المُفَرَّقِ المُضِيءِ؛ لِحُسْنِهِمْ، وَصَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ

﴿ مَّنثُورٗا ﴾ :مُفَرَّقًا

وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ ﴾ وَإِذَا أَبْصَرتَ أَيَّ مَكَانٍ فِي الجَنَّة

﴿ عَٰلِيَهُمۡ ﴾ يَعْلُوهُمْ ويُجَمِّلُ أبْدانَهُم

﴿ ثِيَابُ سُندُسٍ ﴾ الحَرِيرُ الرَّقِيقُ الأَخْضَرُ؛ وَهَذَا بَاطِنُ الثِّيَابِ.

﴿ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ ﴾ الحَرِيرِ الغَلِيظِ؛ وَهَذَا ظَاهِرُ الثِّيَابِ

﴿ وَحُلُّوٓاْ ﴾ :وأُلْبِسُوا للزِّينَةِ.

﴿ أَسَاوِرَ ﴾ :جَمْعُ سِوارٍ، وهو ما يُلْبَسُ في المِعْصَمِ مِنَ الحُلِيِّ.

﴿ طَهُورًا ﴾ :لا رِجْسَ فِيهِ ولا دَنَس

﴿ سَعۡيُكُم ﴾ عَمَلُكُمُ الصَّالِحُ فِي الدُّنْيَا.

﴿ مَّشۡكُورًا ﴾ :مَرْضِيًّا عِنْدَ اللهِ مَقْبُولًا

فضل السورة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ " الم تَنزيلُ " السَّجْدَةَ، وَ " هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ" [١]

التفسير

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ أَوْجَدَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا يُذْكَرُ[٤] لِحَقَارَتِهِ وَضَعْفِهِ، فَقَالَ

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ① يَعْنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ أَرْبَعُونَ سَنَةً مُلْقًى مِنْ طِينٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ قَبْلَ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ لَا يُذْكَرُ ولا يعرف أَوَلَا يُدْرَى مَا اسْمُهُ وَلَا مَا يُرَادُ بِهِ، يُرِيدُ: كَانَ شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا، وَذَلِكَ مِنْ حِينِ خَلَقَهُ مِنْ طِينٍ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ [٢]

وعن ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ طِينٍ، فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ مِنْ صَلْصَالٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَتَمَّ خَلْقُهُ بَعْدَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً[٣]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ثُمَّ خَلَقَهُ بَعْدَ عِشْرِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ

---

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير البغوي

(٣) تفسير القرطبي

وَفي قَوْلِهِ تَعالى :﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ ثَلاثَةُ أقاوِيلَ: أحَدُها: أنَّهُ أرْبَعُونَ سَنَةً مَرَّتْ قَبْلَ أنْ يَنْفُخَ فِيهِ الرُّوحَ، وهو مُلْقًى بَيْنَ مَكَّةَ والطّائِفِ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ في رِوايَةِ أبِي صالِحٍ عَنْهُ.

الثّانِي: أنَّهُ خُلِقَ مِن طِينٍ فَأقامَ أرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ مِن حَمَأٍ مَسْنُونٍ أرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ مِن صَلْصالٍ أرْبَعِينَ سَنَةً، فَتَمَّ خَلْقُهُ بَعْدَ مِائَةٍ وعِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، وهَذا قَوْلُ ابْنِ عَبّاسٍ في رِوايَةِ الضَّحّاكِ.

الثّالِثُ: أنَّ الحِينَ المَذْكُورَ ها هُنا وقْتٌ غَيْرُ مُقَدَّرٍ وزَمانٌ غَيْرُ مَحْدُودٍ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ أيْضًا [1]

وَفي قَوْلِهِ ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ وجْهانِ:

أحَدُهُما: لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا في الخَلْقِ، وإنْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا مَذْكُورًا، قالَهُ يَحْيى بْنُ سَلامٍ.

الثّانِي: أيْ كانَ جَسَدًا مُصَوَّرًا تُرابًا وطِينًا، لا يُذْكَرُ ولا يُعْرَفُ، ولا يَدْرِي ما اسْمُهُ، ولا ما يُرادُ بِهِ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ فَصارَ مَذْكُورًا، قالَهُ الفَرّاءُ، وقُطْرُبٌ وثَعْلَبٌ.

وَقالَ مُقاتِلٌ: في الكَلامِ تَقْدِيمٌ وتَأْخِيرٌ، وتَقْدِيرُهُ: هَلْ أتى حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنِ الإنْسانُ شَيْئًا مَذْكُورًا، لِأنَّهُ خَلَقَهُ بَعْدَ خَلْقِ الحَيَوانِ كُلِّهِ ولَمْ يَخْلُقْ بَعْدَهُ حَيَوانًا

إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ يَعْنِي وَلَدَ آدَمَ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يَعْنِي: مَنِيِّ الرَّجُلِ وَمَنِيِّ الْمَرْأَةِ ﴿أَمْشاجٍ﴾ أخْلاطٍ، واحِدُها: مَشْجٌ ومَشِيجٌ،

---

(1) تفسير الماوردي

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ وَالرَّبِيعُ: يَعْنِي مَاءَ الرَّجُلِ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ يَخْتَلِطَانِ فِي الرَّحِمِ فَيَكُونُ مِنْهُمَا الْوَلَدُ، فَمَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ غَلِيظٌ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ، فَأَيُّهُمَا عَلَا صَاحِبَهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ عَصَبٍ وَعَظْمٍ فَهُوَ مِنْ نُطْفَةِ الرَّجُلِ، وَمَا كَانَ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وَشَعْرٍ فَمِنْ مَاءِ الْمَرْأَةِ

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَرَادَ بِالْأَمْشَاجِ اخْتِلَافَ أَلْوَانِ النُّطْفَةِ، فَنُطْفَةُ الرَّجُلِ بَيْضَاءُ وَحَمْرَاءُ وَصَفْرَاءُ، وَنُطْفَةُ الْمَرْأَةِ خَضْرَاءُ وَحَمْرَاءُ وَصَفْرَاء وَهِيَ رِوَايَةُ الْوَالِبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

و قَالَ الْكَلْبِيُّ: الْأَمْشَاجُ الْبَيَاضُ فِي الْحُمْرَةِ وَالصُّفْرَةِ.

وَقَالَ يَمَانٌ: كُلُّ لَوْنَيْنِ اخْتَلَطَا فَهُوَ أَمْشَاجٌ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ الْعُرُوقُ الَّتِي تَكُونُ فِي النُّطْفَةِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: نُطْفَةٌ مُشِجَتْ بِدَمٍ، وَهُوَ دَمُ الْحَيْضَةِ، فَإِذَا حَبِلَتِ ارْتَفَعَ الْحَيْضُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ أَطْوَارُ الْخَلْقِ نُطْفَةٌ، ثُمَّ عَلَقَةٌ، ثُمَّ مُضْغَةٌ، ثُمَّ [عَظْمًا] ثُمَّ يَكْسُوهُ لَحْمًا ثُمَّ يُنْشِئُهُ خَلْقًا آخَرَ[١]

نَبْتَلِيهِ﴾ أَيْ: نَخْتَبِرُهُ،

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أَيْ: جَعَلْنَا لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا يَتَمَكَّنُ بِهِمَا مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ[٢]

إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ أَيْ: بَيَّنَّاهُ لَهُ وَوَضَّحْنَاهُ وَبَصَّرْنَاهُ بِهِ والمعنى أي بَيَّنّا لَهُ وعَرَّفْناهُ طَرِيقَ الهُدى والضَّلالِ والخَيْرِ والشَّرِّ بأدلة السمع والعقل [١] وعرفناه السبيل ﴿إمّا شاكِرًا﴾ فَبِتَوْفِيقِنا ﴿وإمّا كَفُورًا﴾ فَبِسُوءِ اخْتِيارِهِ [٢]

---

(١) تفسير البغوي

(٢) تفسير ابن كثير

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾ هيَّأْنا ﴿لِلْكافِرينَ﴾ مِن أفْرادِ الإنْسانِ الَّذي هَدَيْناهُ السَّبيلَ ﴿سَلاسِلَ﴾ بِها يُقادُونَ ﴿وأغْلالا﴾ بِها يُقيَّدُونَ ﴿وسَعِيرًا﴾ بِها يُحْرَقُونَ

اعْلَمْ أنَّهُ تَعالى لَمّا ذَكَرَ الفَرِيقَيْنِ أتْبَعَهُما بِالوَعِيدِ والوَعْدِ

الِاعْتِدادُ هو إعْدادُ الشَّيْءِ حَتّى يَكُونَ عَتِيدًا حاضِرًا مَتى احْتِيجَ إلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعالى :﴿هَذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾]ق: ٢٣ [وأمّا السَّلاسِلُ فَتُشَدُّ بِها أرْجُلُهم، وأمّا الأغْلالُ فَتُشَدُّ بِها أيْدِيهِمْ إلى رِقابِهِمْ، وأمّا السَّعِيرُ فَهو النّارُ الَّتِي تُسَعَّرُ عَلَيْهِمْ فَتُوقَدُ فَيَكُونُونَ حَطَبًا لَها، وهَذا مِن أغْلَظِ أنْواعِ التَّرْهِيبِ والتَّخْوِيفِ[٣]

ثُمَّ إنَّهُ تَعالى ذَكَرَ ما أعَدَّ لِلشّاكِرِينَ المُوَحِّدِينَ فَقالَ:

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥﴾ الأبْرارُ جَمْعُ بَرٍّ، وهم الْمُؤْمِنِينَ الصّادِقِينَ فِي إيمَانِهِمُ الْمُطِيعِينَ لِرَبِّهِمْ[٤]

و في الأبْرارِ أقْوال:

أحَدُها: أنَّهُمُ الصّادِقُونَ، قالَهُ الكَلْبِيُّ.

الثّانِي: المُطِيعُونَ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

الثالث: سُمُّوا بِذَلِكَ لِأنَّهم بَرُّوا الآباءَ والأبْناءَ، قالَهُ ابْنُ عُمَرَ.

الرابع: لِأنَّهم كَفُّوا الأذى، قالَهُ الحَسَنُ.

الخامس: لِأنَّهم يُؤَدُّونَ حَقَّ اللَّهِ ويُوفُونَ بِالنَّذْرِ، قالَهُ قَتادَةُ.

ثُمَّ ذَكَرَ مِن أنْواعِ نَعِيمِهِمْ صِفَةَ مَشْرُوبِهِمْ، فَقالَ

---

(١) فتح البيان للقنوجي

(٢) تفسير الآلوسي

(٣) تفسير الرازي

(٤) تفسير البغوي

:﴿يَشْرَبُونَ من كَأْسٍ﴾ يَعْنِي يشربون فِي الْآخِرَةِ مِن إناءٍ فِيهِ الشَّرابُ، ولِهَذا قالَ ابْنُ عَبّاسٍ ومُقاتِلٌ: يُرِيدُ الخَمْرَ،

قالَ الضَّحّاكُ: كُلُّ كَأْسٍ في القُرْآنِ فَإنَّما عَنى بِهِ الخَمْرَ[١]

﴿كانَ مِزَاجُها كافُورًا﴾ قَالَ قَتَادَةُ: يُمْزَجُ لَهُمْ بِالْكَافُورِ وَيُخْتَمُ بِالْمِسْكِ[٢]

قَالَ عِكْرِمَةُ: "مِزَاجُهَا"طَعْمُهَا

وَفِي قَوْلِهِ ﴿كانَ مِزاجُها كافُورًا﴾ قَوْلانِ:

أحَدُهُما: أنَّ كافُورًا عَيْنٌ في الجَنَّةِ اسْمُها كافُورٌ، قالَهُ الكَلْبِيُّ.

الثّانِي: أنَّهُ الكافُورُ مِنَ الطِّيبِ فَعَلى هَذا في المَقْصُودِ مِنهُ في مِزاجِ الكَأْسِ بِهِ ثَلاثَةُ أقاوِيلَ: أحَدُها: بَرْدُهُ، قال الحَسَنُ: بِبَرْدِ الكافُورِ وطَعْمِ الزَّنْجَبِيلِ.

الثّانِي: بِرِيحِهِ، قالَهُ قَتادَةُ: مُزِجَ بِالكافُورِ وخُتِمَ بِالمِسْكِ.

الثّالِثُ: طَعْمُهُ، قالَ السُّدِّيُّ: كَأنَّ طَعْمَهُ طَعْمُ الكافُورِ

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ٦﴾ أي: ذلك الكأس (الشراب) اللذيذ الذي يشربون به، لا يخافون نفاده، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان[٣]سهلة التناول غزيرة لا تَنْضَب

﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أَيْ يقودونها حيث شاؤوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ، كَمَنْ يَكُونُ لَهُ نَهَرٌ يُفَجِّرُهُ هَاهُنَا وَهَاهُنَا إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ٧﴾ وفِيهِ قَوْلانِ.

أحَدُهُما: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ إذا نَذَرُوا في طاعَةِ اللَّهِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وعِكْرِمَةُ.

---

(١) تفسير الماوردي

(٢) فسير البغوي

(٣) تفسير السعدي

والثّانِي: يُوفُونَ بِما فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، قالَهُ قَتادَةُ. ومَعْنى "النَّذْرِ" في اللُّغَةِ: الإيجابُ. فالمَعْنى: يُوفُونَ بِالواجِبِ عَلَيْهِمْ ﴿وَيَخافُونَ يَوْمًا كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: فاشِيًا. وقالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: فاشِيًا مُنْتَشِرًا [1]

وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ فِيهِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: عَلى حُبِّ الطَّعامِ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

الثّانِي: عَلى شَهْوَتِهِ، قالَهُ الكَلْبِيُّ.

الثّالِثُ: عَلى قِلَّتِهِ، قالَهُ قُطْرُبٌ.

﴿مِسْكِينًا ويَتِيمًا وأسِيرًا﴾ وعن أبي سعيد الخدري " عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (مسكيناً) قال فقيراً (ويتيماً) قال لا أب له (وأسيراً) قال المملوك والمسجون " أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم[2]

و في الأسِيرِ ثَلاثَةُ أقاوِيلَ:

أحَدُها: أنَّهُ المَسْجُونُ المُسْلِمُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

الثّانِي: أنَّهُ العَبْدُ، قالَهُ عِكْرِمَةُ.

الثّالِثُ: أسِيرُ المُشْرِكِينَ، قالَهُ الحَسَنُ وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

قالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ثُمَّ نُسِخَ أسِيرُ المُشْرِكِينَ بِالسَّيْفِ، وقالَ غَيْرُهُ بَلْ هو ثابِتُ الحُكْمِ في الأسِيرِ بِإطْعامِهِ، إلّا أنْ يَرى الإمامُ قَتْلَهُ.

ويَحْتَمِلُ وجْهًا رابِعًا: أنْ يُرِيدَ بِالأسِيرِ النّاقِصَ العَقْلِ، لِأنَّهُ في أسْرِ خَبَلِهِ وجُنُونِهِ، وإنَّ أسْرَ المُشْرِكِينَ انْتِقامٌ يَقِفُ عَلى رَأْيِ الإمامِ وهَذا بِرٌّ وإحْسانٌ.

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ أي يقولون بلسان المقال أو بلسان الحال، أو قائلين إنما نطعمكم يعني أنهم لا يتوقعون المكافأة ولا

---

(1) تفسير ابن الجوزي

(2) فتح البيان للقنوجي

يريدون ثناء الناس عليهم بذلك، وهذا الوصف من باب التكميل، فقد وصفهم أولاً بالجود والبذل وكمله بأن ذلك عن إخلاص لا رياء فيه قال الواحدي قال المفسرون لم يتكلموا بهذا، ولكن علمه الله من قلوبهم فأثنى عليهم وعلم من ثنائه أنهم ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه قالَ مُجاهِدٌ: إنَّهم لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ، لَكِنْ عِلْمَهُ اللَّهُ مِنهم فَأثْنى عَلَيْهِمْ لِيَرْغَبَ في ذَلِكَ راغِبٌ.

﴿لا نُرِيدُ مِنكم جَزاءً ولا شُكُورًا﴾ جَزاءً بِالفِعالِ، وشُكُورًا بِالمَقالِ وقِيلَ إنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيمَن تَكَفَّلَ بِأسْرى بَدْرٍ، وهم سَبْعَةٌ مِنَ المُهاجِرِينَ أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعَلِيٌّ والزُّبَيْرُ وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وسَعِيدٌ وأبُو عُبَيْدَةَ[١]

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ أي نخاف عذاب يوم متصف بهاتين الصفتين ومعنى عبوساً أنه يوم تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته،

وفِيهِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: أنَّ العُبُوسَ الَّذِي يَعْبِسُ الوُجُوهُ مِن شَرِّهِ، والقَمْطَرِيرَ الشَّدِيدُ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

الثّانِي: أنَّ العُبُوسَ الضِّيقُ، والقَمْطَرِيرُ الطَّوِيلُ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ

الثّالِثُ: أنَّ العُبُوسَ بِالشَّفَتَيْنِ، والقَمْطَرِيرَ بِالجَبْهَةِ والحاجِبَيْنِ، فَجَعَلَها مِن صِفاتِ الوَجْهِ المُتَغَيِّرِ مِن شَدائِدِ ذَلِكَ اليَوْمِ

فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ أي دفع عنهم شره بسبب خوفهم منه وإطعامهم لوجهه، والفاء سببيه (ولقاهم نضرة وسروراً) أي أعطاهم بدل العبوس في الكفار نضرة في الوجوه وسروراً في القلوب بدل الخوف[٢]

---

(١) تفسير الماوردي

(٢) فتح البيان للقنوجي

قالَ الحَسَنُ النَّضْرَةُ مِنَ الوُجُوهِ، والسُّرُورُ في القُلُوبِ.

وَفي النَّضْرَةِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: أنَّها البَياضُ والنَّقاءُ، قالَهُ الضَّحّاكُ.

الثّانِي: أنَّها الحُسْنُ والبَهاءُ، قالَهُ ابْنُ جُبَيْرٍ.

الثّالِثُ: أنَّها أثَرُ النِّعْمَةِ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ أي بسبب صبرهم على التكاليف، وقيل على الفقر، وقيل على الجوع، وقيل على الصوم والأولى حمل الآية على الصبر على كل شيء يكون الصبر عليه طاعة لله سبحانه (جنة وحريراً) أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير، وهو لباس أهل الجنة عوضاً عن تركه في الدنيا امتثالاً لما ورد في الشرع من تحريمه

يَحْتَمِلُ وجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: بِما صَبَرُوا عَلى طاعَةِ اللَّهِ.

الثّانِي: بِما صَبَرُوا عَلى الوَفاءِ بِالنَّذْرِ

وَرَوَى ابْنِ عُمَرَ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الصَّبْرِ فَقالَ: (الصَّبْرُ أرْبَعَةٌ: أوَّلُها الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، وَالصَّبْرُ عَلَى أداءِ الفَرائِضِ، وَالصَّبْرُ عَلَى اجْتِنابِ مَحارِمِ اللَّهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى المَصائِبِ)[1]

﴿جَنَّةً وحَرِيرًا﴾ فِيهِ وجْهانِ:

أحَدُهُما: جَنَّةً يَسْكُنُونَها، وحَرِيرًا يَلْبَسُونَهُ.

الثّانِي: أنَّ الجَنَّةَ المَأْوى، والحَرِيرَ أبَدُ العَيْشِ في الجَنَّةِ، ومِنهُ لُبْسُ الحَرِيرِ لِيُلْبَسُونَ مِن لَذَّةِ العَيْشِ.

واخْتُلِفَ فِيمَن نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلى قَوْلَيْنِ:

---

(١) تفسير القرطبي

أَحَدُهُما: ما حَكاهُ الضَّحّاكُ عَنْ جابِرٍ أنَّها نَزَلَتْ في مُطْعَمِ بْنِ ورْقاءَ الأنْصارِيِّ نَذَرَ نَذْرًا فوَفّاهُ.

الثّانِي: ما حَكاهُ عَمْرٌو عَنِ الحَسَنِ أنَّها نَزَلَتْ في عَلِيٍّ وفاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما - وذَلِكَ أنْ عَلِيًّا وفاطِمَةَ نَذَرا صَوْمًا فَقَضَياهُ، وخَبَزَتْ فاطِمَةُ ثَلاثَةَ أقْراصٍ مِن شَعِيرٍ لِيَفْطُرَ عَلِيٌّ على أحَدِها وتَفْطُرَ هي عَلى الآخَرِ، ويَأْكُلَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ الثّالِثَ، فَسَألَها مِسْكِينٌ فَتَصَدَّقَتْ عَلَيْهِ بِأحَدِها، ثُمَّ سَألَها يَتِيمٌ فَتَصَدَّقَتْ عَلَيْهِ بِالآخَرِ، ثُمَّ سَألَها أسِيرٌ فَتَصَدَّقَتْ عَلَيْهِ بِالثّالِثِ، وباتُوا طاوِينَ[1]

مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ الاتكاء: التمكن من الجلوس، في حال الرفاهية والطمأنينة [الراحة]، والأرائك هي السرر التي عليها اللباس المزين[2]

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿شَمْسًا﴾ يضرهم حرها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: بردا شديدا، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل، لا حر ولا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، ولا تتألم من حر ولا برد

قالَ مُقاتِلٌ: يَعْنِي شَمْسًا يُؤْذِيهِمْ حَرُّها وَلا زَمْهَرِيرًا يُؤْذِيهِمْ بَرْدُهُ، لِأنَّهُما يُؤْذِيانِ فِي الدُّنْيا. وَالزَّمْهَرِيرُ: الْبَرْدُ الشَّدِيدُ[3]

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ أيْ قَرِيبَةً مِنهُمْ ظِلالُ أشْجارِها ﴿وَذُلِّلَتْ﴾ سُخِّرَتْ وَقُرِّبَتْ ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثِمارُها ﴿تَذْلِيلًا﴾ يَأْكُلُونَ مِنْ ثِمارِها قِيامًا وَقُعُودًا وَمُضْطَجِعِينَ وَيَتَناوَلُونَها كَيْفَ شاءُوا عَلى أيِّ حالٍ كانُوا[4]

---

(١) تفسير الماوردي

(٢) تفسير السعدي

(٣) تفسير البغوي

(٤) تفسير البغوي

قَالَ مُجَاهِدٌ :﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا﴾ إِنْ قَامَ ارْتَفَعَتْ بقَدْره، وَإِنْ قَعَدَ تَدَلَّتْ لَهُ حَتَّى يَنَالَهَا، وَإِنِ اضْطَجَعَ تَدَلَّت لَهُ حَتَّى يَنَالَهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :﴿تَذْلِيلا﴾[1]

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَرْضُ الْجَنَّةِ مِنْ وَرِق (أي من فضة)، وَتُرَابُهَا الْمِسْكُ، وَأُصُولُ شَجَرِهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَأَفْنَانُهَا مِنَ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ وَالزَّبَرْجَدِ وَالْيَاقُوتِ، والوَرَق وَالثَّمر بَيْنَ ذَلِكَ. فَمَنْ أَكَلَ مِنْهَا قَائِمًا لَمْ يُؤْذِهِ، وَمَنْ أَكَلَ مِنْهَا قَاعِدًا لَمْ يُؤْذِهِ، وَمَنْ أَكَلَ مِنْهَا مُضْطَجِعًا لَمْ يُؤْذِهِ

وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ أَيْ يَدُورُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ الْخَدَمُ إِذَا أَرَادُوا الشَّرَابَ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ

قَالَ ابن عباس: ليس في الدنيا شي مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ، أَيْ مَا فِي الْجَنَّةِ أَشْرَفُ وَأَعْلَى وَأَنْقَى. ثُمَّ لَمْ تُنْفَ الْأَوَانِي الذَّهَبِيَّةُ بَلِ الْمَعْنَى يُسْقَوْنَ فِي أَوَانِي الْفِضَّةِ، وَقَدْ يُسْقَوْنَ فِي أَوَانِي الذَّهَبِ

وَالْأَكْوَابُ: الْكِيزَانُ الْعِظَامُ الَّتِي لَا آذَانَ لَهَا وَلَا عُرًى،(وَلَا خَرَاطِيمَ) الْوَاحِدُ مِنْهَا كُوبٌ[2]

كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ أَيْ فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ وَبَيَاضِ الْفِضَّةِ، فَصَفَاؤُهَا صَفَاءُ الزُّجَاجِ وَهِيَ مِنْ فِضَّةٍ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: بَيَاضُ الْفِضَّةِ فِي صَفَاءِ الزُّجَاجِ، وَالْقَوَارِيرُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ زُجَاجٍ. فَهَذِهِ الْأَكْوَابُ هِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وَهِيَ مَعَ هَذَا شَفَّافَةٌ يُرَى مَا فِي بَاطِنِهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، وَهَذَا مِمَّا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا[3]

---

(1) تفسير ابن كثير

(2) تفسير القرطبي

(3) تفسير ابن كثير

وقيل: أرض الجنة مِنْ فِضَّةٍ، وَالْأَوَانِي تُتَّخَذُ مِن تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا. ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ

وَقَالَ: ليس فِي الجنة شي إِلَّا قَدْ أُعْطِيتُمْ فِي الدُّنْيَا شَبَهَهُ، إِلَّا الْقَوَارِيرُ مِنْ فِضَّةٍ ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦﴾ أَيْ قَدَّرَهَا لَهُمُ السُّقَاةُ الَّذِينَ يَطُوفُونَ بِهَا عَلَيْهِمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمَا: أَتَوْا بِهَا عَلَى قَدْرِ رِيِّهِمْ، بِغَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ. وَذَلِكَ أَلَذُّ وَأَشْهَى، وَالْمَعْنَى: قَدَّرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ الَّتِي تَطُوفُ عَلَيْهِمْ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: قَدَّرُوهَا عَلَى مِلْءِ الْكَفِّ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ، حَتَّى لَا تُؤْذِيَهُمْ بِثِقَلٍ أَوْ بِإِفْرَاطِ صِغَرٍ.

وَقِيلَ: إِنَّ الشَّارِبِينَ قَدَّرُوا لَهَا مَقَادِيرَ فِي أَنْفُسِهِمْ عَلَى مَا اشْتَهُوا وَقَدَرُوا ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧﴾ وَيُسْقَوْنَ -يَعْنِي الْأَبْرَارَ أَيْضًا- فِي هَذِهِ الْأَكْوَابِ ﴿كَأْسًا﴾ أَيْ: خَمْرًا، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا﴾ فَتَارَةً يُمزج لَهُمُ الشَّرَابُ بالكافور وَهُوَ بَارِدٌ، وَتَارَةً بِالزَّنْجَبِيلِ وَهُوَ حَارٌّ، لِيَعْتَدِلَ الْأَمْرُ، وَهَؤُلَاءِ يُمْزَجُ لَهُمْ مِنْ هَذَا تَارَةً وَمِنْ هَذَا تَارَةً. وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ فَإِنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِن كُلٍّ مِنْهُمَا صِرْفًا، كَمَا قَالَهُ قَتَادَةُ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ أَي: الزَّنْجَبِيلُ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا.

قَالَ عِكْرِمَةُ: اسْمُ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَلَاسَةِ سَيْلِهَا وحِدّة جَريها.

قَالَ قَتَادَةُ: سَلِسَةٌ مُنْقَادَةٌ لَهُمْ يُصَرِّفُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا

وَقال مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: سُمِّيَتْ سَلْسَبِيلًا لِأَنَّهَا تَسِيلُ عَلَيْهِمْ فِي الطُّرُقِ وَفِي مَنَازِلِهِمْ تَنْبُعُ مِنْ أَصْلِ الْعَرْشِ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ إِلَى أَهْلِ الْجِنَانِ وَشَرَابُ الْجَنَّةِ عَلَى بَرْدِ الْكَافُورِ وَطَعْمِ الزَّنْجَبِيلِ وَرِيحِ الْمِسْكِ

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "تُسَمَّى" أَيْ تُوصَفُ[١]

---

(١) تفسير البغوي

* ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩﴾ بالشراب (ولدان) بكسر الواو باتفاق السبعة أي غلمان هم في سن من هو دون البلوغ،

قال بعض المفسرين هم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين،

وقال بعضهم أطفال المؤمنين لأنهم ماتوا على الفطرة.

وقال ابن برحان: وأرى والله أعلم أنهم من علم الله تعالى إيمانه من أولاد الكفار، ويكونون خدماً لأهل الجنة كما كانوا في الدنيا لنا سبياً وخدماً، وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم تأنساً وسروراً بهم.

وفي الخازن في سورة الواقعة والصحيح الذي لا معدل عنه إن شاء الله تعالى أنهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور ولم يولدوا، ولم يخلقوا عن ولادة[1]

(مُّخَلَّدُونَ ١٩) أي باقون على ما هم عليه من الشباب والطراوة والنضارة لا يهرمون ولا يتغيرون، وقيل المعنى لا يموتون، وقيل التخليد التحلية أي محلون.

(إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩) أي إذا نظرت إليهم ظننتهم لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم، وانبثاثهم في مجالسهم، لؤلؤاً مفرقاً،

شبههم باللؤلؤ في الحسن والبياض، وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم في القصور[2]

قال عطاء يريد في بياض اللون وحسنه، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوماً.

قال أهل المعاني إنما شبهوا الانتثار لأنهم في الخدمة ولو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم، قيل إنما شبههم بالمنثور لأنهم سراع في الخدمة بخلاف الحور العين فإنه شبههن باللؤلؤ المكنون لأنهن لا يمتهن بالخدمة.

---

(1) فتح البيان للقنوجي

(2) تفسير ابن جزي

عن أبي عمرو قال: " إن أدنى أهل الجنة منزلاً من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه، وتلا " إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ " أخرجه ابن المبارك وهناد وعبد بن حميد والبيهقي في البعث

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ أَيْ: وَإِذَا رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ، ﴿ثَمَّ﴾ أَيْ: هُنَاكَ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وسَعَتها وَارْتِفَاعِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ وَالسُّرُورِ، ﴿رَأَيْت نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أَيْ: مَمْلَكَةً لِلَّهِ هُناك عَظِيمَةً وَسُلْطَانًا بَاهِرًا[١]

والمعنى : وإذا أبصرت أيَّ مكان في الجنة رأيت فيه نعيمًا لا يُدْركه الوصف، ومُلْكًا عظيمًا واسعًا لا غاية له[٢]

﴿رَأَيْت نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة [المشجية] ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس[٣]

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِآخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا إِلَيْهَا: إِنَّ لَكَ مثل الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفَيْ سَنَةٍ يَنْظُرُ إِلَى أَقْصَاهُ كَمَا يَنْظُرُ إِلَى أَدْنَاهُ". فَإِذَا كَانَ هَذَا عَطَاؤُهُ تَعَالَى لِأَدْنَى مَنْ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَا هُوَ أَعْلَى مَنْزِلَةً، وَأَحْظَى عِنْدَهُ تَعَالَى.

(١) تفسير ابن كثير
(٢) التفسير الميسر
(٣) تفسير السعدي

عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾
أَيْ: لِبَاسُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا الْحَرِيرُ، وَمِنْهُ سُنْدُسٌ، وَهُوَ رَفِيعُ الْحَرِيرِ كَالْقُمْصَانِ وَنَحْوِهَا مِمَّا يَلِي أَبْدَانَهُمْ (الملابس الداخلية)، وَالْإِسْتَبْرَقُ مِنْهُ مَا فِيهِ بَرِيقٌ وَلَمَعَانٌ، وَهُوَ مِمَّا يَلِي الظَّاهِرَ(الملابس الخارجية الظاهرة)، كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ فِي اللِّبَاسِ
﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ وَهَذِهِ صِفَةُ الْأَبْرَارِ،
وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ فَكَمَا قَالَ :﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾]الْحَجِّ: ٢٣[
﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أَيْ: طَهَّرَ بَوَاطِنَهُمْ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَالْغِلِّ وَالْأَذَى وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الرَّدِيَّةِ، كَمَا رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا انْتَهَى أهلُ الْجَنَّةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَجدوا هُنَالِكَ عَيْنَيْنِ فَكَأَنَّمَا أُلْهِمُوا ذَلِكَ فَشَرِبُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا [فَأَذْهَبَ اللَّهُ][١٥] مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ أَذًى، ثُمَّ اغْتَسَلُوا مِنَ الْأُخْرَى فَجرت عَلَيْهِمْ نضرةُ النَّعِيمِ
إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾ أيْ: ما عُدَّ مِن ثَوابِهِمْ ﴿كانَ لَكم جَزاءً﴾ أيْ: عَلى ما قَدَّمْتُمْ مِنَ الصّالِحاتِ ﴿وكانَ سَعْيُكم مَشْكُورًا﴾ أيْ: مُجازًى عَلَيْهِ غَيْرَ مُضَيَّعٍ[١]

﴿إنَّ هَذا﴾ يَعْنِي: ما وصَفَ مِن نَعِيمِ الجَنَّةِ "كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ " بِأعْمالِكم " وَكَانَ سَعۡيُكُم " أيْ: عَمَلُكم في الدُّنْيا بِطاعَتِهِ "مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾ " قالَ عَطاءٌ: يُرِيدُ: شَكَرْتُكم عَلَيْهِ، وأُثِيبُكم أفْضَلَ الثَّوابِ[٢]

الشُّكْر الْمُضَاف . إِلَى الرب تَعَالَى هُوَ بِمَعْنى قبُول الْحَسَنَات وَالْعَفو عَن السَّيِّئَات[٣]

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي
(٢) تفسير ابن الجوزي
(٣) تفسير السمعاني

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ ﴾

اللغة ومعاني الكلمات

﴿ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴿٢٤﴾ ﴾ لأمْرِهِ القَدَرِيِّ فتَقْبَلُه، ولأمْرِهِ الشَّرْعِيِّ فتَمْضِي عَلَيْهِ

﴿ ءَاثِمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ :عاصِيًا.

﴿ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ :أو مُبالِغًا في الكُفْرِ والضَّلالِ

﴿ بُكۡرَةٗ ﴿٢٥﴾ ﴾ :أوَّلَ النَّهارِ.

﴿ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ :آخِرَ النَّهارِ.

﴿ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ ﴿٢٦﴾ ﴾ :فاخْضَعْ لِرَبِّكَ.

﴿ وَسَبِّحۡهُ ﴿٢٦﴾ ﴾ :وصَلِّ لَهُ، وتهجَّدْ لَهُ

﴿ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ :الدُّنيا.

﴿ ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ :عَظِيمَ الشَّدائِدِ

﴿ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ ﴿٢٨﴾ ﴾ أَحْكَمْنا خَلْقَهُمْ

﴿ بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ ﴾ :أهْلَكْناهُم، وجِئْنا بِقَوْمٍ مُطِيعِينَ

﴿ تَذۡكِرَةٞ ﴾ عِظَةٌ للعالَمِينَ.

﴿ سَبِيلٗا ﴾ طَرِيقًا يُوصِلُهُ إلى مَغْفِرَةِ اللهِ ورِضْوانِهِ

التفسير

إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ أيْ: فَصَّلْناهُ في الإنْزالِ، فَلَمْ نُنْزِلْهُ جُمْلَةً واحِدَةً[1] وقِيلَ المَعْنى: نَزَّلْناهُ عَلَيْكَ ولَمْ تَأْتِ بِهِ مِن عِنْدِكَ كَما يَدَّعِيهِ المُشْرِكُونَ[2] ﴿إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ فَكَأنَّهُ قالَ لَهُ: إنِّي ما نَزَّلْتُ عَلَيْكَ هَذا القُرْآنَ مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا إلّا لِحِكْمَةٍ بالِغَةٍ تَقْتَضِي تَخْصِيصَ كُلِّ شَيْءٍ بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ، ولَقَدِ اقْتَضَتْ تِلْكَ الحِكْمَةُ تَأْخِيرَ الإذْنِ في القِتالِ، فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ الصّادِرِ عَنِ الحِكْمَةِ المَحْضَةِ المُبَرَّأِ عَنِ العَيْبِ والعَبَثِ والباطِلِ. ثُمَّ إنَّهُ تَعالى لَمّا قَدَّمَ هَذِهِ المُقَدِّمَةَ ذَكَرَ النَّهْيَ فَقالَ تَعالى:[3]

فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ في تَأْخِيرِ الإذْنِ في القِتالِ، ونَظِيرُهُ ﴿فاصْبِرُوا حَتّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا وهو خَيْرُ الحاكِمِينَ﴾]الأعراف: ٨٧ [أوْ يَكُونَ المَعْنى عامًّا في جَمِيعِ التَّكالِيفِ، أيْ فاصْبِرْ في كُلِّ ما حَكَمَ بِهِ رَبُّكَ، سَواءٌ كانَ ذَلِكَ تَكْلِيفًا خاصًّا بِكَ مِنَ العِباداتِ والطّاعاتِ أوْ مُتَعَلِّقًا بِالغَيْرِ، وهو التَّبْلِيغُ وأداءُ الرِّسالَةِ وتَحَمُّلُ المَشاقِّ النّاشِئَةِ مِن ذَلِكَ

(فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ) أَيْ: كَمَا أكرمتُكَ بِمَا أنزلتُ عَلَيْكَ، فَاصْبِرْ عَلَى قَضَائِهِ وقَدَرِه، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيُدَبرك بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ،

---

(١) تفسير ابن الجوزي

(٢) فتح القدير للشوكاني

(٣) تفسير الرازي

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ أَيْ: لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ أَرَادُوا صَدّك عَمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ[١] بَلْ بَلّغ مَا أُنزِلَ إِلَيْك مِنْ رَبِّك، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. فَالْآثِمُ هُوَ الْفَاجِرُ فِي أَفْعَالِهِ، وَالْكَفُورُ هُوَ الْكَافِرُ بِقَلْبِهِ[١]

قَالَ قَتَادَةُ: أَرَادَ بِالْآثِمِ الْكَفُورِ أَبَا جَهْلٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فُرِضَتِ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ نَهَاهُ أَبُو جَهْلٍ عَنْهَا، وَقَالَ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي لَأَطَأَنَّ عُنُقَهُ

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَرَادَ بِـ"الْآثِمِ" عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَبِـ"الْكَفُورِ" الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، قَالَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كُنْتَ صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ لِأَجْلِ النِّسَاءِ وَالْمَالِ فَارْجِعْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ عُتْبَةُ: فَأَنَا أُزَوِّجُكَ ابْنَتِي وَأَسُوقُهَا إِلَيْكَ بِغَيْرِ مَهْرٍ،

وَقَالَ الْوَلِيدُ: أَنَا أُعْطِيكَ مِنَ الْمَالِ حَتَّى تَرْضَى، فَارْجِعْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ [٢]

ولا تُطِعْ منهم آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ ما كانَ يُطِيعُ أحَدًا مِنهم، فَما الفائِدَةُ في هَذا النَّهْيِ ؟

(والجَوابُ): المَقْصُودُ بَيانُ أنَّ النّاسَ مُحْتاجُونَ إلى مُواصَلَةِ التَّنْبِيهِ والإرْشادِ، لِأجْلِ ما تَرَكَّبَ فِيهِمْ مِنَ الشَّهَواتِ الدّاعِيَةِ إلى الفَسادِ، وأنَّ أحَدًا لَو اسْتَغْنى عَنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ وإمْدادِهِ وإرْشادِهِ، لَكانَ أحَقُّ النّاسِ بِهِ هو الرَّسُولَ المَعْصُومَ، ومَتى ظَهَرَ ذَلِكَ عَرَفَ كُلُّ مُسْلِمٍ أنَّهُ لا بُدَّ لَهُ مِنَ الرَّغْبَةِ إلى اللَّهِ والتَّضَرُّعِ إلَيْهِ في أنْ يَصُونَهُ عَنِ الشُّبُهاتِ والشَّهَواتِ.

وما الفَرْقُ بَيْنَ الآثِمِ والكَفُورِ ؟

الآثِمُ هو المُقْدِمُ عَلى المَعاصِي، أيَّ مَعْصِيَةٍ كانَتْ،

والكَفُورُ هو الجاحِدُ لِلنِّعْمَةِ، فَكُلُّ كَفُورٍ آثِمٌ، ولَيْسَ كُلُّ آثِمٍ كَفُورًا

---

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير البغوي

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥﴾ يَعْنِي في أوَّلِ النَّهارِ وآخِرِه، فَفي أوَّلِهِ صَلاةُ الصُّبْحِ، وفي آخِرِهِ صَلاةُ الظُّهْرِ والعَصْرِ.

والمعنى دم على ذكره في جميع الأوقات وقيل المعنى صل لربك أول النهار وآخره، فأول النهار صلاة الصبح، وآخره صلاة العصر، قال البيضاوي دم على صلاة الفجر والظهر والعصر، فإن الأصيل يتناول وقتيهما[1]

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾ يَعْني صَلاةَ المَغْرِبِ والعِشاءِ الآخِرَةِ.

﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾ يَعْني التَّطَوُّعَ مِنَ اللَّيْلِ

قالَ ابْنُ عَبّاسٍ وسُفْيانُ: كُلُّ تَسْبِيحٍ في القُرْآنِ هو صَلاةٌ[2]

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝٢٧﴾ يعني كفار مكة ومن هو موافق لهم (يحبون) الدار (العاجلة) وهي دار الدنيا ويدعون خلفهم أو بين أيديهم وأمامهم يوماً شديداً عسيراً وهو القيامة [3]

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَحْتَمِلُ في المُرادِ بِهِمْ قَوْلَيْنِ:

أحَدُهُما: أنَّهُ أرادَ بِهِمُ اليَهُودَ وما كَتَمُوهُ مِن صِفَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ.

الثّانِي: أنَّهُ أرادَ المُنافِقِينَ لِاسْتِبْطانِهِمُ الكُفْرَ.

ويَحْتَمِلُ قَوْلُهُ ﴿يُحِبُّونَ العاجِلَةَ﴾ وجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: أخْذُ الرِّشا عَلى ما كَتَمُوهُ إذا قِيلَ إنَّهُمُ اليَهُودُ.

الثّانِي: طَلَبُ الدُّنْيا إذا قِيلَ إنَّهُمُ المُنافِقُونَ

﴿وَيَذَرُونَ وراءَهم يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ يَحْتَمِلُ وجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: ما يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ القَتْلِ والجَلاءِ إذا قِيلَ إنَّهُمُ اليَهُودُ.

---

(1) فتح البيان للقنوجي

(2) تفسير الماوردي

(3) فتح البيان للقنوجي

الثّانِي: يَوْمُ القِيامَةِ إذا قِيلَ إنَّهُمُ المُنافِقُونَ.

فَعَلى هَذا يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ (ثَقِيلًا) وجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: شَدائِدُهُ وأحْوالُهُ.

الثّانِي: لِلْقِصاصِ مِن عِبادِهِ

﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨﴾ أي ابتدأنا خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة إلى أن كمل خلقهم، ولم يكن لغيرنا في ذلك عمل ولا سعي، لا اشتراكاً ولا استقلالاً (وشددنا أسرهم) الأسر شدة الخلق يقال شد الله أسر فلان أي قوى خلقه،

قال مجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم: شددنا خلقهم،

قال الحسن شددنا وربطنا أوصالهم بعضاً إلى بعض بالعروق والعصب.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا﴾ أي لو شئنا لأهلكناهم وجئنا بأطوع لله منهم، وقيل المعنى مسخناهم إلى أسمج صورة وأقبح خلقه

وقيل: وَإذَا شِئْنَا بَعَثْنَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وبدلناهم فَأَعَدْنَاهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا. وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ بِالْبُدَاءَةِ عَلَى الرَّجْعَةِ

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ :﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا﴾ أَيْ : وَإِذَا شِئْنَا أَتَيْنَا بِقَوْمٍ آخَرِينَ غَيْرِهِمْ

وأخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ﴿وشَدَدْنا أسْرَهم﴾ قالَ هي المَفاصِلُ[١]

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩﴾ يعني أن هذه السورة تذكير وموعظة للخلق لأن في تصفحها تنبيهات للغافلين، وفي تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه وأحضر قلبه، وكانت نفسه مقبلة على ما

(١) فتح القدير للشوكاني

ألقى إليه سمعه ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾ أَيْ طَرِيقًا وَمَسْلَكًا، أَيْ: مَنْ شَاءَ اهْتَدَى بِالْقُرْآنِ،

وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ أَيْ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَهدي نَفْسَهُ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ وَلَا يُجْرِ لِنَفْسِهِ نَفْعًا

﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أَيْ: عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ فَيُيَسّرها لَهُ، وَيُقَيِّضُ لَهُ أَسْبَابَهَا، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ فَيَصْرِفُهُ عَنِ الْهُدَى، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى :﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ أَيْ: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يَهْدِهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ويعذب الظالمين

فوائد الآيات في السورة

١- يجب على الانسان أن يعرف حجمه الطبيعي وحقيقة نفسه فلا يتكبر ولا يخالف ما أمره الله تعالى به ويعلم عليم اليقين أن الهدف من وجوده في الدنيا هو الاختبار والابتلاء

إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾

٢- لا حجة للإنسان العاصي يوم القيامة حيث أن الله تعالى أعطاه السمع والبصر ليرى الحقائق ويسمع الأوامر والنواهي الالهية كما أن الله تعالى هدى الانسان لسبيل السعادة والشقاء والانسان يختار ما يريده

إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

٣- من صفات عباد الله الأبرار أربعة صفات وهي

١- الوفاء بالنذر

٢- يخاف يوم القيامة

٣- يطعمون الطعام رغم حاجتهم له

٤- لا يريدون الجزاء ولا حتى كلمة شكر من الناس لأن هدفهم اسمى وأعظم وهو ابتغاء وجه الله

يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

٤- نعيم الجنة لا يوصف , وكل ذلك النعيم كان جزاءً لعباد الله الابرار

إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

٥- يجب على المؤمن الصبر ولا يضعف ولا يطع المنافقين والكافرين

فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

٦- على المؤمن دائماً أن يذكر الله تعالى في كل الأوقات مع الصبر

وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾

٧- على المؤمن الاهتمام بقيام الليل والتسبيح بالليل

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾

٨- الكافرون والمنافقون ينظرون تحت أقدامهم فكل همهم الدنيا وحب الدنيا , ويتركون الآخرة برغم أنه يوم ثقيل عليهم

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾

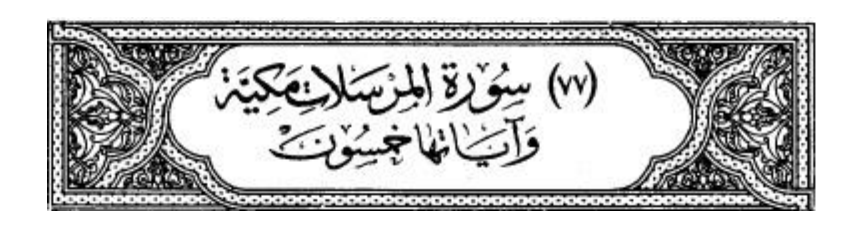
٩- كتاب الله هو الموعظة لكل من أراد أن يسلك طريق الله الموصل الى جناته ورضوانه

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾

١٠- كل شئ لا يكون إلا باذن الله تعالى حتى هداية العباد فهو العليم الحكيم حيث يدخل في رحته من يستحق والظالمين لهم عذاب اليم

وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة الانسان



سورة المرسلات

بين يدي السورة

هذه السورة مكية وعدد آياتها (٥٠) آية وعدد كلماتها (١٩٨) كلمة وعدد حروفها (٨١٥) حرفا

موضوعات السورة

بين يدي السورة:

*سورة المرسلات مكية، وهي كسائر السور المكية تعالج أمور العقيدة، وتبحث عن شؤون الآخرة، ودلائل القدرة والوحدانية، وسائر الأمور الغيبية.

*ابتدات السورة الكريمة بالقسم بأنواع الملائكة، المكلفين بتدبير شؤون الكون، على أن القيامة حق، وأن العذاب والهلاك واقع على الكافرين

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾

*ثم تحدثت عن وقت ذلك العذاب الذي وعد به المجرمون

فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ *

وتناولت السورة بعد ذلك دلائل قدرة الله الباهرة، على إعادة الإنسان بعد الموت، وإحيائه بعد الفناء

﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾

*ثم تحدثت عن مآل المجرمين في الآخرة، وما يلقون فيه من نكال

وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾

- وبعد الحديث عن المجرمين، تحدثت السورة عن المؤمنين المتقين، وذكرت ما أعده الله تعالى لهم من أنواع النعيم والإكرام

إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾

*وختمت السورة الكريمة ببيان سبب امتناع الكفار، عن عبادة الله الواحد القهار، وهو الطغيان والإجرام

وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

وإنه لوعيد وتهديد شديد، ترتجف له القلوب، وتفزع منه الألباب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٤ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ٢٦ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ٢٧

اللغة ومعاني الكلمات

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ قَسَمٌ بالرِّيَاحِ حِينَ تَهُبُّ مُتَتَابِعَةً يَقْفُو بَعْضُهَا أَثَرَ بَعْضٍ

فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ قَسَمٌ بالرِّيَاحِ شَدِيدَةِ الهُبُوبِ المُهْلِكَةِ.

وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ قَسَمٌ بِالمَلَائِكَةِ المُوكَلِينَ بالسُّحُبِ يَسُوقُونَها حَيْثُ شَاءَ اللهُ

فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ قَسَمٌ بِالمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْزِلُ بِما يَفْرِقُ بَيْنَ الحَقِّ، وَالبَاطِلِ

فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ قَسَمٌ بِالمَلَائِكَةِ الَّتِي تَتَلَقَّى الوَحْيَ مِنَ اللهِ، وَتَنْزِلُ بِهِ عَلَى الأَنْبِياءِ

عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِعْذَارًا مِنَ اللهِ إِلَى خَلْقِهِ

﴿نُذۡرًا﴾ لِلإِنْذَارِ مِنَ اللهِ إِلَى خَلْقِهِ

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧ مِنْ أَمْرِ القِيَامَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ جَزَاءٍ، وَحِسَابٍ

فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ٨ مُحِيَتْ، وَذَهَبَ نُورُهَا

وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ تصدَّعتْ، وتَشقَّقتْ

وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ تَطايرَتْ، وتَناثرتْ

وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ عُيِّنَ لَهُمْ وقتٌ وأَجلٌ، لِلْفَصلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أُمَمِهِمْ.

لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لأيِّ يومٍ عَظيمٍ أُخِّرَتِ الرُّسُلُ.

لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ لِيَومٍ يُفصَلُ فِيهِ وَيُقْضَى بَيْنَ الخَلائِقِ

وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ هَلاكٌ عَظِيمٌ للمكذبين

ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ السابِقِينَ مِنَ الأُمَمِ الماضِيَةِ

ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ ثم نُلحِقُ بِهِمُ المُتَأَخِّرِينَ المُكَذِّبِينَ

كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ مِثلَ ذلِكَ الإهْلاكِ الفَظِيعِ نفعل بكفار قريش

وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ هَلاكٌ وعَذابٌ شَدِيدٌ(١)

مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ ضَعِيفٍ حَقِيرٍ؛ وَهُوَ النُّطْفَةُ

فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ مَكانٍ حَصِينٍ مُتَمَكِّنٍ وهو الرحم

إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ وَقْتٍ معلوم عند الله وهو مدة الحمل

فَقَدَرۡنَا ﴿٢٣﴾ فَقَدَرْنا على خَلْقِهِ وتَصْوِيرِهِ وإِخْراجِهِ

ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ على الأشياء.

أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ وِعاءً جامع يَضُمُّ الأَحْياءَ وَالأَمْوَاتَ

أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ تَضُمُّ على ظَهرِها أحياءً و تَضُمُّ في بَطْنِها أمْواتًا.

وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ جِبالاً ثَوابِتَ، مُرْتَفِعاتٍ ﴿فُرَاتًا﴾ عَذْبًا، سَائِغًا

(١) الميسر في الغريب

التفسير

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١﴾ فِيهِ ثَلاثَةُ أقاوِيلَ: أحَدُها: المَلائِكَةُ تُرْسَلُ بِالمَعْرُوفِ، قالَهُ أبُو هُرَيْرَةَ وابْنُ مَسْعُودٍ.

الثّانِي: أنَّهُمُ الرُّسُلُ يُرْسَلُونَ بِما يُعْرَفُونَ بِهِ مِنَ المُعْجِزاتِ، وهَذا قَوْلُ أبِي صالِحٍ.

الثّالِثُ: أنَّها الرِّياحُ تُرْسَلُ بِما عَرَّفَها اللَّهُ تَعالى.

وَيَحْتَمِلُ رابِعًا: أنَّها السُّحُبُ لِما فِيها مِن نِعْمَةٍ ونِقْمَةٍ عارِفَةٍ بِما أُرْسِلَتْ فِيهِ، ومَن أُرْسِلَتْ إلَيْهِ.

وَيَحْتَمِلُ خامِسًا: أنَّها الزَّواجِرُ والمَواعِظُ.

وَفِي قَوْلِهِ ﴿عُرْفًا﴾ عَلى هَذا التَّأْوِيلِ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ:

أحَدُها: مُتَتابِعاتٌ كَعُرْفِ الفَرَسِ، قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ.

الثّانِي: جارِياتٌ، قالَهُ الحَسَنُ يَعْنِي القُلُوبَ.

الثّالِثُ: مَعْرُوفاتٌ فِي العُقُولِ[١]

﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢﴾ يَعْنِي الرِّيَاحَ الشَّدِيدَةَ الْهُبُوبِ[٢]

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣﴾ يَعْنِي الرِّيَاحَ اللَّيِّنَةَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: هِيَ الرِّيَاحُ الَّتِي يُرْسِلُهَا اللَّهُ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ. وَقِيلَ: هِيَ الرِّيَاحُ الَّتِي تَنْشُرُ السَّحَابَ وَتَأْتِي بِالْمَطَرِ.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ يَنْشُرُونَ الْكُتُبَ

(١) تفسير الماوردي

(٢) تفسير البغوي

أنَّهُ المَطَرُ يَنْشُرُ النَّباتَ، قالَهُ أبُو صالِحٍ أيْضًا.

الرّابِعُ: أنَّهُ البَعْثُ لِلْقِيامَةِ تُنْشَرُ فِيهِ الأرْواحُ، قالَهُ الرَّبِيعُ.

الخامِسُ: أنَّها الصُّحُفُ تُنْشَرُ عَلى اللَّهِ تَعالى بِأعْمالِ العِبادِ، قالَهُ الضَّحّاكُ[١]

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤﴾ أرْبَعَةُ أقْوالٍ.

أحَدُها: المَلائِكَةُ تَأْتِي بِما يُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ، قالَهُ الأكْثَرُونَ.

والثّانِي: آيُ القُرْآنِ فَرَّقَتْ بَيْنَ الحَلالِ والحَرامِ، قالَهُ الحَسَنُ، وقَتادَةُ، وابْنُ كَيْسانَ.

والثّالِثُ: الرِّيحُ تُفَرِّقُ بَيْنَ السَّحابِ فَتُبَدِّدُهُ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

والرّابِعُ: الرُّسُلُ، حَكاهُ الزَّجّاجُ[٢]

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ وفيه قَوْلانِ.

أحَدُهُما: المَلائِكَةُ تُلْقِي ما حَمَلَتْ مِنَ الوَحْيِ إلى الأنْبِياءِ، وهَذا مَذْهَبُ ابْنِ عَبّاسٍ، وقَتادَةَ، والجُمْهُورِ.

والثّانِي: الرُّسُلُ يُلْقُونَ ما أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ إلى الأُمَمِ، قالَهُ قُطْرُبٌ.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ قَالَ الْفراء: إعذارا أَو إنذارا

وَقَالَ الْحسن: ليقيم عذره [على خلقه] بِإِقَامَة الْحجَّة عَلَيْهِم، وَأَنه عذبهم حِين استحقوا الْعَذَاب بإنكارهم بعد إِقَامَة الْحجَج.

والعذر ظُهُور معنى يوضع اللوم عَن الْإِنْسَان، وَهَذَا الْحَد فِي حق الْخلق، فَأَما فِي حق الله فَلَا[٣]

والمَعْنى: أنَّ المَلائِكَةَ تُلْقِي الوَحْيَ إعْذارًا مِنَ اللَّهِ إلى خَلْقِهِ وإنْذارًا مِن عَذابِهِ، كَذا قالَ الفَرّاءُ، وقِيلَ عُذْرًا لِلْمُحِقِّينَ ونُذْرًا لِلْمُبْطِلِينَ[٤]

---

(١) تفسير الماوردي

(٢) تفسير ابن الجوزي

(٣) تفسير السمعاني

(٤) فتح القدير للشوكاني

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ أيْ إنَّ الَّذِي تُوعَدُونَهُ مِن مَجِيءِ السّاعَةِ والبَعْثِ كائِنٌ لا مَحالَةَ ، ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ مَتى يَقَعُ ذَلِكَ فَقالَ:

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ أيْ مُحِيَ نُورُها وذَهَبَ ضَوْؤُها، يُقالُ طُمِسَ الشَّيْءُ: إذا دَرَسَ وذَهَبَ أثَرُهُ.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ أيْ فُتِحَتْ وشُقَّتْ ، وَتَدَلَّتْ أَرْجاؤُها، وَوَهَت أَطْرافُها[١]

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾ أيْ قُلِعَتْ مِن مَكانِها بِسُرْعَةٍ، يُقالُ نَسَفْتُ الشَّيْءَ وأنْسَفْتُهُ: إذا أخَذْتَهُ بِسُرْعَةٍ.

وقالَ الكَلْبِيُّ: سُوِّيَتْ بِالأرْضِ، والعَرَبُ تَقُولُ: نَسَفَتِ النّاقَةُ الكَلَأ: إذا رَعَتْهُ، وقِيلَ جُعِلَتْ كالحَبِّ الَّذِي يُنْسَفُ بِالمَنسَفِ

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١﴾ فِيهِ ثَلاثَةُ تَأْوِيلاتٍ:

أحَدُها: يَعْنِي أُوجِدَتْ، قالَهُ إبْراهِيمُ.

الثّانِي: أُجِّلَتْ، قالَهُ مُجاهِدٌ.

الثّالِثُ: جُمِعَتْ، قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

وَقَرَأ أبُو عَمْرٍو (وُقِّتَتْ) ومَعْناها عَرَفَتْ ثَوابَها في ذَلِكَ اليَوْمِ، وتَحْتَمِلُ هَذِهِ القِراءَةُ وجْهًا آخَرَ أنَّها دُعِيَتْ لِلشَّهادَةِ عَلى أُمَمِها[٢]

والمعنى جعل لها وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم كما في قوله سبحانه (يوم يجمع الله الرسل) وقيل هذا في الدنيا أي جمعت الرسل لميقاتها الذي ضرب لها في إنزال العذاب بمن كذبها، والأول أولى، قال أبو علي الفارسي أي جعل يوم الدين والفصل لها وقتاً، وقيل أقتت أرسلت لأوقات معلومة على ما علم الله به [٣]

---

(١) تفسير ابن كثير

(٢) تفسير الماوردي

(٣) فتح البيان للقنوجي

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتِ الرُّسُلُ وَأُرْجِئَ أَمْرُهَا؟[1] حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾ أي يفصل فيه بين العباد بِأَعْمالِهِمْ إلى الجَنَّةِ والنّارِ، ثم عظّمه بقوله

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾ أيْ وما أعْلَمَكَ بِيَوْمِ الفَصْلِ يَعْنِي أنَّهُ أمْرٌ بَدِيعٌ هائِلٌ لا يُقادَرُ قَدْرُهُ[2]

تكراره في هذه السورة قيل: إنه تأكيد

وقيل: بل في كل آية ما يقتضي التصديق فجاء ويل يومئذ للمكذبين راجعاً إلى ما قبله في كل موضع منها[3] ثُمَّ ذَكَرَ حالَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِذَلِكَ اليَوْمِ فَقالَ:

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ - أَيْ: وَيْلٌ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ غَدًا، والوَيْلُ الهَلاكُ، أوْ هو اسْمُ وادٍ في جَهَنَّمَ، وكَرَّرَ هَذِهِ الآيَةَ في هَذِهِ السُّورَةِ لِأَنَّهُ قَسَّمَ الوَيْلَ بَيْنَهم عَلى قَدْرِ تَكْذِيبِهِمْ، فَإنَّ لِكُلِّ مُكَذِّبٍ بِشَيْءٍ عَذابًا سوى تَكْذِيبِهِ بِشَيْءٍ آخَرَ، ورُبَّ شَيْءٍ كُذِّبَ بِهِ هو أعْظَمُ جُرْمًا مِنَ التَّكْذِيبِ بِغَيْرِهِ، فَيَقْسِمُ لَهُ مِنَ الوَيْلِ عَلى قَدْرِ ذَلِكَ التَّكْذِيبِ

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦﴾ أنَّهُ أهْلَكَ الأوَّلِينَ مِن قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ ثُمَّ أتْبَعَهُمُ الآخِرِينَ قَوْمَ شُعَيْبٍ ولُوطٍ ومُوسى يعني الكفار المتقدمين، بِالعَذابِ فِي الدُّنْيا حِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهم.

﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧﴾ يعني قريشاً وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ، وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره

---

(1) تفسير ابن كثير

(2) فتح القدير للشوكاني

(3) تفسير ابن جزي

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨﴾ أي مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعني الكفار. أيْ مِثْلَ ذَلِكَ الفِعْلِ الفَظِيعِ نَفْعَلُ بِهِمْ، يُرِيدُ مَن يُهْلِكُهُ فِيما بَعْدُ نَفْعَلُ بِكُلِّ مُشْرِكٍ إمّا في الدُّنْيا أوْ في الآخِرَةِ

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩﴾ أيْ ويْلٌ يَوْمَ ذَلِكَ الإهْلاكِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِكُتُبِ اللَّهِ ورُسُلِهِ، قِيلَ الوَيْلُ الأوَّلُ لِعَذابِ الآخِرَةِ، وهَذا لِعَذابِ الدُّنْيا.

﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠﴾ أيْ ضَعِيفٍ حَقِيرٍ، وهو النُّطْفَةُ

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١﴾ أيْ مَكانٍ حَرِيزٍ، وهو الرَّحِمُ

﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢﴾ أيْ إلى مِقْدارٍ مَعْلُومٍ (إلى وقْتِ الوِلادَةِ)، وهو مُدَّةُ الحَمْلِ، وقِيلَ إلى أنْ يُصَوَّرَ

﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣﴾ أيْ نِعْمَ المُقَدِّرُونَ نَحْنُ، حَيْثُ خَلَقْناهُ في أحْسَنِ الصُّوَرِ والهَيْئاتِ[1]

قِيلَ المَعْنى: قَدَرْناهُ قَصِيرًا أوْ طَوِيلًا، وقِيلَ مَعْنى قَدَرْنا مَلَكْنا.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٤﴾ بِقُدْرَتِنا عَلى ذَلِكَ.

ثُمَّ بَيَّنَ لَهم بَدِيعَ صُنْعِهِ وعَظِيمَ قُدْرَتِهِ لِيَعْتَبِرُوا فَقالَ:

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ٢٥﴾ مَعْنى الكَفْتُ في اللُّغَةِ: الضَّمُّ والجَمْعُ، يُقالُ كَفَتَ الشَّيْءَ: إذا ضَمَّهُ وجَمَعَهُ، والمَعْنى: ألَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ ضامَّةً لِلْأحْياءِ عَلى ظَهْرِها والأمْواتِ في باطِنِها تَضُمُّهم وتَجْمَعُهم.

قالَ الفَرّاءُ: يُرِيدُ تَكْفِتُهم أحْياءً عَلى ظَهْرِها في دُورِهِمْ ومَنازِلِهِمْ.

وتَكْفِتُهم أمْواتًا في بَطْنِها: أيْ تَحُوزُهم وهو مَعْنى قَوْلِهِ:

---

(١) تفسير الرازي

أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وقالَ الأخْفَش، وأبو عُبَيْدَةَ: الأَحْياءُ والأمْواتُ وصْفانِ لِلْأَرْضِ: أي الأَرْض مُنْقَسِمَةٌ إلى حَيٍّ وهو الَّذي يَنْبتُ، وإلى مَيِّتٍ وهو الَّذي لا يَنْبُتُ.

وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ أيْ: ثَوابِتَ عَلى ظَهْرِ الأَرْضِ لا تَزُولُ، و﴿شامِخاتٍ﴾ أيْ عالياتٍ، وكُلُّ عالٍ فَهو شامِخٌ، ويُقالُ لِلْمُتَكَبِّرِ: شامِخٌ بِأنْفِهِ ﴿وأَسْقَيْناكم ماءً فُراتًا﴾، الفُراتُ هو الغايَةُ في العُذُوبَةِ

والمَعْنى: إنَّ هَذِهِ الأشْياءَ أعْجَبُ مِنَ البَعْثِ. ثُمَّ ذَكَرَ ما يُقالُ لَهم في الآخِرَةِ:

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾

اللغة ومعاني الكلمات

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ يُقال لِلْكافِرينَ يومَ القيامةِ: سيرُوا إلى عذابِ جَهَنَّم الَّذي كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبونَ في الدُّنيا

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ سِيرُوا، فاسْتَظِلُّوا بِدُخانِ جَهَنَّمَ و يَتفرَّعُ مِنْهُ ثَلاثُ قِطَعٍ

لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ لا يُظِلُّ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ اليَوْمِ و لا يَدْفعُ، ولا يَقِي [1] مِنَ حرِّ اللهبِ شيئًا

إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ إنّ جهَنَّمَ تقذف الشَّرارَةُ(مَا يَتطايَرُ مِنَ النَّارِ) وهي القِطعَةُ المشْتَعِلَةُ مِن دَقِيقِ الحَطَبِ يَدْفَعُها لَهَبُ النّارِ في الهواءِ

كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كالبِنَاءِ المُشَيَّدِ فِي العِظَمِ وَالارْتِفَاعِ

كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ كَأَنَّ الشَّرَرَ إِبِلٌ سُودٌ يَمِيلُ لَوْنُهَا إِلَى الصُّفْرَةِ

صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ سُودٌ يميلُ لونُها إلى الصُّفْرةِ.

هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ لا يَنْطِقُ فيه المُكَذِّبونَ بِكَلامٍ يَنْفَعُهُم.

وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَلاكٌ وعذابٌ شَدِيدٌ ودمار

هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ يومُ يَفْصِلُ اللهُ فِيهِ بَينَ الخلائِق. جَمَعْناكُم مَعَ الكُفّارِ مِنَ الأُمَمِ الماضِيةِ

فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ حِيلَةٌ فِي الخَلاَصِ مِنَ العَذَابِ فاحْتالُوا، وأنقذوا أنفُسَكُم مِن بَطْشِ اللهِ وانتِقامِهِ

ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ ظِلِّ الأَشْجارِ الوَارِفَةِ وعُيُونِ الماءِ الجارِيةِ

هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ مُتهَنِّئِينَ مِنْ غَيْرِ تَنْغِيصٍ، وَلاَ كَدَرٍ سائِغًا

فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ ﴿٥٠﴾ ۞ كِتَابٍ وَكَلاَمٍ بَعْدَ القُرْآنِ

---

(١) غريب القرآن للخضيري

التفسير

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩﴾ في الدُّنْيا، وهو النّارُ

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠﴾ قالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: "والظِّلُّ" هاهُنا: ظِلٌّ مِن دُخانِ نارِ جَهَنَّمَ سَطَعَ، ثُمَّ افْتَرَقَ ثَلاثَ فِرَقٍ، وكَذَلِكَ شَأْنُ الدُّخانِ العَظِيمِ إذا ارْتَفَعَ أنْ يَتَشَعَّبَ، فَيُقالُ لَهُمْ: كُونُوا فِيهِ إلى أنْ يَفْرُغَ مِنَ الحِسابِ، كَما يَكُونُ أوْلِياءُ اللَّهِ في ظِلِّ عَرْشِهِ، أوْ حَيْثُ شاءَ مِنَ الظِّلِّ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِكُلِّ فَرِيقٍ إلى مُسْتَقَرِّهِ مِنَ الجَنَّةِ والنّارِ[1]

﴿لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١﴾ لَا يُظِلُّ مِنَ الْحَرِّ ولَا يَرُدُّ لَهَبَ جَهَنَّمَ عَنْكُمْ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَظَلُّوا بِذَلِكَ الظِّلِّ لَمْ يَدْفَعْ عَنْهُمْ حَرَّ اللَّهَبِ[2]

﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢﴾ أى إن جهنم تقذف الشرر , والشَّرَرُ ما تَطايَرَ مِن قِطَعِ النّارِ ﴿كالْقَصْرِ﴾ وَهُوَ الْبِنَاءُ الْعَظِيمُ، قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: يُرِيدُ القُصُورَ العِظامَ
وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَعْنِي الْحُصُونَ.
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ: هِيَ أُصُولُ النَّخْلِ وَالشَّجَرِ الْعِظَامِ، وَاحِدَتُهَا قَصْرَةٌ، مِثْلُ تَمْرَةٍ وَتَمْرٍ، وَجَمْرَةٍ وَجَمْرٍ.
ثُمَّ شَبَّهَ الشَّرَرَ بِاعْتِبارِ لَوْنِهِ فَقالَ:

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣﴾ وهي جَمْعُ جِمالٍ، وهي الإبِلُ

(١) تفسير ابن الجوزي
(٢) تفسير البغوي

وقَرَأ ابْنُ عَبّاسٍ، والحَسَنُ، وابْنُ جُبَيْرٍ، وقَتادَةُ، وأبُو رَجاءَ " جُمالاتٌ " بِضَمِّ الجِيمِ، وهي حِبالُ السُّفُنِ.

قالَ الواحِدِيُّ: والصُّفْرُ مَعْناها السُّودُ في قَوْلِ المُفَسِّرِينَ.

قالَ الفَرّاءُ: الصُّفْرُ: سَوادُ الإبِلِ لا يُرى أسْوَدُ مِنَ الإبِلِ إلّا وهو مُشْرَبٌ صُفْرَةً، لِذَلِكَ سَمَّتِ العَرَبُ سُودَ الإبِلِ صُفْرًا[١]

النّارَ خُلِقَتْ مِنَ النُّورِ فَهي مُضِيئَةٌ، فَلَمّا خَلَقَ اللَّهُ جَهَنَّمَ، وهي مَوْضِعُ النّارِ حُشِيَ ذَلِكَ المَوْضِعِ بِتِلْكَ النّارِ، وبَعَثَ إلَيْها سُلْطانَهُ وغَضَبَهُ فاسْوَدَّتْ مِن سُلْطانِهِ وازْدادَتْ سَوادًا، وصارَتْ أشَدَّ سَوادًا مِن كُلِّ شَيْءٍ، فَيَكُونُ شَرَرُها أسْوَدَ لِأنَّهُ مِن نارٍ سَوْداءَ.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤﴾ لِرُسُلِ اللَّهِ وآياتِهِ بعدما بين الله لهم الآيات، وأراهم العبر والبينات

﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ أيْ لا يَتَكَلَّمُونَ في هذا اليوم العظيم الشديد على المكذبين، لا ينطقون فيه من الخوف والوجل الشديد

قالَ الواحِدِيُّ: قالَ المُفَسِّرُونَ: في يَوْمِ القِيامَةِ مَواقِفُ، فَفي بَعْضِها يَتَكَلَّمُونَ، وفي بَعْضِها يُخْتَمُ عَلى أفْواهِهِمْ فَلا يَتَكَلَّمُونَ

وقِيلَ إنَّ هَذا إشارَةٌ إلى وقْتِ دُخُولِهِمُ النّارَ وهم عِنْدَ ذَلِكَ لا يَنْطِقُونَ؛ لِأنَّ مَواقِفَ السُّؤالِ والحِسابِ قَدِ انْقَضَتْ.

وقالَ الحَسَنُ: لا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ وإنْ كانُوا يَنْطِقُونَ

وعن عكرمة قال: " سأل نافع بن الأزرق: ابن عباس عن قوله (هذا يوم لا ينطقون) و (لا تسمع لهم إلا همساً) و (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون)، و (هاؤم إقرأوا كتابيه) فقال له ويحك هل سألت عن هذا أحداً قبلي؟ قال لا قال أما

(١) تفسير الشوكاني

إنك لو كنت سألت هلكت. أليس قال الله (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال بلى، قال فإن لكل مقدار يوم من هذه الأيام لوناً من الألوان" [١]

﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾ أي لا يأذن الله لهم فلا تقبل معذرتهم، ولو اعتذروا[٢]

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾ بعدما بين الله لهم الآيات، وأراهم العبر والبينات.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ لنفصل بينكم، ونحكم بين الخلائق وَيُقَالُ لَهُمْ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي يُفْصَلُ فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، فَيَتَبَيَّنُ الْمُحِقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ. جَمَعْناكُمْ وَالْأَوَّلِينَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَمَعَ الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا وَالَّذِينَ كَذَّبُوا النَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ. رَوَاهُ عَنْهُ الضَّحَّاكُ[٣]

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾ أي حيلة في الخلاص من الهلاك فَكِيدُونِ أَيْ فَاحْتَالُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَقَاوُونِي وَلَنْ تَجِدُوا ذَلِكَ.

وَقِيلَ: أَيْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ أَيْ قدرتم على حرب فَكِيدُونِ أَيْ حَارِبُونِي. كَذَا رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ: يُرِيدُ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تُحَارِبُونَ مُحَمَّدًا ﷺ وَتُحَارِبُونَنِي فَالْيَوْمَ حَارِبُونِي. وَقِيلَ: أَيْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَقَدْ عَجَزْتُمُ الْآنَ عَنْهَا وَعَنِ الدَّفْعِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ

الْيَوْمَ لَا يَنْجُو مِنِّي جَبَّارٌ عَنِيدٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَإِنَّا نُحَدَّثُ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَتَنْطَلِقُ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ نَادَتْ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى ثَلَاثَةٍ أَنَا أَعْرَفُ بِهِمْ مِنَ الْأَبِ بِوَلَدِهِ وَمِنَ الْأَخِ بِأَخِيهِ، لَا يُغَيِّبُهُمْ عَنِّي وِزْرٌ، وَلَا تُخْفِيهِمْ عَنِّي خَافِيَةٌ: الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

---

(١) فتح البيان للقنوجي

(٢) تفسير السعدي

(٣) تفسير القرطبي

آخَرَ، وَكُلَّ جبَّارٍ عَنِيدٍ، وَكُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ. فَتَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَتَقْذِفُ بِهِمْ فِي النار قبل الحساب بأربعين سنة[١]

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ أَخْبَرَ بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمُتَّقُونَ غَدًا، وَالْمُرَادُ بِالظِّلَالِ ظِلَالُ الْأَشْجَارِ وَظِلَالُ الْقُصُورِ مَكَانَ الظِّلِّ فِي الشُّعَبِ الثَّلَاثِ

وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ أَيْ يَتَمَنَّوْنَ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الثِّمَارِ، مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا

كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ.

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَيْ نُثِيبُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي تَصْدِيقِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وأعمالهم في الدنيا

خِطَابٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وأمَرَهم أَمْرَ تَهْدِيدٍ وَوَعِيدٍ فقال لهم

كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ أَيْ: مُدَّةً قَلِيلَةً قَرِيبَةً قَصِيرَةً، ﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ أَيْ: ثُمَّ تُسَاقُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا،

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ أَيْ: إِذَا أَمَرَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةَ مِنَ الْكُفَّارِ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُصَلِّينَ مَعَ الْجَمَاعَةِ، امْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ أَيْ: إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَبِأَيِّ كَلَامٍ يُؤْمِنُونَ بِهِ؟! عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ: سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا بَدَوِيا يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَرْوِيهِ إِذَا قَرَأَ :﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ فَقَرَأَ :﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِمَا أَنْزَلَ[٢]

---

(١) فسير ابن كثير

(٢) فسير ابن كثير

فوائد الآيات في السورة

١-وعد الله حق

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾

٢-إياك والتكذيب بالله أو آيات الله تعالى أو رسله

وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

٣-مهما طال الزمن أو قصُر فالله تعالى يُهلك المجرمين

أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾

٤-الانسان من أضعف مخلوقات الله تعالى ونِعم الله تعالى عليه كثيرة

أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾

٥-زُر المقابر واتعظ بتلك الزيارة

أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾

٦-اطلبوا من الله أن يسقيكم وينزل الغيث

وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾

٧- استعذ بالله من عذاب جهنّم ثلاثاً

إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾

٨-لا ينفع الندم أو الاعتذار يوم القيامة

وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾

٩-لا نجاة للكافرين من عذاب الله يوم القيامة

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾

١٠-الله تعالى يُمهل الكافرين والظالمين وهذه من سنن الله الكونية فلا نتعجب من إمهال الله لهم برغم ما يفعلوه بالمؤمنين من ضرر واذى وكيد

﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦﴾

١١- للصلاة أهمية عظيمة لن يدركها الكافر أو العاصي إلا يوم القيامة

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨﴾

تم بحمد الله تفسير سورة المرسلات

المراجع

ابن الجوزي - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي. (١٩٨٤). *زاد المسير في علم التفسير*. الرياض: المكتب الاسلامي - دار ابن حزم.

ابن القيّم الجوزيّة. (١٩٤٩). *التفسير القيم للإمام ابن القيم الجوزية*. مكة المكرمة: عبدالله وعبيدالله الدهلوي.

ابن جرير الطبري. (بلا تاريخ). *جامع البيان*.

ابن كثير - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (٢٠٠٢). *تفسير ابن كثير*. دار طيبة.

ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (بلا تاريخ). *سنن ابن ماجه ال*. بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي. (١٩٩٤). *التفسير الوسيط للواحدي*. بيروت: دار الكتب العلمية،.

أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (بلا تاريخ). *تفسير أبي السعود , إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار احياء الثراث العربي.

أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. (١٤٠٧ هجرية). *تفسير الزمخشري , الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. بيروت: دار الكتاب العربي.

أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي. (بلا تاريخ). *تفسير ابي الليث بحر العلوم ,تفسير السمرقندي*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو حيان الأندلسي - أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي. (بلا تاريخ). *التفسير الكبير المسمى البحر المحيط*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي. (٢٠٠١). *السنن الكبرى*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي. (١٩٨٦). *سنن النسائي , المجتبى من السنن , السنن الصغرى للنسائي* . حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني. (بلا تاريخ). *صحيح أبي داود*. الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع.

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (٢٠٠١). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مؤسسة الرسالة.

أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي الرازي. (١٤٢٠ هجرية). *تفسير الرازي, مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابي القاسم محمد بن احمد بن جُزي الكلبي. (١٩٩٥). *التسهيل لعلوم التنزيل*. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابي عبدالله محمد بن احمدبن ابي بكر القرطبي. (٢٠٠٦). *الجامع لأحكام القرآن* . بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابي نعيم الاصبهاني. (٢٠٠٩). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. القاهرة: دار الحديث.

احمد الصاوي المالكي. (بلا تاريخ). *حاشية الصاوي على تفسير الجلالين*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي. (١٤٠٥ هجري). *دلائل النبوة للبيهقي , دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي. (٢٠٠٣). *شعب الإيمان*. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. (١٣٧٩ هجرية). *فتح الباري لابن حجر, فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة .

أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار. (بلا تاريخ). *مسند البزار, البحر الزخار*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. (٢٠٠٢). *تفسير الثعلبي, الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

أحمد محمد شاكر. (١٩٩٥). *مسند أحمد ت شاكر*. القاهرة: دار الحديث.

الألوسي - محمود شهاب الدين أبو الثناء الألوسي. (٢٠٠٧). *تفسير الألوسي روح المعاني*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البغوي - الحسين بن مسعود البغوي. (١٤١٢ هجرية). *تفسير البغوي, معالم التنزيل*. الرياض: دار طيبة.

البيضاوي - ناصر الدين أبي الخيرعبد الله بن عمر بن علي البيضاوي. (بلا تاريخ). *تفسير البيضاوي ,أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

الرازي - فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين. (٢٠٠٤). *التفسير الكبير*. بيروت: دار الكتب العلمية.

السعدي - عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (بلا تاريخ). *تفسير السعدي, تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. الرياض: دار ابن الجوزي.

العثيمين، محمد بن صالح. (بلا تاريخ). *تفسير القرآن الكريم (تفسير العثيمين)*. القاهرة: مكتبة الطبري.

الماوردي - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي. (بلا تاريخ). *تفسير الماوردي, النكت والعيون*. بيروت: دار الكتب العلمية.

المتقي الهندي. (١٩٨٩). *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

بو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي النحاس. (١٤٢١ هجرية). *إعراب القرآن للنحاس*. بيروت: دار الكتب العلمية.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ابن تيمية. (٢٠٠٥). *مجموع الفتاوى* . المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ابن تيمية. (١٤٠٤ هجرية). *دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية*. دمشق: مؤسسة علوم القرآن.

جلال الدين السيوطي. (بلا تاريخ). *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. الرياض: دار عالم الكتب.

جلال الدين المحلّ، و جلال الدين السيوط. (١٩٥٤). *تفسير الجلالين الميسر*. القاهرة: مطبعة الحلبي.

جماعة من علماء التفسير. (٢٠١٦). *المختصر في تفسير القرآن الكريم*. الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية.

حسنين محمد مخلوف. (١٩٩٧). *كلمات القرآن تفسير وبيان*. يروت: دار ابن حزم.

حمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي. (٢٠٠٣). *السنن الكبرى* . بيروت: دار الكتب العلمية.

سيد قطب - سيد قطب إبراهيم. (٢٠٠٣). *في ظلال القرآن*. القاهرة: دار الشروق.

شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني. (١٤٠٦ هجرية). *الفردوس بمأثور الخطاب* . بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد. (بلا تاريخ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. بيروت: دار ابن حزم.

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ابن هشام. (١٩٥٥). *السيرة النبوية لا بن هشام*. القاهرة: كتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

عبدالحميد كشك. (١٩٨٧). *في رحاب التفسير*. القاهرة: المكتب المصري الحديث.

عبدالسلام بن عبدالرحمن بن محمد ابن برجان ابن برجان. (بلا تاريخ). *تفسير ابن برجان, تنبيه الافهام التدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآ يات والنبأ العظيم*. بيروت: دار الكتب العلمية.

عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي. (٢٠٠٦). *تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة*. مكة المكرمة: جامعة ام القرى.

علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن. (بلا تاريخ). *تفسير الخازن , المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل*. بيروت: دار الكتب العلمية.

علي بن أحمد الواحدي النيسابوي أبو الحسن. (١٩٩٢). *أسباب نزول القرآن*. الدمام: دار الاصلاح.

مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني. (١٩٨٥). *موطأ الإمام مالك*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (بلا تاريخ). *بدائع الفوائد* . بيروت: دار الكتاب العربي.

محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي. (٢٠٠١). *تهذيب اللغة*. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري. (١٤٢٢ هجرية). *صحيح البخاري*. دار طوق النجاة.

محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي. (١٣٩٦ هجرية). *المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين*. حلب: دار الوعي.

محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي. (١٩٨٥). *مشكاة المصابيح*. بيروت: المكتب الاسلامي.

محمد بن عبدالعزيز الخضيري. (١٤٣٥ هجرية). *السراج في بيان غريب القرآن*. الرياض: مركز تفسير بالرياض.

محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي ، أبو عيسى. (١٩٧٥). *سنن الترمذي*. القاهرة: البابي الحلبي.

محمد على الصابوني. (١٤٠١ هجرية). *صفوة التفاسير*. بيروت: دار القرآن الكريم.

محمد على الصابوني. (١٩٨١). *مختصر تفسير ابن كثير*. بيروت: دار القرآن الكريم.

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (بلا تاريخ). *صحيح مسلم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.